

تصوير ابو عبدالرحمن الكردي
موسوعة
الأمن والإستخبارات في العالم
تأليف د. صالح زهر الدين
ملف الإستخبارات الأمريكية



موسوعة

الأمن والإستخبارات في العالم

د.صالح زهر الدين

ملف الإستخبارات الأميركية

الجزء الأول

المركز الثقافي اللبناني

المركز الثقافي اللبناني
للطباعة والنشر والتأليف والترجمة والتوزيع
بيروت ـ هاتف ٠٥/٤٦١٧٧٧ ـ ٠٥/٤٦١٨٨٨ ـ ٠٢/٧٥٣٦٦٣

الطبعة الأولى
٢٠٠٣

كلمة الناشر

"موسوعة الأمن والإستخبارات في العالم " تعتبر الأشمل والأحدث من نوعها في العالم حيث تتضمن أبرز عمليات الإستخبارات في معظم دول العالم، بكل ما تحمله من أسرار وألغاز وأساليب ومعلومات وحيل وفنون في حقل التجسس .

ومن أهم ميزاها أها تكشف بوضوح أبرز الخطط والطرق والأساليب التي تعتمدها أجهزة المخابرات "لاصطياد ضحيتها" وإيقاعها في "فخ" شبكاها ومخططاها، مما تدفع أي فرد منا بأن يكون حذراً ويقظاً إزاء ذلك ، فتمثل له سراج هداية ينير أمامه الطريق، ويصبح على بينه من الأمور، تمنعه أن يتلوث بلوثة التجسس المعادي لأمنه ووطنه وشعبه ،ومن خلال فهمه وإستيعابه لذلك، يستطيع أن يكون مرشداً لكثيرين ممن لم يتسن لهم الإطلاع على هذه الكنوز المعرفية والمعلوماتية .

إن إيماننا بأهمية الكلمة المكتوبة ، والمطبوعة في كتاب تجعلنا أكثر حرصاً وإهتماماً بنوعية منشوراتنا ، التي نريدها أن تلائم كل العقول والأذواق والأمزجة وأن تشكل في الوقت نفسه زاداً فكرياً لا غنى عنه لكل طالب علم ومعرفة .

من هذا المنطلق تأتي موسوعة "الأمن والإستخبارات في العالم " لتشكل أساساً في قناعاتنا وأهدافنا ومدماكاً من مداميك البناء الذي نطمح لنشيده خدمة للعلم والفكر والمعرفة ، لا تنحصر قيمتها وأهميتها بعصر أو زمان ، لأنها صالحة لكّل زمان وعصر .

بإختصار ، إن "موسوعة الأمن والإستخبارات في العالم" هي عمل موسوعي إستغرق سنوات عدة لم تكتب لفئة محددة من الناس ، بل هي لكل الناس وعن كل الناس أيضاً.

والله ولي التوفيق .

الناشر .

مقدّمة المؤلّف

الحياة البشرية مستودع أسرار رهيبة، منها ما كُشف عنه، ومنها ما لا يزال قابعاً في الملفات والخزائن والدهاليز، فضلاً عن النفوس، ينتظر الساعة المناسبة والظرف المناسب. . . أو ربما الصّدفة. . لكن المؤكد أن جميع هذه الأسرار لم تهبط «بسلّة من السماء»، بل هي من صنع الإنسان، وتدور حوله، والإنسان هو المبتغى والهدف.

والواقع أنه اذا ضاعت الأصول، ضاع التاريخ معها، فلا إنسان بلا تاريخ، ولا تاريخ بلا إنسان. ولم يمرّ يوم من أيام الزمن التاريخي، دون أن يشهد سرّاً بليغاً له أهميته.

من هذا المنطلق، يجب علينا أن نغوص في أحداث التاريخ وأعماقه، نستقرئها بإمعان، ونستلهم على ضوئها العبر والدروس، لأن التاريخ هو الشاهد الحيّ والصادق على كل مجريات الأحداث والوقائع.

ومهما تطور العلم وتقدمت التكنولوجيا، يبقى الانسان الفرد في النهاية هو الأساس والأهم. وإن جميع الاكتشافات مع دقتها لم تستطع الحلول محلّ الإنسان، الذي يبقى العنصر الأساسي في حقل الاتصالات والشيفرة. وإن جميع ما يجري في العالم من حروب ومؤامرات وانقلابات وأحداث، هي من صنع الإنسان نفسه، حيث تجري عملية ترتيبها وإقرارها والإيعاز بتنفيذها في أماكن خاصة، ودهاليز «البيوت السوداء»، بعيدة عن الأعين، من قبل رجال

من نـوع خاص، أقـوياء، أذكيـاء، منهم من يحمـل أعلى الـرتب العسكـريـة والـدرجات العلميـة، وبيدهم وحـدهم يتقرر مصيـر دول وشعوب. هؤلاء هم «رجال المخابرات» الذين يحرّكون العالم في الخفاء.

ومن خلال دراسة أسباب معظم المؤامرات العالميـة، واكتشاف العـديد من شبكات التجسّس والجواسيس والاغتيـالات. نجد أن كـل ذلك من عمـل مخلوقات لا نستطيع معرفتهم من أول وهلة، ولكن لابـد أن نلمس أعمالهم، وقد نكتشفهم بمحض الصدفة، أو لسبب طارىء، أو لخطأ يرتكبـونه. فهؤلاء هم «المخابرات».

ومهمـا علت مـرتبـة الجـواسيس، وبلغت مقـدرتهم حـداً لا يـوصف، وكـذلك شجـاعتهم وصمتهم العميق، فإنهم يبقـون في النهايـة ـ بشـراً ـ مـع الاعتراف بميزاتهم الأخرى عن باقي البشـر. لذلـك فهم معرّضـون أيضاً لمـا يتعرض له الإنسان، أي إنسان، ونعني به: الخطأ، الـذي يكشف في النهايـة دورهم الأساسي في التجسّس ومهمتهم المخابراتية. إلا أن ما يعتبر مسلّمـاً به عندهم، هو انه «لا وطن لهم». فالسرّ ضروري ومهم. . . وأهميتـه تكمن في سرّيته، أي في أن يبقى سـراً. وبالسـرّية يمكن إخفـاء القوة والضعف. وهي أحد الشروط الأساسية للنصر في الحرب، كما أنها أحد أشكال الـدبلوماسيـة العظيمة الأثر. وعندمـا كانت المخـابرات كـالحارس اليقظ في أداء واجبـاته، فإن تاريخ نشاطها كان قـديماً، قـدم المنافسـة بين المجتمعات والأمم؛ لأنهـا المعـرفة والعلم بـالمعلومات التي يجب أن تتـوافـر لـدى كبـار المسؤولين من المدنيين والعسكريين، حتى يمكنهم العمل لتأمين سلامة الأمن القومي.

إنطلاقاً من هذه الأهمية، فقد صرّح الرئيس الأميركي أيزنهاور في حفل وضع حجر الأسـاس لمبنى المخابـرات الجديـد في الولايـات المتحدة ـ يـوم الثـالث من تشرين الثـاني سنة ١٩٥٩ ـ قـائلاً: «إنـه ليس هنـاك في سيـاسـة الولايات المتحدة ما هو أهم من جمع المعلومات بواسطة المخابرات».

ومن اجـل تحقيق هـذه الغـايـة، لابـد من تـأمين جيش من العيـون

والجواسيس يأخذ على عاتقه مسؤولية القيام بهذه المهمة، عبر طرق ووسائل وأساليب ورموز مختلفة؛ تكفل في النهاية عملية الوصول الى الهدف، اعتباراً من أن عالم الرموز والاستخبارات هو عالم الإنسان الذي يخشى الإنسان. والجدير بالملاحظة أن العرب كانوا أول من أوجد «علماً للرموز» بالمعنى الصحيح للكلمة، وذلك بإيجادهم طرقاً ومناهج له، وبتدوينها خطياً.

وجهاز الجاسوسية والاستخبارات في أية دولة من الدول هو بمثابة غرفة عمليات طبّية، تمارس فيها عملية تشريح جثة العدو بصورة غيابية، للتدقيق بتحركات واختلاجات الأعضاء، والإمساك بالسكين الذي سيعمل تقطيعاً بالمفاصل الهامة له، وصولاً للإجهاز عليه بصورة كاملة.

وما دامت هناك حدود قائمة بين الدول وبعضها، فإن الجاسوسية أمر لا مفرّ منه، وبالتالي لا نهاية لأعمالها. كما أن شبكاتها ما هي إلا نوع من الحرب الباردة، ولكنها حرب أدمغة لا حرب سلاح ونار، على حد قول «أيسرهرئيل»، رئيس الاستخبارات الصهيونية الأسبق. أما بالنسبة «لهنري سيتمسون»، وزير الخارجية الأميركية في حكومة «هربرت هوفر»، فقد اعتبر التجسس بمثابة «هتك حرمة الآخرين». ولهذا أقفل باب «الغرفة السوداء الأميركية» في العشرين من أيار ١٩٢٩ بعد أن وجدت برئاسة «باردلي» عام ١٩١٩. إذ أن دوائر الاستخبارات هي بمثابة دولة ضمن دولة... أسرارها وأخبارها ومغامراتها وحوادثها... تملأ الدنيا. ولم يعد بالإمكان في العصر الحاضر أن يكتب تاريخ دولة من الدول دون أن يشار الى دوائر استخباراتها ونشاطها؛ وإن أُغفلت هذه الناحية كان التاريخ ناقصاً، بعيداً عن الحقيقة، وغريباً عن الواقع. وقد نجح «فردريك الكبير» في إعطاء هذه النقطة أهميتها الحقيقية حيث قال يوماً، مفاخراً بعمله: «إن زميلي قائد جيش العدو يذهب الى الحرب يتقدّمه مائة من الطباخين. أما أنا فيتقدّمني مائة من الجواسيس».

والواقع، ليس بمقدور كل إنسان أن يكون جاسوساً. إذ أن من المفروض على من يكلّفون بمثل هذه المهمات الخطيرة أن ينعموا بمزايا

خاصة؛ كالجرأة، والصبر على المكاره، والذكاء، والحكم الصحيح، والبراعة في الوصول الى الأخبار من مصادرها الحقيقية، والابتعاد عن العربدة والسكر حتى الثمالة، كي لا يفقدوا عقولهم ويبوحوا بأسرار مهمتهم المكلّفين بتأديتها، وخسارة وثائق هامة اذا كان ثمة شيء منها في حوزتهم. وهذا ما ينطبق أيضاً على السفراء الذين هم بمثابة «الجواسيس الشرفاء» في العمل الديبلوماسي.

وانطلاقاً من أن نظام المخابرات والجاسوسية يعتبر «العمود الفقري» لأية دولة في مجرى حياتها وبقائها، وديمومة وجودها، وبالتالي تطوّرها وتقدّمها، فإن الكثير من الدول والحكومات تبذل غالياً ثمن الوصول الى مؤسسات مخابراتية تجسّسية على المستوى المطلوب، لتخريج الرّجال الأكفّاء الجديرين بصفة «الجاسوس» ومهنته الشاقة. ومنهم من يمضي سنوات طويلة في هذه المدارس والمعاهد والمؤسسات قبل منحه «تأشيرة الخروج» الى الجهة الأخرى من العالم. ويعتبر رجال الجاسوسية السوفياتية من الطراز الأول في عالم الحرب الخفيّة، حيث من المعلوم أن تدريبهم يجري على نظام دقيق معقّد مدى سنوات عدّة، حتى أطلق بعضهم على هذا التدريب هذه النكتة: «إنهم يتخرّجون من مدرسة حديدية». وذلك بالنظر الى معاهد «غاكزينا» و«براخوفكا» وغيرها التي يتميز بها الاتحاد السوفياتي. وقد لمع من بين خرّيجي هذه المعاهد التجسسية أسماء شهيرة: كالكولونيل «رودولف ايفانو فيتش آبيل»، والدكتور «جفري نوبل» و«جورج لونسديل»، و«ماريان».. وغيرهم الكثير. وكذلك الحال في أميركا والدول الأوروبية التي عرفت أسماء لا تقلّ شهرة عن تلك التي عرفها الاتحاد السوفياتي، ومنها على سبيل المثال «اوريستي بينتو» في الولايات المتحدة الأميركية المعروف باسم «فرانك جاكسون»، والذي قال عنه أيزنهاور «إنه أعظم أخصّائي في الأمن على قيد الحياة». و«جوزيف فوشيه» الذي لا يزال يعتبر حتى اليوم أخطر مدير للبوليس السياسي في عهد نابوليون. و«غبريال دي سارتين» مدير البوليس السياسي في عهد لويس الخامس عشر والذي

أصبح وزيراً للحربية. . . والجاسوسة الكبيرة «ماتاهاري» التي كانت عيناً من عيون الألمان في فرنسا. و«والتر ويلهلم كاناريس» الذي أصبح أميرالاً في الأسطول الألماني، ورئيساً لدائرة الاستخبارات في وزارة الخارجية الألمانية. في عهد «ريبنتروب»، ووزيرها أثناء الحكم الهتلري. . . وكذلك «آلان دالس» الأميركي الذين يزيّن اسمه قاموس المخابرات المركزية الأميركية وجهازها التجسسي الضخم. إلخ. . . وطبيعي، أن نظام الجاسوسية تطور كثيراً عما كان عليه منذ القدم، وقد بلغ درجات كبيرة من العلو والتقدم، تبعاً لتطورات العصر والمنجزات التكنولوجية. إلا أن أقدمية ظاهرة الجاسوسية كظاهرة درجت عليها الدول منذ آلاف السنين، تبقى حقيقة ثابتة.

فقد كان لدى المصريين منذ خمسة آلاف سنة نظام للجاسوسية بديع غريب. . وكان يعتبر فنّ التجسس عندهم لوناً من ألوان العلم السرّي الرفيع.

ومن أخبار هذا العهد العريق في القدم أن ضابطاً مصرياً يدعى الكابتن «توت» إستطاع بواسطة عيونه وجواسيسه، إدخال مائتي جندي مسلّح الى مرفأ يافا ضمن أكياس القمح والدقيق. . . حتى اذا بلغوها وثبوا عليها واحتلوها.

وفي «إلياذته» الشهيرة نسمع الشاعر اليوناني «هوميروس» يتغنّى بقصة رائعة من قصص الجاسوسية حين نقل الطرواديون بعض جنودهم ضمن جواد كبير صنعوه من خشب، الى قلب مدينة العدو. . . أما في القرون الوسطى فقد تمكن الانكليز من أسر المناضلة الفرنسية ـ رمز المقاومة الباسلة ـ «جان دارك» بمساعدة جاسوسهم «بيير كوشون» الذي كان يعمل لحسابهم.

وعندما أمر الربّ «يوشوع بن نون» ليقود بني إسرائيل عبر الأردن الى كنعان، انتفع «يوشوع» من تجاربه مع موسى (عليه السلام) وأرسل رجلين ليتجسّسا على «أريحا» لمعرفة مدى قوة العدو، وغير ذلك مما يجدر بالقائد أن يعرفه قبل مهاجمة الأعداء، وعاونت سيدة ساقطة تدعى «رحاب» الرجلين في أداء مهمتهما وخروجهما من المدينة، دون أن يستطيع رجال ملك «أريحا» اكتشافهما، وكانت تلك أول حادثة في التاريخ تشير الى اشتراك امرأة في

أعمال المخابرات.

وفي غـزوة بدر أرسـل النبي (ﷺ) إثنين من الصحـابـة للحصـول على معلومات عن قوات المشركين. وعند بئـر بدر وجـد أحدهمـا غلامين لقـريش يستقيـان، فـأحضـرهمـا الى الـرسـول (ﷺ) حيث تمكن من تحـديـد عـدد المشركين بسؤاله للغلامين عن عدد الجمال التي ينحرونها يومياً، فأجاب الغلامان بأنهم ينحرون يوماً تسعاً ويوماً عشراً، فأدرك النبي (ﷺ) أن عدد القوم بين التسعماية والألف، بدليل أن العرب على عادتهم يخصصـون بعيراً لكـل مائـة شخص.

ولـم يخلُ عهد المغول من أسماء لامعة لجواسيس كبار لعبوا دوراً مهمـاً الى جانب قائدهم «جنكيز خـان»، كما هـو الحال لـدى أبرز قـادته «سبتـاي» و«نويون» الذي كان على رأس قوة من الفرسـان أرسلت الى امبراطـور الصين لمساعدته، وكانت سبباً في سيطرة جنكيز خان عليها.

هذا وتشير المصادر التاريخيـة الى أن العرب استفـادوا من الجاسـوسية أيضـاً منذ أجيـال طويلة. فقـد كان «المهلّب» مثـلاً الذي حـارب الخـوارج، يرسل عيـونه الى معسكـر الخوارج لينقلوا اليـه أخبارهم وحـركاتهم ومـددهم وسلاحهم. . . وكما حاربهم بالسيف والرمح، حاربهم أيضاً بالمكيدة والخفاء حتى قضى عليهم ومزّقهم. وكذلك فعل معاوية بن أبي سفيان قبله في معركة «صفّين» التي وقعت بينـه وبين الإمام علي بن أبي طـالـب. فقـد كانت لـه في جيش عليّ عيـون تنقل اليـه أخبار الجيش واختـلافـه وانقسـامـه. . ومن هـذا الاختلاف والانقسام نفذ معاوية الى الخلافة وظفر بها. . .

ولن ينسى شعبنـا العربي مـا عانى منـه، ومـا وصـل اليـه بعـد الحـرب العـالمية الأولى، عن طـريق الجواسيس الصهـاينة والبـريطانيين في فلسـطين والمنطقة العـربية بـأجمعها، والتي أدت الى تفتيت المنـطقة وتجـزئتها ورسـم حدود وفواصل بينها، مانعة لوحدتهـا وتوحيـدها. . والشبكـة الجاسـوسية التي كـانت تـديـرهـا «سـارة أرونسـون» ورفـاقهـا من قبـل بيت روتشيلد اليهـودي

الصهيوني، والدكتور "هوغارت" البريطاني وتلميذه لورنس (المعروف بلورنس العرب)، أكبر دليل على ذلك .

وهكذا كانت الحرب العالمية الثانية التي أُشعلت بنار مخابراتية عن طريق أحد ضباط الغستابو (المخابرات النازية الألمانية) المدعو "ألفرد نوجوكس" بأمر من قائده "هملر". وقد لمعت في أثنائها أسماء جواسيس كبار، منهم من أجّج نارها، ومنهم من ساهم في الحدّ من مآسيها وكوارثها.

والحقيقة التي أقرّ بها قادة كبار من دول الحلفاء والمحور على السواء، هي أن الاستخبارات أنقذت حياة الكثيرين، ليس فقط من الحلفاء، بل أيضاً من دول المحور، وذلك عن طريق إجهاض العديد من المعارك قبل وقوعها. هنا يكمن الفضل، ومن هنا على العالم أن يعترف بالفضل.

رغم ذلك، يبقى ضرورياً في هذا المجال أن نردد كلمة الرئيس ابراهام لنكولن، محرر العبيد في أميركا ، عندما قال:"تستطيع أيها الإنسان أن تخدع كل الناس بعض الزمن ، وأن تغش بعض الناس كل الزمن، لكنك تعجز عن أن تخدع كل الناس، كل الزمن".

وموسوعة "الأمن والاستخبارات في العالم" هي خطوة أساسية في هذا المضمار. حيث تفضح بعض أعمال المخابرات الدولية التي أنتجت الكوارث، وحملت المحن والمآسي لشعوب الأرض ـــ وما زالت ـــ، وتعطي الإنسان العربي من ناحية أخرى صورة واضحة عن أساليب الأشباح والأيدي الخفيّة، من أجل تلافي خطرها والوقوع في حبائل دسائسها.

ومن أولى مهماتنا كعرب، عند مجيء أطفالنا الى العالم، هي تلقيحهم بمصل المعرفة والتعمّق بالتراث العربي الذي أثبت مناعته وفعاليته ضد أخطار الامتصاص والتشويه التي تعرض لها ـــ وما زال ـــ على مرّ العصور .

وما أسعد الأرض التي لا يوجد فيها ابن أو ابنة يقبل أن يخونها على

حدّ قول أوريستي بينتو.

والجدير بالذكر أن المخابرات العربية استطاعت في كثير من الأحيان، تحطيم اسطورة جهاز الاستخباراَت الاسرائيلي الذي يدّعي «السوبرمانية». وتمكنت، ليس فقط من اختراقه، بل ووصلت فيه الى أعلى مراكز السلطة والقرار، كما هو حال رجل المخابرات العربي المصري رأفت الهجّان، الذي مرّغ سمعة الاستخبارات الاسرائيلية في الوحل، وبقي أكثر من عشرين عاماً يعمل لصالح المخابرات العربية ضمن أدق المناصب والمراكز القيادية الاسرائيلية، مجنّداً عدداً كبيراً من الشخصيات المسؤولة في قيادة الأركان والعمل السياسي والاقتصادي دون أن تتمكن المخابرات الاسرائيلية «العملاقة» من اكتشافه ومحاكمته؛ ولم يكتشف أمره إلا بعد وفاته، وبعد أن كان قد نخر العمود الفقري وتغلغل في النخاع الشوكي الاسرائيلي، فأصاب المؤسسة العسكرية والسياسية الاسرائيلية بصدمة لم تعرفها من قبل. كما تمكنت المخابرات السورية أيضاً أن تكتشف أهم رجال المخابرات الاسرائيلية في دمشق (إيلي كوهين)، فاعتقلته وأعدمته، رغم تدخلات دول عظمى لإبقائه حيّاً، دون جدوى، فأصيبت القيادة الاسرائيلية بحالة من الهستيريا إثر ذلك، واعتبرته من أكبر خسائرها التي لا تعوّض. . كما اعتقل بعض رجالها المميزّين أيضاً في مصر (ولفغانج لوتز)، وتمّ التبادل به بعدد كبير من الأسرى المصريين. والأهم من كل ذلك، أن المخابرات العربية (الفلسطينية والسورية والمصرية واللبنانية) وجهت للاستخبارات الاسرائيلية ضربة بليغة من خلال تجنيدها لعدد من اليهود للعمل لصالح المخابرات العربية، التي تمكنت من إنشاء شبكات يهودية قائمة بذاتها، بعيداً عن الموجّه العربي، في الوقت الذي كان يتبجّح فيه الاسرائبليون أنهم منزّهون عن الاختراق أو عن التجنيد اليهودي لصالح العرب.

وعلى سبيل المثال نذكر من هذه الأسماء: اسحق شلوسكي ـ حايا زايدنبرغ ـ ڤيرا دوكس ـ الكسندر يولين ـ رحاميم موشه حجاج ـ جبريل جاشماي ـ ألبرت مبلتيش ـ حاييم عقبه ـ جدعون غولد شتاين ـ ازيك

فيشمان_ماير إيلاني_شمعون كرامر_اميل دروبيه_ماجي بشنس_ دان افرايم _ ديبورا مايزل_ أودي بيدلسون وآخرين.

ومع ذلك، تبقى الدعاية الصهيونية وفنّها الإعلامي أكثر براعة وأدق استغلالاً منها عند العرب .. ولهذا تظهر نفسها بأنها دائماً متفوّقة وناجحة.

وفي النهاية ،لايسعنا الا أن نوجّه كلمة شكر للقيمّين على "المركز الثقافي اللبناني" الذين أخذوا على عاتقهم اصدار هذه الأسرار والوثائق في عمل موسوعي تحتاجه المكتبة العربية، والناشئة العربية، في هذا الوقت أكثر منه في أي يوم مضى. وشكرنا أيضاً، الى كل من ساعدنا في معلومة أو وثيقة أو مرجع أو مصدر ، أو ما شابه، فإليهم جميعاً تحية حب وتقدير ، راجين من الله عزّ وجلّ أن يمنّ علينا بالصحة والعافية، لكي نكون على قدر المسؤولية الملقاة على عاتقنا في بذر بذور المعرفة الحقّة والعلم الصحيح، في التربة الصالحة من أرضنا ومنطقتنا ، وأجيالنا، بغية تحصينهم من الوقوع في الحبائل والمطبّات والأفخاخ التي تؤدّي الى هلاكهم. وأن يكون بمقدورنا أيضاً أن نضيء مشعلاً أو سراجاً أو شمعة في ليلنا العربي الأسود، تكون بمثابة منارة هدي الى الطريق القويم ، تميط اللثام عن الأضاليل والأباطيل التي تغطي العقول والقلوب بطبقة سميكة من الصدأ والعفن.

عسى أن نكون قد وفّقنا ، والله وليّ التوفيق.

د. صالح زهر الدين



ملف الاستخبارات الأميركية



الاستخبارات المركزية الأميركية (C.I.A.)

مما لا شك فيه، أنه قبل الحرب العالمية الثانية، لم يكن للولايات المتحدة الأميركية وكالة مخابرات مركزية. لكن حادثة «بيرل هاربور» (المتمثلة بالهجوم الياباني المفاجىء، الذي دمّر الأسطول الأميركي في المحيط الهادىء)، شكّلت صدمة كبيرة للمواطن الأميركي العادي، ودرساً قاسياً للسلطات الحكومية الأميركية، استخلصت منه «العبرة اللازمة» في ضرورة خلق وكالة استخبارات مركزية، تجنّب البلاد كثيراً من الكوارث المشابهة لكارثة بيرل هاربور.

والواقع، لقد خلق فرانكلين روزفلت، في ملء أزمة الحرب، أول وكالة وطنية للتجسس في البلاد، وهي «مكتب الخدمات الاستراتيجية». لكن الرئيس هاري ترومان ألغى هذا المكتب بعد الحرب؛ ثم بادر في ٢٢ كانون الثاني/ يناير ١٩٤٦، الى انشاء «سلطة المخابرات الوطنية»، وعيّن الأميرال المساعد «سيدني سويرز» مديراً لفريق المخابرات المركزي، الذي كان، في واقع الأمر، أول مدير للجاسوسية عرفته أميركا.

وفي حزيران/ يونيو ١٩٤٦، خلف الجنرال «هوايت ڤاندنبرغ» من سلاح الجوّ الأميركي وقتذاك الأميرال سويرز. كما أن ڤاندنبرغ، سلّم عمله في أيار/ مايو ١٩٤٧، للأميرال المساعد «روسكو هيلنكوتر». وفي أثناء إدارة هذا الأخير، أصدر الكونغرس أمره بتوحيد مؤسسات الدفاع، وإلغاء فريق المخابرات المركزي، والاستعاضة عنه بوكالة المخابرات المركزية الحالية التي ستعمل تحت إشراف مجلس الأمن القومي، «كمنظمة مركزية للتجسس في الولايات المتحدة». والواقع أن قانون الأمن القومي لعام ١٩٤٧، حدّد

ثلاث مهمات لوكالة المخابرات المركزية هي: إطلاع مجلس الأمن القومي على الفعاليات التجسسية، وربط وتقدير المخابرات المتعلقة بالأمن القومي، والقيام «بالخدمات ذات المصلحة الجماعية لحساب وكالة المخابرات القائمة».

والجدير بالذكر، أنه منذ تأسيس وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية في عام ١٩٤٧، كان مركزها كله في واشنطن وعلى مقربة من البيت الأبيض.

لكن توسّع الأعمال حمل مسؤوليها على التفكير جدّياً بنقل المقر وتوحيده. وهكذا في عام ١٩٦١، أصبحت الوكالة في مركزها الجديد بـ «لانغلي»، في ولاية فرجينيا، على مقربة من واشنطن.

أما على صعيد هيكلية هذه الوكالة، فقد قسّمت الى فروع أربعة هي:

١ ـ فرع الخطط.
٢ ـ فرع الاستخبارات.
٣ ـ فرع الأبحاث (للشؤون التقنية والعلمية).
٤ ـ فرع الدعم (أي الأعتدة والسكن والنقل والمواصلات والأمن).

وإن رئيس كل فرع من هذه الفروع يحمل صفة «نائب مدير».

وحتى لا نغوص كثيراً في التفاصيل، فإننا نشير الى أن الأميرال «روسكو هلينكوتر» كان أول مدير لوكالة الاستخبارات المركزية المستحدثة إذن، وقد اضطلع بهذه المهمة منذ أيلول/ سبتمبر ١٩٤٧، عند ولادتها، حتى تشرين الأول/ اكتوبر عام ١٩٥٠. ثم استلم الإدارة الجنرال «ولتر بيدل سميث»، رئيس هيئة أركان الجنرال أيزنهاور أثناء الحرب العالمية الثانية من تشرين الأول/ اكتوبر عام ١٩٥٠، حتى شباط/ فبراير ١٩٥٣، حين خلفه «آلان دالاس» في هذا المنصب، والذي طبع الوكالة بطابعه الخاص، باعتباره رجلاً استمرت خدماته التجسسية خلال حربين عالميتين، ووُصف بأنه «الجاسوس المحترف الأول في البلاد». وقد بلغت شهرته حداً جعلت

السوفيات يطلقون عليه اسم «سيِّد جواسيس الأمة». كما ان الكاتب السوفياتي إيليا أهرنبورغ، ذكر في جريدة «البرافدا» قائلاً: «اذا وصل الجاسوس آلان دالاس الى السماء بفضل شرود ذهن شخص ما، فإنه سيبدأ بتفجير السحب، ونسف الكواكب، وذبح الملائكة».

أما «ريتشارد بيسل»، وهو استاذ سابق في جامعة ييل، فقد تولّى إدارة برنامج التجسس بواسطة طائرات «يو - ٢»، والمحاولة الفاشلة لغزو كوبا عام ١٩٦١ في خليج الخنازير، والتي جعلته يتنحّى عن مركزه ليخلفه «جون ماكون» حتى عام ١٩٦٥، في الوقت الذي كان فيه «ليمان كيركباتريك» مديراً تنفيذياً، بينما كان ريتشارد هيلمز نائبه في «فرع الخطط».

هذا، وكان من المفروض أن يتسلّم هيلمز منصب مدير الوكالة عام ١٩٦٥، خلفاً لمديرها آنذاك ماكون. لكن الرئيس الأميركي جونسون، الذي كان يكره المثقفين من الضفة الشرقية للولايات المتحدة، على أثر تعمّق خلافاته مع آل كينيدي، عيّن في المنصب رجلاً من تكساس هو الأميرال المتقاعد «وليم رابورن».

والغريب أن رابورن وقع في كومة من الأخطاء، فضلاً عن ضعفه وعدم كفاءته في هذا المضمار؛ لذلك لم يَبْقَ في منصبه أكثر من أربعة عشر شهراً، وهي أصغر مّدة قضاها أيّ رئيس لوكالة الاستخبارات المركزية حتى اليوم. إذ أنه أثناء احتفال قَسَم اليمين الدستورية في البيت الأبيض يوم ٢٨ نيسان/ ابريل ١٩٦٥، أحاط نفسه بجميع كبار المسؤولين في وكالة الاستخبارات المركزية، الذين ما لبث البيت الأبيض أن أصدر بياناً صحافياً بأسمائهم جميعهم. حتى أن الكثيرين منهم كانت أسماؤهم تنشر على الملأ للمرة الأولى. (وعلى سبيل المثال نذكر أنه الى جانب دالاس وماكون وهيلمز وراي كلاين وكيركباتريك، فقد كان هناك كل من نائبَ المدير لشؤون الاستخبارات جاك سميث، ومدير فرع الخطط ديسموند فيتز جيرالد، ونائب المدير لشؤون الأبحاث ألبرت ويلون، ورئيس مجلس إدارة «شركة التقديرات الوطنية»

شيرمان كنت، ونائب المدير جون بروس، والمستشار العام لورنس هيوستن، ومساعد المدير والتر ألدر، ورئيس دائرة العمل والطلاب والثقافة كورد ماير، ورئيس الدائرة الآسيوية وليم إيغان كولبي، ورئيس الدائرة الأميركية اللاتينية ج. س. كينغ، وكذلك برونسون تويدي الذي حلّ عام ١٩٦٦ مكان أرشيبالد روزفلت كرئيس لمكتب لندن الذي يشرف على العمليات في الشرق الأوسط.. إلخ).

وفي ٣٠ حزيران/يونيو ١٩٦٦، تسلّم ريتشارد هيلمز رئاسة وكالة المخابرات المركزية خلفاً لوليم رابورن. والواقع أن هيلمز ـ كما يصفه البعض ـ أثبت أنه خلق للوظيفة الأميركية هذه، حيث بدأ عمله في الاستخبارات وهو ابن السابعة والعشرين من عمره، وبقي فيها. لذلك فقد نجح نجاحاً باهراً.

أما الرئيس جونسون (الذي فضّل رابورن عليه من قبل)، فإنه قال إثر الانتهاء من مرحلة التعيين آنذاك «أنه وجد هيلمز، الرجل الوحيد الذي يختزن جميع الأجوبة».

وبما أن منصب مدير الاستخبارات الأميركية ليس مؤبّداً، لذلك فقد خلفه عدد من المسؤولين الذين اختلفوا في نسبة النجاح بين واحد وآخر. وكان من بينهم مثلاً وليم كيسي، ووليم كولبي، وستانسفيلد تيرنر الذي تقلّد هذا المنصب في الفترة الواقعة بين ١٩٧٧ و١٩٨١. وقد أصدر مؤخراً كتاباً بعنوان: «الارهاب والديموقراطية».

والجدير بالذكر، ان وكالة المخابرات المركزية الأميركية، لعبت، ولا تزال، دوراً هاماً في الولايات المتحدة، داخلياً وخارجياً، حتى أصبحت وكأنها إمارة مستقلة داخل امبراطورية، أو بالأحرى، دولة داخل دولة، مرجعها الوحيد هو رئيس الجمهورية.. وأحياناً يكون هذا الرئيس العوبة في أيديها، أو هي التي تصنعه وتخلقه.. وها هي اليوم تتربّع على أرفع عرش في العالم، وتحكم العالم من خلاله.

المراجع

١ ـ اندرو تولي «حقيقة الجاسوسية الأميركية». ترجمه د. فؤاد أيوب. دار دمشق للطباعة والنشر. لا. ت. ص ١٤ ـ ٢٢ و٤٨ ـ ٥١.

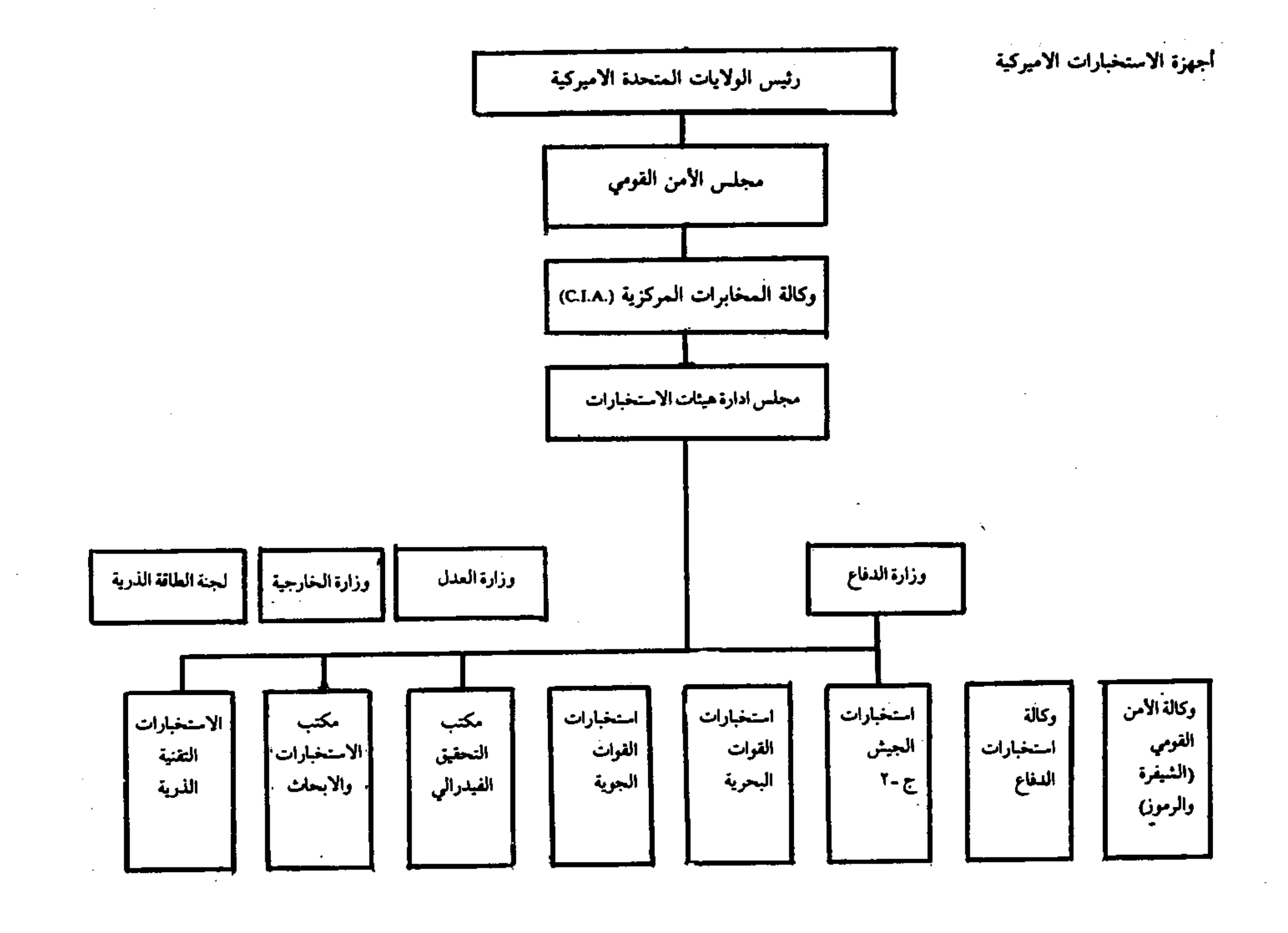
٢ ـ حافظ ابراهيم خيرالله «الاستخبارات المركزية الأميركية». (ملف عالم الاستخبارات رقم ٥). حزيران/ يونيو ١٩٧١. ص ٨ ـ ١٤ و٣٤.

٣ ـ سعيد الجزائري «المخابرات والعالم». مطبعة الحياة. بيروت. الطبعة الثانية. لا. ت. ص ٢٣٧ ـ ٢٤٤.

٤ ـ نزار عمار «الاستخبارات الاسرائيلية». المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ص ٢٤٤.

٥ ـ «ستانسفيلد تيرنر» المخابرات في ظل نظام عالمي جديد» (سلسلة مقالات معرّبة صادرة عن مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق. رقم ٥). بيروت. لا. ت. ص ٨.

أجهزة الاستخبارات الاميركية



كريستوف كولومبس
وإبادة الهنود الحمر في أمريكا

كثيرون من العظماء والعباقرة ذهبوا ضحية عبقريتهم ونبوغهم وتفوقهم، في مختلف العصور والأزمنة؛ ومنهم كثيرون أيضاً من رحلوا عن هذه الدنيا، ولم يدركوا أنهم دخلوا قاموس الاختراع والاكتشاف، حتى ولو كان هذا الاكتشاف بحجم قارة بكاملها، إن لم يكن أكبر.

هكذا هو الحال مع مكتشف القارة الأميركية، كريستوف كولومبس، أول بحار أوروبي وطئت قدماه أراضي أميركا الوسطى والشمالية عام ١٤٩٢، بعد استحصاله على مساعدات مادية من البلاط الاسباني، وبالتحديد من الملكة ايزابيلا.

فكيف كان ذلك؟ وما هي أسرار عملية اكتشاف أميركا؟.

يتطرق المليونير العالمي «هنري فورد» وعبقري الصناعة الأميركي الى ذلك قائلاً، بأن تاريخ اليهود في أميركا يبدأ مع كريستوف كولومبس. حيث أخرج أكثر من ثلاثماية ألف يهودي من اسبانيا في الثاني من أغسطس عام ١٤٩٢. وفي اليوم التالي، أي في الثالث منه، أبحر كولومبس الى الغرب، حاملاً معه عدداً من اليهود. ويؤكد بأن جواهر الملكة الاسبانية ايزابيلا هي التي تولّت الانفاق على رحلة الاكتشاف.

وكان هناك ثلاثة من «اليهود المتسترين»، يملكون نفوذاً ضخماً في البلاط الاسباني، وأولهم «لويس دي سانتاغيل» وهو تاجر كبير الأهمية في «ڤالنسيا» وملتزم الضرائب الملكية. وثانيهم «غابرييل سانشيز» وكان ناظر

الخزينة الملكية. وثالثهم «خوان كابريرد» أمين الملك ورئيس تشريفاته. وظل هؤلاء الثلاثة يعملون على إغراء الملكة ايزابيلا، ويشبعون خيالاتها بالأوهام، مصورين لها خواء الخزينة الملكية، واحتمال قيام كولومبس باكتشاف الذهب الخرافي في الهند الغربية، ونجحوا في اقناعها بتقديم مجوهراتها لتمويل المشروع. وهنا طلع «سانتاغيل» باقتراحه طالباً السماح له بتقديم المال من خزانته، وبالفعل قدّم ما يعادل أربعين ألف جنيه استرليني اليوم.

واشترك مع كولومبس في الرحلة خمسة من اليهود على الأقل، وهم «لويس دي توريز» (الترجمان)، وماركو (الجرّاح)، وبيرنال (الطبيب)، وألونزو دي لاكال، وغابرييل سانشيز.

وحصل أنصار كولومبس القدماء من أمثال لويس دي سانتاغيل، وغابرييل سانشيز، على عدد من الامتيازات مكافأة لهم على الدور الذي قاموا به في العمل. أما كولومبس نفسه فقد غدا ضحية المؤامرة التي حاك خيوطها الطبيب بيرنال (طبيب الباخرة)، وعانى من آلام السجن والاجحاف والعذاب في أواخر أيامه، ما لا يوصف، جزاء ما قام به من عمل.

والأكثر من ذلك، فإنه مات دون أن يعلم أنه اكتشف قارة جديدة. من هنا، كان الشاعر العربي اللبناني ابراهيم اليازجي صادقاً جداً حين قال بهذا الصدد:

لو كنت أقدر أن أعاقب أبحراً	قاسى بها كولومبس الأهوال
لنزعت منها درّها وجعلته	فوق الضريح لمجده تمثالا

والواقع أن تدفق المستوطنين الأوروبيين الى القارة الأميركية الجديدة، ترافق مع خطوات السيطرة الاستعمارية المباشرة، ونهب الثروات الطبيعية، وأسوأ تجارة رقيق أفرغت سكان غرب ووسط أفريقيا. وقد تزامن ذلك مع إبادة سكان أمريكا الأصليين، وتدمير سبل معيشتهم. لذلك، فقد ارتبط تاريخ

الهنود الحمر في القرون الأربعة الماضية، مع تاريخ الارهاب الأمريكي الاستيطاني. وقد توالت اكتشافات كريستوف كولومبس بين سنوات ١٤٩٢ و١٥٠٢، في خمس رحلات متتالية. وفي اعتقاده أنه أدرك شواطىء آسيا الشرقية، من خلال دورانه حول الكرة الأرضية.

ومنذ البدء أشفق كولومبس على سكان أمريكا الهنود الأصليين، وانحاز إليهم ضد بطش المستوطنين الأوروبيين الذين تدفقوا خلفه الى القارة الجديدة. فكتب الى ملك وملكة اسبانيا، يصف الهنود الحمر (وهم ليسوا حمراً بل سمراً كانوا يصبغون بشرتهم بصباغ أحمر، ويشكون ريش الطيور على رؤوسهم كتقليد محلي بدائي) بهذه العبارات الرقيقة:

«هؤلاء الناس طيبون جداً، ومسالمون جداً. بحيث أني أقسم لجلالتيكما، أنه لا توجد في العالم أمة أفضل منهم. انهم يحبون جيرانهم أكثر مما يحبون أنفسهم. كما أن حديثهم دائم الحلاوة واللطف، ويرافق دائماً بابتسامة. ورغم أنهم فعلاً عراة، إلا أن سلوكهم محتشم وجدير بالإطراء».

وللتدليل على صدق أقواله، أحضر معه كولومبس الى اسبانيا عشرة أفراد من قبيلة «التانيو».

ولكن انسانيته وعطفه على الهنود الحمر، وفضحه لتصرفات الغزاة الأوروبيين الوحشية، أغاظت ملك اسبانيا. فحنق عليه بدسائس مساعديه اليهود ومنع عنه كل مساعدة، فمات فقيراً حزيناً منسياً سنة ١٥٠٦. ويقال أيضاً بأنه قتل قتلاً، وعلى أيدي اليهود تحديداً.

إلا أن مكتشفاً ايطالياً آخر عقب كولومبس وطوّر اكتشافاته، ووسّع دائرتها، وكان يدعى «أميركو فاسبوتشي» فأطلق اسمه على القارة الجديدة، بينما لم يطلق اسم كولومبس إلا على كولومبيا فقط.

وبعد ذلك تدفق المستوطنون الأوروبيون بعشرات الألوف، من

بريطانيين وإسبان وبرتغاليين وهولنديين وسواهم، فارتكبوا المذابح الفظيعة ضد سكان هذه القارة البدائيين البسطاء، فقضى منهم في القرون الأربعة الماضية، ما لا يقلّ عن عشرة ملايين شخص، وسلبوهم أراضيهم قطعة قطعة وما فيها من موادٍ خام، وخيرات الطبيعة. وباعوا الكثير منهم كعبيد. وقد عرف الهندي الأحمر بعلاقته الحميمة بالطبيعة، والتصاقه بالأرض وما عليها. فلا يؤذي حيواناً، ولا يصطاد منه إلا الضار. ومجتمعه أمومي، اذ للمرأة فيه الكلمة الأولى في تعيين المسؤول عن القبيلة، وهي المرجع العائلي الأول.

فقاوم الهنود الحمر الغزاة الشرسين، بكل شجاعة واستبسال، وسلاحهم قوس ونشاب ورمح وسكين. ثم أخذوا يوقعون معاهدات سلم مع قادة المحاربين، الذين كانوا أعضاء في شركات سكك الحديد ومناجم الذهب ومناشر الأشجار.

ولكن ما كاد يجف حبر هذه المعاهدات، حتى كان الغزاة يخالفونها. فيحاصرون الهنود ويهجّرونهم أو يبيعونهم بلا رحمة. فيتناقص عددهم دائماً وباستمرار.

وكانت هذه المجازر تتكرر، حيثما مرّ قطار أو شيّدت قلعة، أو كشف ذهب، أو سرح قطيع العجول البرية «بوفالو». حتى لم يبق للهنود الحمر إلا أعالي الجبال الجرداء المكسوة بالثلوج. ولم ينفع الحوار مع المستوطنين البيض، ولا الاتفاقات.

وبتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٨٦٤، تعرضت قبيلتان من قبائل الهنود الحمر في مقاطعة «كولورادو» الى مذبحة هائلة على يد الأميركيين، وتسمى هذه الواقعة بمذبحة «تشيفنغتون Chivington» نسبة الى الضابط الأميركي الذي نفذها، وتعرف أيضاً بمذبحة «ساند كريك».

وهكذا أبيدت شعوب هندية بأكملها. واندثرت لغاتها وحضاراتها. وما بقي منها إلا ألبستها وأزيائها، تعرض في المتاحف والأفلام السينمائية من انتاج «هوليود» خاصة. والقلة الباقية منهم، وهي دون المليون نسمة، ما

زالت تطالب بحق ملكية هذا الجبل أو ذاك، مستندة الى القانون الذي محاها من الوجود أو كاد. انها في الواقع إبادة منظمة لشعب أصلي في أميركا، تحاول أميركا اليوم أن تصدّر هذه الظاهرة الى الوطن العربي، لإبادة الشعب العربي في فلسطين عن، طريق أحفاد أولئك الذين غدروا بكولومبس وبالهنود الحمر ذاتهم.

انها عملية تصدير إبادة البشر بأحدث وسائل العصر وأساليبه. هذا وفي سنة ١٩٧٧، أسس الهنود الحمر «حركة التحرير الهندية الأمريكية». فقبلت عضواً في هيئة المنظمات غير الحكومية التابعة للأمم المتحدة.

وفي سبتمبر ١٩٧٧، عقد في جنيف مؤتمر برعاية الأمم المتحدة، لبحث التمييز الذي تتعرض له الشعوب الأصلية في أمريكا. فدرس تقريراً قدمه المجلس الدولي الخاص بمراعاة الاتفاقات المعقودة مع قبائل الهنود الحمر. وفي نفس المؤتمر قالت رئيسة حركة الهنود الحمر الأمريكيين أنه «تجري في الولايات المتحدة على أطفال الهنود الحمر تجارب طبية، وكأنهم خنازير». وقدّمت أدلّة على ذلك كان قد جمعها السناتور (اللبناني الأصل)، جيمس أبورزق.

كما وضعت أمام المؤتمر تقارير، حول تعقيم أربعين بالمئة من نساء الهنود الحمر، في بعض المناطق السكنية المخصصة لهن، دون موافقتهن. وفي منطقة أمريكية تدعى «باين ريدج»، أفيد أن العديد من الأمريكيين البيض، ما زالوا يمارسون هواية صيد الهنود.

وقد حفزت هذه الممارسات اللا انسانية الهنود الحمر، في أوائل ١٩٧٨، للتنادي من كل أنحاء الولايات المتحدة والتجمع في واشنطن، حيث ساروا بمظاهرات كبيرة تفضح هذه الممارسات التي ما زالوا يعانونها.

يقدر عدد الهنود الحمر الأصلي، أي قبل مجيء الأوروبيين، بحوالي خمسة عشر مليوناً. أما اليوم، وبفعل الإبادة المتمادية، فقد تدنّى عددهم الى ما يقارب المليون الواحد. ولم يعد لهم من الأراضي التي كانوا يستغلونها سوى ٤٪ من مساحتها.

وقد بلغ عدد المعاهدات التي عقدوها مع حكومة الولايات المتحدة، أكثر من ثلاثماية. وقلّما احترمت وطبقت أيّاً منها بالتمام.

أما حالياً، فاستخراج المواد الأولية لصناعة القنبلة الذرية، وتحضيرها، يجريان غالباً في الأراضي التي يشغلها أو كان يشغلها الهنود. وذلك ما يلحق أفدح الأضرار الصحية بهم وبمستقبل أجيالهم.

ويقول السيد «بغي بارنت»، المسؤول الإداري لمجلس المعاهدات الهندي الذي يضم ٩٨ قبيلة هندية، أن معدل النمو السكاني للهنود يبلغ الصفر، بسبب استمرار حملات التعقيم الإلزامي ضدهم، لمنعهم من الإنجاب. وأن العديد منهم ما زالوا يتعرضون للتهجير القسري من أماكن إقامتهم، من قبل الحكومة الأمريكية، بحجة البحث عن مناجم الفحم واليورانيوم.

أما مجموع عدد الهنود الحمر في الأمريكيتين، الشمالية والجنوبية، فيبلغ زهاء الثمانين مليوناً.

ومن أبرز المهتمين الحاليين بالدفاع عن قضايا الهنود الحمر، الرئيس الجزائري الأسبق «أحمد بن بلّلا». ففي مقابلة صحفية معه صرح بأن الهنود ما زالوا يتعرضون حتى الآن لحملات القتل الجماعي. وفي البرازيل، تنظم أسبوعياً رحلات صيد عليهم. وهذه الرحلات تجري في جميع فصول السنة، بينما صيد الحيوانات تمنع في بعضها. وإن جلودهم وشعورهم تباع في أسواق أميركا، مثلما تباع جلود الغزلان والنمور. ومنذ خمس سنوات فقط بيعت كمية من جلود الهنود الحمر في كركاس بأثمان غالية، وبعض الأمريكيين الأثرياء يقصدون شراء هذه الجلود للإحتفاظ بها في بيوتهم كهدايا ثمينة أو كتحف نادرة.

ويصرّح الرئيس بن بلّلا أن الهنود أطلعوه على فيلم يصور تعذيبهم ومحاولة إبادتهم من قبل الأمريكيين. وكان الفيلم يروي قصة جزيرة كاتراس التي أبادها الأمريكيون البيض.

وفي حياتهم الخاصة لا يوجد أي مظهر للسلطة الخارجية أو الفوقية. فمجالسهم العائلية هي التي تسيّر أمورهم. كما أنهم يمنعون أي شرطي أو حرس أمريكي أو كندي من التدخل في أمورهم، لأنهم يتصورونه الرجل البشع الذي يريد إبادتهم.

أما دينهم فيحرم عليهم أكل بعض النباتات أو قتل الحيوانات غير الضارة. فالأرض برأيهم هي أمهم الأولى. ولا يجوز اصطياد النسر لأنه يرمز الى الحرية.

ولا يحبون التعامل بالأموال النقدية بتاتاً، ويخافون التلوث من ملامستها، لأنها تتعارض مع نمط عيشهم. كما أنهم يغارون على ثقافتهم ودينهم، ويطردون القساوسة الذين يأتونهم مبشرين بالدين المسيحي. ومنعوا تشييد أية كنيسة في مناطقهم.

ويذكر الرئيس بن بلّلا أنه دخل مرة أحد المطاعم برفقة بعض أصدقائه من السود، ولكن الخادم رفض تقديم الطعام بسبب اصطحابه للملوّنين. فاغتاظ وخرج من المطعم بعد توبيخ مديره على هذه العنصرية الفاضحة.

ان التمييز العنصري في الولايات المتحدة الأميركية متجذّر فيها منذ أن استباحها المستعمرون الأوروبيون، مدّعو المدنيّة والحضارة والديمقراطية. ولكن العالم كله، من أقصاه الى أقصاه، يدرك تماماً عن أية مدنيّة وحضارة وديمقراطية يتكلم هؤلاء العنصريون.

وهل هناك غير ديمقراطية الإبادة البشرية، وحضارة القتل والنهب، ومدنيّة المتاجرة بالإنسان كسلعة تباع وتشرى في أسواق النخاسة؟

وفوق كل ذلك، يعودون ليوقّعوا على شرعة حقوق الانسان وحرياته.

فصّدقوا أو لا تصّدقوا.

المراجع

١ ـ هنري فورد «اليهودي العالمي» ترجمة خيري حماد. دار الأفاق الجديدة. بيروت ١٩٦٢. ص ١٨ ـ ١٩.

٢ ـ محمد ميشال غريّب. «حقوق الانسان وحرياته الأساسية» بيروت ١٩٨٦. ص ١١٠ ـ ١١٩.

٣ ـ الموسوعة العسكرية بإشراف المقدم الهيثم الأيوبي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. الجزء الثالث. ص ٦٩٢ ـ ٦٩٣.

٤ ـ دين براون «تاريخ الهنود الحمر» ترجمة توفيق الأسدي. منشورات دار الحوار. اللاذقية ـ سوريا.

٥ ـ فارس غلوب «جريدة السفير» البيروتية بتاريخ ١٢/١٢/١٩٧٨.

٦ ـ «لوموند ديبلوماتيك Le Monde Diplomatique». مجلة اسبوعية تصدر في باريس. تشرين الأول/اكتوبر ١٩٨١.

الصحافة الاميركية
بين استقلاليتها والغول اليهودي

مثّلت الصحافة، ولا تزال، البوق الاعلامي الأكثر أهمية وخطورة في الوقت نفسه، وفي مختلف الحقول. وكان اليهود والصهاينة من أوائل الذين أولوا اهتماماً فائقاً بهذه القضية؛ وقد عبر عن ذلك أحد بروتوكولاتهم المعروفة بـ «بروتوكولات حكماء صهيون» وهو البروتوكول الثاني عشر الذي أكد قولهم: «سنمتطي صهوة الصحافة ونكبح جماحها، وسنفعل مثل ذلك أيضاً بالنسبة الى المواد المطبوعة الأخرى، اذ لا جدوى من تخلصنا من الحملات الصحفية، اذا كنا معرضين للنقد عن طريق المنشورات والكتب».

وعندما كان طبيعياً أن ينبري أناس كثر، يقاومون مخططات اليهود ونفوذهم، حتى في نيويورك نفسها، فقد مثّلت قضية الصحفي «جيمس غوردون بنيت» وصحيفته «النيويورك هيرالد» أحد النماذج البارزة في هذا الإطار

فما هي تفاصيل هذه القضية؟ وما هي أسرارها؟.

إن أول ردّ غريزي يقابل به اليهودي، ما يوجّه الى عنصره من نقد من غير اليهود، هو العنف، إما عن طريق التهديد به أو إيقاعه. ولا ريب في أن مئات الألوف من المواطنين في الولايات المتحدة يؤيدون هذا القول. اذ رأوه بأعينهم واستمعوا اليه بآذانهم.

فإذا كان هذا الرجل الذي أثـار القضية اليهـودية من العـاملين في حقل التجارة فإنه يتعرض «للمقاطعة» على أنهـا الرد الأول الـذي يفكر فيـه اليهود. وسواء كان هذا الرجل يملك صحيفة أو مؤسسة تجارية أو فندقـاً أو مسرحـاً أو مصنعاً، وكان قد جعل شعـاره «أنا أبيـع بضاعتي ولا أبيـع مبادئي»، فـإن الرد الأول الذي يلقاه من جميع ذويَ العلاقة التجارية به هو «المقاطعة».

أما الطريقة التي تتم فيها هذه المقاطعة فهي على النحو التالي: «حملة همس» في البـدايـة، ثم تنتشـر شـائعـات مـزعجـة بشكـل سـريـع، ويسمـع القول. . . «انظروا ماذا نعمل بـه». ويتبنى اليهود القـائمون والمشـرفون على وكالات الأنباء الشعار القائل «إشاعة واحدة في كل يوم» و«عنوان مهين في كل يوم».

أَلَمْ يكن الأميـر شكيب أرسلان صـادقاً عنـدما قـال «اذا أردت أن تقتل إنساناً فلا تطلق عليه رصاصة، بل أطلق عليه إشاعة»، فكيف اذا كان بمعـدل «إشاعة في كل يوم؟».

وقصة الصحفي الأميركي «جيمس غوردون بنيت» تمثل إحـدى المعارك الكبرى التي خاضها اليهود بنجاح، لإخفات صوت الصحافة المستقلة.

تتنـاول هذه القصـة، صحيفـة «النيـويـورك هيـرالـد»، وهي الصحيفـة الوحيدة التي حاولت الاحتفاظ بـاستقلالهـا عن النفوذ اليهـودي في نيويـورك. وقـد استمرت هـذه الصحيفة في الـظهور تسعين عـاماً انتهت في عـام ١٩٢٠ بعملية الإدماج التي لم يكن ثمة مناص منها، وقد حققت أعمـالاً عظيمـة في ميـدان جمـع الأنبـاء وقـد بعثت بهنـري ستـانلي الى أفـريقيـا للعثـور على ليفنغستـون؛ ودعمت ماليـاً حملة جـانيت الى القـطب الشمـالي. وكـانت من الصحف الأولى في الاعتمـاد على البـرقيـات عبـر المحيط الأطلسي. وكــان المعروف عنها بين رجال الصحافة أن أنباءها وتعليقاتها لا تباع ولا تتأثر بنفوذ. ولعل أعظم مـآثرهـا أنها تمكنت لسنـوات طويلة من الحفـاظ على استقلالهـا الصحفي أمـام الهجمات المشتـركة التي شنّتهـا اليهوديـة النيويـوركية عليهـا.

وكان صاحبها «جيمس غوردون بنيت» مواطناً أميركياً عظيماً اشتهر بالمساعدات التي كان يقدمها، واحتفظ دائماً بموقفه الودّي من يهود مدينته. وكان من الواضح أنه لا يحمل أية حزازات تجاههم. ولم يثر غضبهم بصورة متعمده مرة من المرات. لكنه كان مصمماً على الحفاظ على شرف الصحافة المستقلة. ولم يكن يخضع للسياسة القائلة بأن من حق المعلنين التدخل في سياسة الصحيفة التحريرية، سواء من ناحية ايجابية أو من ناحية سلبية. وكانت الصحافة الأميركية في عهد «بنيت» حرّة على الغالب. أما الآن فقد غدت في مجموعها تحت سيطرة اليهود والصهيونية. وهم يمارسون هذه السيطرة في أشكال مختلفة وكثيراً ما تكون متمثلة في شعور الصحفي بالمصلحة. ولكن السيطرة قائمة وهي مطلقة. وكان عدد الصحف في نيويورك قبل خمسين عاماً أكثر من عددها الآن، وذلك لأن عمليات الدمج قلّلت عدد الصحف بعد أن اختفت المنافسة بينها. وقد وقع مثل هذا التطور في البلاد الأخرى وفي طليعتها بريطانيا.

وهكذا كانت الـ «هيرالد» التي تباع بثلاث سنتات، تتمتع بمكانة كبيرة. وكان المعلنون يؤثرونها على غيرها بسبب انتشار توزيعها. ولم يكن عدد سكان نيويورك آنذاك يربو على ثلث عددهم اليوم، لكن الثروة كانت ممثلة في المدينة أكثر من غيرها. ويعرف كل من يعمل في الصحافة ان ما يهتم به كبار القادة اليهود هو إما نشر قصة معينة أو الحيلولة دون نشر قصة أخرى. وليس ثمة من فئة أشد عناية من اليهود بقراءة الصحف، والإمعان في محتوياتها. وقد اتبعت الـ «هيرالد» سياسة مقررة منذ نشوئها وهي أن لا تسمح لأحد بالسيطرة على ناحيتها الاخبارية. وكان لهذه السياسة انعكاس طيب على صحف المدينة الأخرى.

فعندما تقع فضيحة من الفضائح في الأوساط اليهودية، وكان عدد الفضائح في ازدياد في نهاية القرن الماضي نتيجة تضخم النفوذ اليهودي في أمريكا، كان اليهود من أصحاب النفوذ يهرعون الى مكاتب الصحف للعمل

على الحيلولة دون نشرها، ولكن رؤساء التحرير يعرفون أن الـ «هيرالد» ستنشر القصة، اذ أنها لا تتأثر بالنفوذ اليهودي، وكانوا يقولون... ما الفائدة من عدم نشر القصة في هذه الصحيفة طالما أنها ستنشر في صحيفة أخرى؟ ثم يقولون لزائريهم... نحن على أتم الاستعداد لعدم نشر القصة، ولكن الـ «هيرالد» ستنشرها، ولذا فنحن ملزمون بنشرها دفاعاً عن صحفنا، وعلى أي حال اذا تمكنتم من وقفها هناك، فسنوقفها نحن أيضاً...

ولكن الـ «هيرالد» لم تكن لتذعن لا لضغط ولا لنفوذ ولا لوعود أو إغراء أو تهديد بالخسارة. فهي تنشر كل ما يصل اليها.

وكان هناك ثري يهودي كثيراً ما ألحّ على الـ «هيرالد» بإقالة محررها المالي، حيث كان هذا الثري على وشك التخلص من أسهم مكسيكية في حيازته، في وقت لم تكن هذه الأسهم ثابتة في السوق. وعندما كان الرجل على وشك التخلص منها وبيعها الى الأمريكيين، نشرت الـ «هيرالد» نبأ عن احتمال نشوب ثورة في المكسيك ما لبثت أن وقعت بالفعل، وكاد الرجل يحترق غيظاً. فبذل كل جهد ممكن لحمل الصحيفة على التخلص من محرري زاويتها المالية، ولكنه لم يفلح حتى في التخلص من أحد الأذنة.

وحدثت ذات يوم فضيحة كبيرة كان بطلها رجل ينتمي الى أسرة يهودية مشهورة، ورفض «بنيت» وقف نشر القصة قائلاً أنها لو حدثت في أسرة أخرى لما توقف نشرها على الرغم من بروز الشخصيات التي تتناولهم، وقد تمكن يهود فيلادلفيا من قتل الفضيحة في مدينتهم. ولكنها انتشرت في نيويورك بسبب موقف «جيمس بنيت».

والعمل الصحفي عمل تجاري، وهناك مواضيع لا تستطيع الصحف التعرض اليها. اذ يهددها هذا التعرض بأن تغدو صحيفة فاشلة، وقد أصبح هذا حقيقة واقعة ولا سيما بعد أن غدا المعلن لا القارىء هو العمود الفقري للصحيفة. فالمبلغ الذي يدفعه القارىء ثمناً للصحيفة لا يكاد يفي بثمن الورق الذي تطبع عليه.

وعلى هذا فليس في وسع الصحيفة أن تتجاهل المعلنين. ولما كان معظم المعلنين الكبار في نيويورك هم أصحاب الحوانيت الكبيرة التي تبيع مختلف السلع، ولما كان معظم هؤلاء من اليهود، يغدو من المنطق أن يصبح لليهود تأثير على ما تنشره الصحف التي يتعاملون معها من أنباء.

وكانت مطامح اليهود متجهة في هذا الوقت وبصورة عنيفة الى انتخاب يهودي رئيساً لبلدية نيويورك، واختاروا فرصة كان الخلاف فيها على أشده بين الأحزاب الكبيرة، ودفعوا بمرشحهم الى الأمام. وكانت الطريقة التي اتبعها اليهود نموذجية. فقد اعتقدوا أن الصحف لن تجرؤ على رفض ما تمليه عليهم المصالح الإعلانية الضخمة، وبعثوا برسالة «مكتومة للغاية» الى أصحاب الصحف في نيويورك يطلبون إليهم فيها دعم المرشح اليهودي لرئاسة البلدية. وحار أصحاب الصحف في أمرهم، وظلوا أياماً عدة يناقشون هذا الموضوع فيما بينهم، وصمت الجميع.

وبعث محررو الـ «هيرالد» برقياً بالنبأ الى «بنيت» الذي كان في الخارج آنذاك. وهنا أظهر «بنيت» ما تميز به من جرأة وصواب في الحكم. فأبرق الى صحيفته قائلاً: «انشروا الرسالة». ونشرت «النيويورك هيرالد» الرسالة التي عرضت غطرسة المعلنين اليهود، وتنفست نيويورك الصعداء.

وقالت الـ «هيرالد» أنها لا تستطيع تأييد مرشح المصالح الشخصية، لأنها كرست نفسها لخدمة المصلحة العامة. ولكن الزعماء اليهود أقسموا على الثأر من الـ «هيرالد» ومن الرجل الذي جرؤ على كشف لعبتهم، وهم الذين كانوا قد كرهوه منذ أمد بعيد، لا سيما وأن صحيفته هي «صحيفة المجتمع» في نيويورك، ولا ينشر إلا أنباء الأسر البارزة فعلاً.

ونشبت الحرب بين «جيمس بنيت» وبين «ناثان شتراوس»، وهو يهودي الماني يملك تجارة ضخمة تحمل اسم «ماكي وشركاه»، وهو اسم الاسكتلندي صاحب الشركة الأول، التي باعها ورثته الى شتراوس. وقد نشبت معركة بين الرجلين بسبب رفض «بنيت»، تسمية شتراوس بالرجل

الانساني، وتطورت الى أن شملت كل ناحية من النواحي وبينها قضية تعقيم الحليب.

ووقف اليهود الى جانب شتراوس بالطبع. وأخذ الخطباء اليهود يهاجمون «جيمس بنيت» ويصورونه بصورة الرجل الذي يضطهد يهودياً نبيلاً كشتراوس. وقد مضوا في حملتهم على الرجل الى الحد الأقصى الذي دفعهم الى استخلاص قرارات من مجلس الطائفة.

وكان شتراوس وهو من كبار المعلنين طبعاً قد سحب كل إعلاناته من صحيفة الـ «هيرالد» منذ أمد بعيد. أما الآن فقد تكاتفت العناصر اليهودية ذات السلطات في نيويورك لتوجه ضربة ساحقة الى «بنيت». فقد تعرضت السياسة اليهودية «إما السيطرة وإما التدمير» للهزيمة. ولذا فقد أعلنت اليهودية الحرب العامة على الرجل.

وسحب جميع المعلنين إعلاناتهم من الصحيفة دفعة واحدة، وكان عذرهم أنها تظهر عداءً لليهود. أما الهدف الحقيقي فهو أن يسحقوا صحيفة أمريكية جرؤت على البقاء مستقلة عنهم.

وكانت الضربة التي وجهوها عنيفة للغاية. فقد عنت خسارة ستمائة ألف دولار في العام. ولو وجهت ضربة مماثلة الى أية صحيفة أخرى في نيويورك لتحطمت فوراً. وكان اليهود يعرفون ذلك، ولذا فقد أخلدوا الى الراحة مرتقبين سقوط الرجل الكبير الذي اختاروا مناصبته العداء.

ولكن «بنيت» كان مناضلاً شرساً؛ وكان بالإضافة الى ذلك يعرف النفسية اليهودية أكثر من أي انسان آخر من غير اليهود في نيويورك. وسرعان ما شرع في اتخاذ تدابير مقابلة بصورة مدهشة وعير متوقعة. فلقد كان اليهود يحتلون الأماكن البارزة في إعلانات صحيفته، وسرعان ما قدّم هذه الأماكن للتجار غير اليهود بعقود كاملة. ووجد التجار، الذين كانت إعلاناتهم تحشر في زوايا الصحيفة وصفحاتها الأخيرة، أنفسهم يحتلون الصفحات البارزة.

وقد استغل تاجر يدعى «جون واناميكر» هذا الوضع، فاحتلت إعلاناته مكاناً بارزاً ضخماً في صحيفة «بنيت» التي ظلت تواصل صدورها وتوزيعها الذي لم يهبط. وهكذا لم تنجح الخطة المدروسة التي وضعها اليهود، بل وقعت على النقيض مفاجأة مضحكة. فقد أتيح المجال لغير اليهود من تجار أميركا أن يحتلوا مكاناً بارزاً في الوسط الإعلاني، بينما لم يعد لليهود وجود فيه. ولم يستطع اليهود التفكير في احتمال تحول التجارة الى غيرهم من التجار، وسرعان ما عادوا يطلبون اليه السماح بعودة إعلاناتهم الى صحيفته. وهكذا كانت «المقاطعة» سبباً في الأضرار بفارضيها لا بالمفروضة عليه. واستقبل «بنيت» كل من عاد اليه منهم دون أن يظهر ضغينة أو حقداً، وطلبوا أن تعاد اليهم أماكن إعلاناتهم السابقة، فرد «بنيت» بالنفي. وناقشوه، وظل الرجل على صلابته. وعرضوا عليه أجوراً أعلى ولكنه رفض لأن الأماكن البارزة في الصحيفة قد أجّرت لمدة طويلة.

وانتصر «بنيت»، ولكن انتصاره كان غالي التكاليف. فلقد كان سلطان اليهود ينمو في نيويورك طيلة الوقت الذي كان الرجل فيه يقاومهم، وكانوا قد وقعوا تحت تسلّط الفكرة التي تقول بأن سيطرتهم على صحافة نيويورك تعني سيطرتهم على الفكر الأمريكي في البلاد كلها

وسرعان ما هبط عدد الصحف في المدينة عن طريق الدمج. وابتاع يهودي من فيلادلفيا هو «أدولف أوخس» صحيفة «النيويورك تايمس». وسرعان ما أحالها الى صحيفة كبرى هدفها الأساسي خدمة اليهود.

ومضى الاتجاه اليهودي في السيطرة على الصحافة في طريقه قوياً عنيفاً. وسرعان ما اختفت الأسماء القديمة العظيمة التي رفعتها الى الشهرة جهود الصحفيين الامريكيين الكبار.

وتستند الصحيفة إما الى الدماغ الصحفي العظيم الذي يجعلها تعبيراً عن شخصية قوية، أو الى السياسة المنسّقة التي تجعل منها مؤسسة تجارية، تغدو إمكانياتها في البقاء والاستمرار بعد وفاة مؤسسها أكبر وأقوى.

أما الـ «هيرالد» فكانت تعبيراً عن «بنيت». وكان من الطبيعي أن تفقد بعد وفاته الكثير من قوتها وفضيلتها. وخشي «جيمس بنيت» بعد أن تقدم في السن أن تسقط صحيفته بعد وفاته في أيدي اليهود، وكان يعرف أن اليهود يتطلعون الى ذلك بشوق ولهفة، وهو يعرف كيف أنهم تمكنوا في النهاية من السيطرة على صحف أو وكالات جرؤت على أن تقول الحقيقة عنهم، وتبجحوا بذلك.

وقد أحب بنيت الـ «هيرالد» كما يحب الانسان طفله. ولذا فقد وضع وصيته بشكل يضمن عدم تحولها الى ملكية فردية، ونص فيها على أن يمضي دخلها الى صندوق ينتفع منه جميع الرجال الذين أسهموا في خدمة الصحيفة ورفعها. وتوفي في مايو ١٩١٩، وكان اليهود يراقبون الوضع. وسرعان ما سحبوا إعلاناتهم من الصحيفة ليرغموا القائمين عليها على بيعها، وكانوا يعرفون أن الـ «هيرالد» اذا غدت مشروعاً خاسراً فإن مجلس الأمناء لن يجد سبيلاً إلا بيعها على الرغم من وصية «بنيت».

ولكن كانت هناك مصالح أخرى في نيويورك قد بدأت تدرك خطر الصحافة اليهودية. وقد أمّنت هذه المصالح «لفرانك مونسي» المبلغ اللازم لشراء الصحيفة. وكانت مفاجأة عامة عندما أوقف الرجل إصدار الصحيفة القديمة الباسلة، وجعلها جزءاً من صحيفته «النيويورك سن».

وهكذا اختفت صحيفة «بنيت»، وتفرّق الرجال الذين عملوا فيها شذر مذر في الحقل الصحفي، بينما تقاعد بعضهم أو انتقل عن هذه الدنيا.

وقد بقيت هذه الصحيفة بمثابة «شوكة في حلق اليهود» و«خنجراً في خاصرتهم» لأنهم أعداء الحق والحقيقة في كل زمان ومكان. ومن كان سمّه أخطر من سمّ الأفاعي الرقطاء، وأفعاله أبشع من أن يتصوّرها عقل بشري، فلا يمكنه أن ينتمي الى بني البشر، والانسانية منه ومن أمثاله براء.

الاخطبوط الصهيوني وأسرار عملية اغتيال «أديسون العرب» حسن كامل الصبّاح في أميركا

قد يكون باستطاعة القوة الغاشمة الجائرة أن تغتصب «الأرض»، وأن تغتال «الأفراد» وأن تبيد «الجيوش والمؤسسات»، ولكنه يستحيل عليها، مهما طغى جبروتها، اغتصاب «الوطن» واغتيال «الشعب»، وإبادة «الأمة وشخصيتها القومية».

وقد يكون باستطاعتها كذلك، أن تزيّف «كتاباً» أو تزوّر «خارطة» أو أن تنهب «أثراً» أو تزيل «معلماً»، ولكنه يستحيل عليها، مهما تمادت في غيّها، تزييف «التاريخ» أو تزوير الجغرافيا أو تجيير «التراث» أو طمسه.

وعندما تفشل «الأرض» تحت ظرف القهر والاحتلال والاغتصاب، من أداء مهمتها كوعاء «للوطن» يحتضن آثاره وقيمه، ويشهد على هويته وتاريخه، يتلقف المواطن هذه المهمة ويصبح هو الوعاء الحاضن الشاهد، وتصبح الذاكرة بديل «الأرض». وما من قوة بقادرة على قهر الذاكرة أو دحر الوجدان، خصوصاً وأن الذاكرة بطبعها عدوّة للقهر. ضمن هذا الإطار فإن الكتابة عن حياة رجالاتنا الرجال، الذين ساهموا في رفع المشاعل وحملها، علماً وأدباً وفكراً ونضالاً واختراعاً، تحتل مكانة هامة في عملية استرداد «الأرض» (والجنوبية منها خاصة) استكمالاً «للوطن».

ولم يكن «أديسون العرب: حسن كامل الصبّاح» إلا أحد هؤلاء الرجال

العباقرة الذين يستحيل محوهم من الذاكرة. وحقاً «من العبقرية ما قتل».

فمن هو حسن كامل الصبّاح؟ وما هي أسرار عملية اغتياله في الولايات المتحدة؟.

ولد «أديسون العرب» في النبطية جنوبي لبنان سنة ١٨٩٤. أبوه الحاج علي الصبّاح، وخاله علّامة العرب الشيخ أحمد رضا. ويعود الفضل في تربيته الأولى لأمه الحاجة آمنة رضا، ولأبيه الحاج علي. ومنذ أخذ ينشأ وينمو ويتفتح عقله، اشترك في توجيهه وتغذيته وتهذيبه وإيقاظ مداركه علمياً خاله الشيخ أحمد رضا.

وقد فعلت «العبقرية» فعلها في ذهن حسن كامل الصبّاح، مع أن العبقرية ذات حدود مهما يكن الأمر. إلا أنها عند «أديسون العرب» كانت زائدة سخيّة مفرطة، وليس في العصر الحاضر عند الغربيين وعندنا، مثيل لهذه العبقرية مهما حسبناها شديدة. فانفراده في أمريكا والعالم «بعبقريته» هو من العظم علمياً، شاهد على ما نقول. كان يعوز حسن كامل الصبّاح دولة عربية تحتضنه وتيسّر له أموره. سبعة جيوش عربية كان على يدها انهيار فلسطين سنة ١٩٤٨، ومن يدري فلو استطاع حسن كامل الصبّاح أن يكون في العراق أو السعودية من ١٩٥٣ فصاعداً، فلربما كانت موازيننا الآن غير موازين.

وعندما تكلم حسن كامل الصبّاح عن نفسه بنفسه في نشأته الأولى، قال: «كان أبي كثير التعامل مع سكان البادية الشامية. وكان في أحاديثه عنهم عاملاً قوياً في تثبيت مثلهم العليا ومنازع نفوسهم الطموح، وابائهم وشممهم وسخائهم، على صفحة دماغي. وكان خالي الشيخ أحمد رضا كثير الاهتمام بدرس الحقائق الكونية (في «المقتطف والهلال» وغيرها) وقد سادت هذه على من حولها من الأقارب، لهذا كانت أمي وشقيقاتي مولعات بآداب العرب وأشعارهم، ونوادرعظمائهم، فأصبحت أنا بحكم الطبع أنظر الى آداب العرب وعلومهم نظرة طموح وأمل. وكان ذلك مبدأ قوميتي وطموحي العلمي. وما زلت أذكر النصف الأخير من ليالي رمضان حيث كانت أمي تجلس في فناء

الدار وتحدثني عن أمجاد الوطن العربي منذ عهد الامبراطورية العربية الأولى الى عهدنا الحاضر. وأنا أردد أبيات أبي العلاء المعري وأبحث عن النجوم التي ذكرها في قصائده وأشار اليها. وهكذا بدأ هيامي لدرس الكون وحقائقه».

سنة ١٩١٤ انتقل الصبّاح من المدرسة السلطانية في بيروت الى صف الأول علمي في الجامعة الاميركية (التي كان اسمها الكلية السورية الانجيلية). وسنة ١٩١٥ دخل حسن كامل الصبّاح في الهندسة، ولكن في فبراير ١٩١٦ طلب للخدمة العسكرية في الجيش العثماني، لأن النبطية من جبل عامل، وجبل عامل تابع لولاية بيروت، وولاية بيروت غير لبنان المستقل إدارياً عن الولاية، وتابع رأساً وزارة الداخلية في الاستانة. وأعطي حسن كامل في الجيش العثماني رتبة ملازم، ونقل الى الاستانة، وألحق بسرّية التلغراف اللاسلكي التي كانت قيادتها بيد الألمان حلفاء تركيا، فاستفاد من الالمان كثيراً جداً من العلوم والنظريات والممارسة، مما ساعد طموحه وفهمه العلمي، فكان يرتوي من كل هذه حتى الشبع. وصار في منطقة غاليبولي الحربية،فاشتد تفاعل عقله وانتقل بسبب اختلاطه بالالمان من حال الى حال في علومه الرياضية العليا، حتى يبدو كأنه متخرج من الجامعة، وشهد له الالمان بهذا.

درس الالمانية فأتقنها فازداد استعداداً، للإشراق العقلي. وقدم اليه لالمان من كتبهم العلمية شيئاً وافراً يناسب طموحه، فالتهم هذه الكتب لتهاماً. وظل بها يعلو من أفق الى أفق، ولم يبخل عليه الالمان بشيء يريده، ناشتد اعجابهم به وصاروا يقيمون له وزناً علمياً.

وطالت صحبته للألمان اذ بقي معهم الى نهاية الحرب. وخلال تلك المرحلة كان حسن كامل مشغولاً بكيفية خدمة أمته العربية. وقد انكسرت المانيا وتركيا في الحرب، وبدأ البحث في وسيلة الانتقال الى بلاد العرب. فتلفّت نحو دمشق ١٩١٩، فوجدها قد قامت فيها، «الحكومة العربية»

الفيصلية، فلقي صعوبات في وسائل النقل، ولكن وجد مساعدة من القيادة العسكرية البريطانية، فوصل دمشق سنة ١٩١٩، حيث كانت وقتها «كعبة» العرب في الأماني القومية العربية، وهي خارجة من ثورة الحسين بن علي، وفيها السوري والعراقي واللبناني والفلسطيني والأردني والحجازي، يعملون معا في بناء دولة عربية. وبقي حسن كامل الصبّاح في دمشق. ثم جزئت البلاد العربية وفق معاهدة «سايكس ـ بيكو». فانتقل الى الجامعة الاميركية يدّرس الرياضيات للصفوف الثانوية حاسباً هذا ضرباً من التسلية، ريثما يعلم على أي وسادة سينام طموحه. والجدير بالذكر أن «موشيه دايان» الوزير الصهيوني، كان طالباً في هذه الجامعة وقت أن كان حسن كامل الصبّاح يدرس الرياضيات، وتتلمذ في الرياضيات عليه. وكان للصبّاح مجالات عنيفة معه لا دخل للدرس بها ـ على حد قول الزعيم العسكري في الجيش الأردني محمد سعيد العاملي، شقيق حسن كامل ـ كانت ذروة طموحه وأمانيه أن يصبح مهندساً عالمياً، لكنه لا يحب أن تكون ثمراته إلا لبلاده العربية في الدرجة الأولى.

ولما لم يجد لطموحه ميداناً وهو في لبنان، قرر أن يهاجر الى الولايات المتحدة الاميركية، لعل فرصة حسنة تؤاتيه. فكاتب جامعة بوسطن وقصدها سنة ١٩٢٢، فذهلوا من إشعاع عقله. وقالوا أنهم لم يروا له نظيراً بعد. إلا أنه ضجر من أساليب التعليم الروتيني، فهم يتوكؤون، وهو بسرعة الفهم والاستيعاب كالشهاب الثاقب، فانتقل الى جامعة إيللينوا حتى أغسطس ١٩٢٣.

وجاءه دور جديد ساقه الى شركة «جنرال الكتريك»، فدخلها واعتبر حامل شهادة الهندسة الكهربائية، وباشر عمله في ١٩٢٣/٨/٢٠، ومرتبه ١٧ دولاراً في الأسبوع، ثم زيد الى ٢٥. ثم جاءه من «جمعية تهذيب الشبيبة السورية» أربعمائة دولار كمساعدة، فقويت نفسه وقرر العودة الى الجامعة. واختار الآن جامعة «أوريانا» بعد أن مكث في «جنرال الكتريك» ثلاثة أشهر، ونال شهادة استاذ علوم متفوق. وفي أوائل آذار/مارس ١٩٢٤ عاد الى «جنرال

الكتريك» برتبة مهندس ممتاز، وكتب الى أهله في النبطية في ابريل ١٩٢٤ يشكو ضيق ذات يده، ولكنه صابر مثابر لأن الحياة جهاد وكفاح.

ولكن سرعان ما جعل عقله الوهاج يتألق عملياً الآن في «جنرال الكتريك». ويقوم بفتوحاته العلمية حتى أخذت عقارب الحسد والغيرة النهاشة تدب في قلوب من حوله من المهندسين والمديرين، وفيهم صهاينة خبثاء، من بينهم رئيس الدائرة «مستر بون» الذي كان البومة الناعبة نحو حسن كامل. وأخذت عناصر الفساد تضرب طوقاً شريراً حوله، فخدعوه وجعلوه يوقع عقداً مفاده أن جميع ما ينتجه عقله هو ملك للشركة، وهو في الواقع لم يوقّع هذا العقد وإنما زوّروه تزويراً كما ظهر بعد مماته. ووضعوا تحت يده المهندسين والموظفين، فسبح في العمل المنتج أي سباحة مذهلة.

وخلال ١٢ سنة، وهذا الدماغ العربي يقذف بالمكتشفات والاختراعات، والثمرات كلها للشركة وليس له إلا المرتب، حتى سجلوا له حسب القيود والتسجيلات الرسمية (٦٧) اختراعاً. وبكم كانوا يكافئونه على كل اختراع؟ بدولار واحد فقط لا غير. ولما طلب منهم أن ينصفوه قالوا له: «لو لم نقدم اليك الأجهزة والمكان والموظفين مجاناً، لما كان باستطاعتك عمل شيء». وكأن هذه الأجهزة هي المخترعة وليس عقل حسن كامل الصبّاح. حتى أنه في أسبوع واحد قذف بأربعة اختراعات، قال له أحد المهندسين وهو من طغمة الشر الصهيونية: «لو كنت أنت حراً وبعت هذا الاختراع بيعاً لإحدى الشركات، لاشترته الشركة منك بنصف مليون دولار بدلاً من دولار واحد».

وبقي الصبّاح يعمل ولم يكبّله اليأس. كان يتحمّل كل هذه الشناعات والجحود والنكد من الامريكان والصهاينة، ريثما ينتهي من اكتشاف الشيء الذي لو تم لكان كفيلاً بقلب العالم رأساً علىَ عقب، وهو تحويل نور الشمس الى تيارات كهربائية، ثم يعود الى بلاد العرب وفي صدره هذا الإرب. وفي هذا كان اغتياله بطريقة شيطانية على يد من هم أشبه بالعصابة

سنة ١٩٣٥. وفي شهر مارس ١٩٣٤ كتب الى والده يقول: «تكاد نفسي تزهق من بقائي في هذه البلاد. فإن أهلها السافلين لهم أدمغة البراغيث وأخلاق القرود، وألسنة حادة لا يجردونها إلا على من كان غريباً مثلي».

أحدث حسن كامل الصبّاح اختراعاً في التلفزة. ولما أعد فكرته وشرحها للشركة عجلت فسجلت هذا الاختراع في بريطانيا وفرنسا وبلجيكا واليابان وجنوب أفريقيا والهند. وقال في احدى رسائله الى أهله: «كل حسناتي وأعمالي حمد عليها الرئيس لا أنا». وفي رسالة أخرى قبل مصرعه بقليل يقول فيها الى أهله: «انني أجتاز الآن مرحلة صعبة خطيرة، أسأل الله أن ينجّيني منها، فادعوا لي الآن. دعاؤكم ورضاكم قد يخلصانني من أعداء ألدّاء يكيدون لي دائماً ويسعون لزحزحتي من طريقهم». كما يخبرهم من ناحية أخرى بحلم مفاده: أنه كان مع الأمير شكيب ارسلان في بيت كبير، ولكل منهما مركز فيه، ومركز الصبّاح فوق درجات. زيّن درابزونها بالأزهار، وقد اتفق مع الأمير شكيب على أمور متعلقة بمستقبل الأمة العربية».

وهكذا نرى أن «مستقبل الأمة العربية» كان هاجس الصبّاح الأكبر في اليقظة، كما في الحلم، في الوقت الذي يتلهى فيه الحكام العرب بخلافاتهم وصراعاتهم التي لا تخدم إلا الأعداء. فليسمع هؤلاء العرب كيف تتواطأ الامبريالية الاميركية مع الصهيونية للتخلص من الدماغ العربي الذي انتهى عام ١٩٣٥ من فكرة مشروعه لتحويل نور الشمس الى تيار كهربائي في بوادي العرب.

خابر حسن كامل الصباح حكومة العراق في هـ الأمر، ثم السعودية بعد وفاة الملك فيصل ملك العراق، وذلك بواسطة الأمير شكيب، فاطلعت «جنرال الكتريك» على ما يهتم به من هذا المشروع العظيم، واشتمت الشركة رائحة أن الصبّاح اذا خرج من أمريكا حياً ومعه دماغه فقد يحمل الحكومة السعودية أو غيرها على إمداده بالمال، فينفذ المشروع الذي بات بيت قصيده. فتركوه يتهيأ للسفر، حتى حان وقت مغادرته أمريكا ليركب طائرته

الخاصة. وقبيل أن يطير، وقعت الكارثة.

ففي السادس من اكتوبر ١٩٣٤، اشترى حسن كامل الصبّاح سيارة بنحو ستمائة دولار. وفي الثامن والعشرين من كانون الأول/ديسمبر ١٩٣٤ اشترى أيضاً طيارة صغيرة ليمتطيها في الجو الى بلاد العرب في ربيع ١٩٣٥، وثمن الطيارة (٨٥٠) دولار. فدفع من هذا الثمن ٢٠٠ دولار، وترك سيارته لدى الشركة رهناً على باقي الثمن الذي أخذ يسدده أقساطاً شهرية، وترك الطيارة في مستودع الشركة. وقبل مصرعه بيوم واحد اقترض من أحد مستخدمي الشركة (٦٠٠) دولار بكفالة رئيس الشركة.

وفي الواحد والعشرين من آذار/مارس ١٩٣٥ ذهب الصبّاح بعد الظهر مع «صديقين» له من الأمريكان الصهاينة وهما مستر «جدعون بوجل» وزوجته في سيارتهما الى «مالون» قرب نيويورك لكي يدفع القسط الأخير من ثمن الطائرة، ويتفقدها ويسترجع السيارة. فوصل ودفع القسط الأخير وطلب من المسؤولين تهيئة الطائرة وإعدادها للإستعمال.

ثلاثة صهاينة على ما يبدو دبروا المؤامرة ونفذوها، أحدهم اسمه «الكسندرسن» والثاني «برنس» والثالث «بوجل» الذي على يده كان المصرع.

وهكذا وقعت الكارثة: عرض «جدعون بوجل» على حسن كامل وهم ذاهبون الى «مالون» قرب نيويورك بشأن الطيارة، رجاه «بوجل» رجاء وهو أن يتبادلا السيارتين اللتين لهما، فيركب حسن كامل سيارة «بوجل» لأنها مفتوحة (وفيها جهاز المؤامرة الشيطانية)، وبوجل وزوجته يركبان سيارة حسن كامل لأنها مغلقة (بحجة أن زوجة «بوجل» مزكومة ولا يناسبها ركوب السيارة المكشوفة)، فوافق حسن كامل بكل طيبة خاطر لأن المسألة انسانية ومروءة، فأمسى حسن كامل راكباً سيارة «بوجل»، وهذا الأخير ركب سيارة حسن. وكانت المسافة بين السيارتين حوالي ميل، حيث كان «بوجل» يكثر من التطلع الى الوراء ليرى الصبّاح في أثره، وتطلع لآخر مرة فلم ير الصبّاح في أثره،

فعلم بالنهاية، وهو من مدّبري مؤامرة الصاعق الكهربائي ووضعه بشكل إبليسي في السيارة التي تخصّه. فأخذ يرجع الى الوراء حتى وجد السيارة التي فيها الصبّاح وهي منحرفة الى جانب الطريق، ووجد الصبّاح في مقعده ميتاً بارداً.

كيف دبرت مؤامرة الصاعق الكهربائي إلا من هؤلاء الصهاينة الثلاثة بشراكة زوجة «بوجل» في المؤامرة. والثلاثة هؤلاء كلهم مهندسون في شركة «جنرال الكتريك». ولعلهم كانوا أكثر المهندسين حسداً وكرهاً للصبّاح لما رأوه كالشهاب عقلا وذهنا وعلما واكتشافا واختراعا.

لم يحضر الطبيب الشرعي إلا بعد خمس ساعات، وراح يقول: إن سبب الوفاة انفجار في الدماغ أو سكتة قلبية، ثم يتردد بين السببين دون أن يعيّن سبباً مقنعاً. والذي قدّره العقلاء أن جهازاً كهربائياً له حركة خاصة كان مركزاً في سيارة «بوجل» التي كان يركبها الصبّاح. ولا يبدأ هذا الجهاز عمله إلا بعد اجتياز مسافة معينة.

أما لماذا اغتيل حسن كامل الصبّاح؟ فلأنه من أعظم وألمع المفكرين الرياضيين في البلاد الاميركية على حد قول المهندس «مارسي» ـ ولأن كل المهندسين كانوا عنده كأطفال يلعب بآرائهم ونظرياتهم الرياضية كما يشاء ـ على حد قول المهندس «ريس».

وهكذا كانت خسارة «جبار المهندسين» خسارة لا تقدّر بثمن لعالم الاختراع. وكانت عبقريته ونبوغه سبباً لاغتياله «ومن النبوغ والعبقرية ما يقتل»

المراجع

١ ـ ماهر شمسي باشا «هذا النابغة العربي من يعرفه وينصفه» مجلة «العربي» الكويتية. العدد ٢٦٣. شهر تشرين أول/اكتوبر ١٩٨٠.

٢ ـ سعيد الصبّاح «حسن كامل الصبّاح: عالم من لبنان» المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى. بيروت ١٩٨٣.

٣ ـ يوسف مروّه «كامل الصباح عبقري من بلادي». مطابع لبنان. بيروت ١٩٥٦.

٤ ـ يوسف مروّه «العبقرية المنسيّة: كامل الصبّاح» منشورات مروّه العلمية. بيروت ١٩٦٧.

٥ ـ عجاج نويهض «هذا هو أديسون العرب حسن كامل الصبّاح» مجلة «العربي» الكويتية. العدد ٢٦٧. شباط/فبراير ١٩٨١. ص ٣٣ ـ ٤١.

٦ ـ عجاج نويهض «رجال من فلسطين ما بين بداية القرن حتى عام ١٩٤٨». تقديم شفيق الحوت. منشورات فلسطين المحتلة. الطبعة الأولى. بيروت ١٩٨١.



النازيون الاميركيون
وأسرار عملية بيبر كليب

في ظل سياسة الخداع والتضبليل، خاضت الدول الاستعمارية، باسم «الديمقراطية»، الحرب العالمية الثانية، ضد عنصرية الدول الفاشية والدكتاتورية. وبعد ذلك، ظن العالم، أن «الديمقراطية» ما زالت بألف خير، وليس من خطر على وجودها..

ولكن الدعاية شيء، والواقع شيء آخر. اذ أن الولايات المتحدة الاميركية، التي تدّعي زعامتها «للعالم الديمقراطي»، تؤهل نفسها، على الأرض، للدور الذي شغلته المانيا الهتلرية النازية عام ١٩٣٩، ولو كان ذلك بعيداً عن التهويل والتشويش الإعلامي، وبهرجة النزعة العنصرية، التي كان أدولف هتلر رمزها الأقوى في تلك الفترة، حيث عمل رونالد ريغان على تمثيل دور هتلر، ولكن من خلف الكواليس وبفشل هو ذاته، يوم كان ممثلاً في هوليوود، وفق المبدأ القائل: «الممثل الفاشل لا يمكن أن يكون إلا رئيساً فاشلاً».

وبالرغم من محكمة نورمبرغ الدولية، التي حكمت على القادة النازيين كمجرمي حرب، بالإعدام، ونفذت قراراتها بالمئات منهم، إلا أن الولايات المتحدة الاميركية أدركت أهمية «العلماء النازيين» للعسكرية الاميركية، فلجأت الى تهريبهم وتشغيلهم لديها، ضمن عملية سرية بالغة الخطورة، أطلق عليها اسم رمزي هو «بيبر كليب»...

فما هو سر هذه العملية؟ ومن هم أبطالها؟.

في سنة ١٩٦٩، قلدت الإدارة الوطنية للطيران ودراسة الفضاء الكوني (ناسا) في الولايات المتحدة، «آرثر رودولف» ميدالية «لقاء الخدمة البارزة» وكافأه البنتاغون بميدالية «لقاء الخدمات الوطنية البارزة». حصل ذلك بعد أن أوصلت مركبة الفضاء «أبولو» في يوليو ١٩٦٩، بواسطة الصاروخ «ستاتورن ـ ٥» ثلاثة رواد فضاء أميركيين الى القمر: أرمسترونغ، وأولدرين، وكولينز. وكان آرثر رودولف الذي كرس كل حياته لإعداد أسلحة الإبادة الجماعية هو مدير برنامج «ستاتورن ـ ٥». ومنذ سنتين غادر رودولف الالماني الأصل الولايات المتحدة فجأة، وتخلى عن الجنسية الاميركية وهو يعيش منذ ذلك الحين في هامبورغ (المانيا الغربية). فلماذا تصرف على هذا النحو؟.

تعني «بيبر كليب» بترجمتها من الانكليزية «مشبك الورق». ولقد أطلقت هذه التسمية الرمزية على برنامج سري أعدته الاستخبارات في الولايات المتحدة. وفي إطاره جلب من المانيا الى الولايات المتحدة في الأعوام ١٩٤٥ ـ ١٩٥٥ ما يربو على الخمسمئة من العلماء والمهندسين والأطباء الذين أسهموا في صنع الأسلحة القاتلة للرايخ الثالث. وقد أدرجوا جميعاً، بصورة عامة، في قوائم مجرمي الحرب. وكانت بينهم مثلاً شخصيات «أسطورية» مثل «غوبيرتوس»، «ستروغ هولد»، «فالتر شرايبر» «فالتر دورنبيرغر» «فيرنو فون براون»، «آرثر رودولف»..

في سنوات الحرب العالمية الثانية أدار «ستروغ هولد» معهد طب الطيران في برلين. ومنذ العام ١٩٤٢، باشرت المجموعة، التي كان يترأسها، تجارب على الناس في معسكر الاعتقال «داهاو». وفي خلال التجارب على تبريد جسم الانسان وفي ظروف الجو المتخلخل، قتل «ستروغ هولد» في «داهاو» أكثر من مئتي معتقل..

ويرتبط اسم «شرايبر» كذلك «بداهاو»، حيث أجرى تجارب لاختبار جسم الانسان في الماء البارد وتأثير المركبات الفوسفورية في الجروح. ان التجارب على المادة البشرية في «داهاو» أفادت فيما بعد السلطات الاميركية

التي خلصت «ستروغ هولد» و«شرايبر»، ومن على شاكلتهما من المجرمين النازيين، من القصاص الذي يستحقونه.

وأدار «دورنبيرغر» و«فون براون» و«رودولف» في المانيا الهتلرية صنع سلاحين سريين هما الطائرة ـ القذيفة «ف ـ ١» والصاروخ «ف ـ ٢» وأطلقت القذيفة الأولى من «ف ـ ١» على لندن في يونيو العام ١٩٤٤ . فأطلق في سبتمبر من السنة ذاتها وفيما بعد أصبحت «أنتويربين» و«بروكسل» و«لييج» أهدافاً كذلك. وقد قتل في هذه المدن بـ «ف ـ ١» و«ف ـ ٢» أكثر من ١٣ ألف شخص، وجرح مايقرب من ٤٠ ألف شخص، ودمرت ٤٠٦ بنايات . .

وفي العام ١٩٤٣ ، أصبح «آرثر رودولف» مسؤولاً عن انتاج الصواريخ «ف ـ ٢» في مصنع «ميتيلفيركي»، وهو المصنع ـ معسكر الاعتقال «دورا» تحت الأرض الواقع في سراديب مجهزة في سفح جبل «كونشتين» قرب «نوردهاوزن». وحينما ظهر رودولف في أنفاق «دورا» تحت الأرض كان عمره ٣٧ سنة، أمضى اثنتي عشرة سنة منها عضواً في الحزب النازي الذي انتسب اليه حتى قبل تسلم هتلر الحكم . .

وفي نيسان/ابريل عام ١٩٤٥ ، احتلت فرقة الدبابات الاميركية الثالثة «نوردهاوزن» فاكتشفت في «دورا» جبالاً من الجثث وجموعاً من السجناء المنهكين. وفي تلك اللحظة كان «رودولف» قد فر واختبأ قرابة الشهر في القرى المجاورة التي اعتقل في احداها في نهاية المطاف. وإن ضابط الاستخبارات الاميركية الذي أجرى أول استجواب لرودولف كتب في تقريره: «نازي مئة بالمئة. خطر لا يبعث على الثقة. يوصى باعتقاله».

وعثر الاميركيون في «دورا» على مئة صاروخ «ف ـ ٢» والعديد من قطع التبديل، وقد حملوها الى «انتويربين» ومن هناك نقلوها بحراً الى الولايات المتحدة. ولكن حينما كان الأميركيون ينفذون هذه العملية استنتجوا انه من الضروري للعمل اللاحق بهذه الصواريخ جذب أولئك الذين صنعوها، أي العلماء النازيين. وهكذا ظهرت العملية التي تحمل الاسم الرمزي «أوفير كاست» والتي أطلق عليها فيما بعد «بيبر كليب» وقد جمع في ثكنة غامريس ـ

بارتينكيرخين العسكرية قرابة خمسمئة من العلماء والمهندسين الذين أسهموا في صنع الـ «ف ـ ١» والـ «ف ـ ٢» والبرامج النازية الأخرى. وعرض عليهم الاميركيون أن يتوجهوا، مقابل منحهم الحرية، الى الولايات المتحدة ويتابعوا أعمالهم هناك. ومن الذين قادوا عملية «بيبر كليب» العقيد «هولغير توفتوي» رئيس الاستخبارات العسكرية التقنية لجيش الولايات المتحدة في أوروبا، الذي أصبح فيما بعد في الخمسينات والستينات مسؤولاً عن برنامج الصواريخ الاميركية «ريد ستون». .

وفي نوفمبر من العام ١٩٤٥، صار «دورنبيرغر» و«فون براون» و«رودولف» وأضرابهم في أميركا. وفي ربيع السنة التالية اتخذت قيادة الجيش قراراً بإبقاء هذه المجموعة من العلماء في الولايات المتحدة في صورة دائمة بعد أن برهنوا عن جدارتهم كاختصاصيين في صنع أسلحة الإبادة الجماعية. ولكن الصعوبة كانت تكمن في أن كونغرس الولايات المتحدة أقر بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية قانوناً خاصاً يمنع النازيين، وكل من قاتل ضد الولايات المتحدة من دخول البلاد. وعلاوة على ذلك، تسربت في العام ١٩٤٦، بعض المعلومات عن «بيبر كليب» على الرغم من إحاطة العمل بسرّية شديدة. ووجه أربعون عالماً بارزاً، بينهم ألبرت أينشتاين، برقية احتجاج الى الرئيس الاميركي ترومان، طالبوا فيها بمنع اقامة العلماء النازيين في الولايات المتحدة وعدم منحهم الجنسية الاميركية. ولكن كانت للسلطات العسكرية في الولايات المتحدة مراميها البعيدة في هذا الخصوص. وعلى الرغم من قوانين الهجرة «المعقدة» لم يتسن للعلماء النازيين تجنب العقاب فقط، بل تسنى لهم نيل الجنسية الاميركية أيضاً. كيف؟.

لقد أجرت الصحافية الاميركية «ليندا هانت» تحقيقاً خاصاً في هذه القضية، ونشرت نتائجه مؤخراً في الـ «كوليتين اوف اتوميك ساينس» وقالت ان تقارير الاستخبارات الاميريكية عن العلماء الالمان التي وضعت في المانيا أدخل عليها العاملون في الإدارة العسكرية في الولايات المتحدة تعديلاً جذرياً. فقد

اختفت منها نعوت مثل «نازي مسعور يشكل خطراً على أمن الدولة بالنسبة الى الولايات المتحدة». ثم روجعت هذه التقارير في الاستخبارات مرة أخرى، اذ اختفت من اضبارة «رودولف» مثلاً الى جانب الاستنتاج الذي أوردناه، وهو أنه «نازي مئة بالمئة»، جملة من الوثائق. وغاب أيضاً تقرير عن استجواب «رودولف» الذي أجراه الرائد سميث في الولايات المتحده عام ١٩٤٧.

وقد تناول هذا التقرير احدى حوادث حياة معتقل «دورا» حيث حضر «رودولف» إعدام اثني عشر سجيناً سوفياتياً شنقوا في سرادب على عارضة رافعة شاحنة، وقد اعترف «رودولف» في الاستجواب بهذه الواقعة. ولكن الوثيقة اختفت من ملفه. وبالنتيجة وصلت أوراق «رودولف» لنيل الجنسية الاميركية الى وزارة الخارجية ووزارة العدل مرفقة برسالة من الاستخبارات تقول أنه لم يتسن استيضاح أية حقائق تثبت عليه الجرائم الحربية أو التعاطف مع النازية..

وحل العام ١٩٤٩. بيد أن العلماء النازيين الذين عملوا على قدم وساق لمجد القدرة العسكرية الاميركية لم يحصلوا على الجنسية. وعندئذ قامت الاستخبارات الاميركية بخدعة ماكرة. فقد نقلتهم سراً من «فورت بليس» عبر الحدود المكسيكية وأبقتهم هناك. وبعد عدة أيام اجتازوا الحدود الواحد اثر الآخر في الاتجاه المعاكس وقدموا أنفسهم الى سلطات الهجرة. وهكذا ظهر على أوراقهم ختم يشهد على أنهم دخلوا أراضي الولايات المتحدة لأول مرة في العام ١٩٤٩، لا العام ١٩٤٥، وهذا الختم مكن «الشكليين» في وزارتي الخارجية والعدل من مراعاة قواعد اللياقة فأغمضوا أعينهم عن الباقي..

ان كون سلطات الولايات المتحدة استخدمت بنشاط بعد الحرب «ملاكات» الرايخ الثالث حقيقة ليست جديدة بالمرة. ويكفي أن نستند الى شهادة صحيفة الـ «واشنطن بوست» التي أشارت الى أنه استقر في الولايات

المتحدة بعد الحرب ما لا يقل عن عشرة آلاف نازي. وهم يتحملون المسؤولية عن مقتل مليوني شخص على الأقل، كما أكد «مايكل اوكونور» و«تيم اوبرايين» اللذان عرضا في التلفزيون الاميركي الفيلم الوثائقي «هاربون من القصاص». ولكن اليوم يكتسب مغزى مشؤوماً بشكل خاص والواقع ان المجرمين النازيين أرسوا أسس التقنية الصاروخية الفضائية الاميركية. وبرنامج عسكرة الفضاء الذي تتقدم به إدارة ريغان ينسجم جداً وأفكار الجنرال الهتلري «دورنبيرغر» الذي أصبح في أميركا رئيساً لقسم أنظمة الطيران الكوني لكونسيرن «بيل». وقد علم «دورنبيرغر» في حينه حماته الاميركيين: «من الواضح تماماً أن الفضاء هو بالنسبة الى الاستراتيجي العسكري توسيع لميدان العمليات العسكرية عمودياً.. وفي هذا الفضاء يمكن، مع مراعاة صعوبات معينة، وضع كل ترسانة الأنظمة الأكثر عصرية من الأسلحة واستخدامها. ان استيعاب الفضاء ضروري للأهداف العلمية والسياسية والاقتصادية والعسكرية. وكل هذه الأهداف مهمة. ولكني أعتبر استيعاب الفضاء للأغراض العسكرية هو الهدف الأساسي».

وفي العام ١٩٤٩، قررت السلطات العسكرية في الولايات المتحدة البدء ببناء مجمّع ضخم لإنتاج الصواريخ. وقد وقع الاختيار على بلدة «هانتسفيل» في ألاباما التي كانت تنصب فيها منذ نهاية الحرب الترسانات الحاوية للأسلحة الكيميائية لشركة «ريد ستون». وكلف «آرثر رودولف» بمهمة إقامة مجمّع للصواريخ في هذا المكان. في ذلك الحين كان عدد سكان «هانتسفيل» يبلغ ١٧,٥٠٠ نسمة، واليوم يعيش ١٥٠ ألف شخص هناك، في جوار المؤسسات المتخصصة بإنتاج المعدات الفضائية والصاروخية. ويحمل أحد المباني العامة في «هانتسفيل»، بمبادرة من سلطات المدينة العارفة الجميل، اسم النازي «فيرنر فون براون»..

ان ما بناه «آرثر رودولف» في هانتسفيل تحول فيما بعد الى مركز مارشال الفضائي ومركز قيادة الصواريخ في جيش الولايات المتحدة. ومن

العام ١٩٥١، الى العام ١٩٦١، قاد «رودولف» صنع صاروخ «ريد ستون» بصفته مديراً تقنياً للبرنامج. ثم وضعت السلطات العسكرية له وللعلماء النازيين الآخرين الذين جلبوا من المانيا مهمة صنع صاروخ «بسيط ويعوّل عليه» ينطلق بضغطة زر ويصيب الهدف بدقة. وهكذا ظهر برنامج أبحاث «بيرشينغ» الذي عين «آرثر رودولف» مديراً له.

وفيما بعد أسهم في إعداد وصنع صاروخ «بيرشينغ - ٢».

واليوم يجب أن يعرف الجميع هذه الحقيقة التي لا تدهش، وهي أن صواريخ «بيرشينغ» الاميركية التي نشرت في أوروبا الغربية والمصوبة نحو الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية الأخرى، قد صنعت بإسهام النازيين..

ولكن لماذا غادر «آرثر رودولف» الولايات المتحدة منذ سنتين وتخلى عن الجنسية الاميركية؟ ان فضلاً كبيراً في ذلك يعود الى أعمال المرأة الجسورة «اليزابيت هولتسمان»، عضو مجلس النواب في كونغرس الولايات المتحدة، فبمبادراتها بالذات أنشىء في وزارة العدل في الولايات المتحدة عام ١٩٧٩ «قسم للتحريات الخاصة» كلف بالبحث عن المجرمين النازيين. ونشير الى أن قسم التحريات الخاصة لم يتسن له إلا فعل القليل خلال سبعة أعوام من وجوده. وهذا مرده الى وجود قوى متنفذة جداً في الولايات المتحدة تعرقل تحرّي فظائع النازيين. وقد كتب الصحافي «روبرت ليفتون» في «النيويورك تايمز» ان مجرمي الحرب يتلقون أكبر دعم وحماية من وكالة الاستخبارات المركزية. ويصعب طبعاً، على قسم التحريات الخاصة مجابهة وكالة الاستخبارات المركزية. وفي المدة الأخيرة تكللت بإخراج بضعة نازيين فقط من الولايات المتحدة. فقد كان لأعمالهم دوي خاص في الصحافة مما أرغم وكالة الاستخبارات المركزية على عدم التدخل..

أما ان «بطل» أميركا الوطني «آرثر رودولف» قد ضلع في الجرائم النازية، فهذا ما تسنى لأحد العاملين في قسم التحريات اكتشافه بفعل الصدفة البحت. فقد وقع تحت نظره كتيب صغير ألفه جان ميشال، المسهم

في المقاومة الفرنسية الذي اعتقل في باريس العام ١٩٤٣، وأرسل الى معسكر الاعتقال «دورا». وقدر لميشال أن يعيش، فكتب بعد سنوات عديدة مذكراته عن «دورا» التي ذكر فيها اسم «رودولف». وكون وزارة العدل في الولايات المتحدة لم تعرف ماضي رودولف إلا في مستهل الثمانينات، لا يشهد على سعي الحقوقيين الاميركيين النشيط لإحالة النازيين على القضاء..

ان «يوليوس مادير» الباحث المعروف في النازية، الذي يقطن في برلين، أصدر منذ العام ١٩٦٣، كتاب «سر هانتسفيل» الذي وصف فيه جرائم الهتلريين، ومنهم رودولف، في «دورا».

وهكذا ظهرت قضية رودولف. ان موظف قسم التحريات الخاصة الذي كان ينوي إعطاء الاتهام مجرى رسمياً صرح للصحافيين: «أحتاج الى دقيقة ونصف فقط لأبرهن للمحكمة على أن «رودولف» ارتكب أعمالاً تصنف على حسب حكم المحكمة العسكرية الدولية في نورمبرغ كجريمة ضد البشرية»..

المرجع

١ - انظر مجلة «المدار» (السوفياتية). العدد العاشر. شهر تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٦.

أسرار القنبلة الذرية
وأدمغة الاجرام الاميركي

منذ أن وجد الانسان على سطح الأرض، استطاع أن يحتل المكانة الأولى والأساسية بين جميع المخلوقات، ومثّل جوهر هذا الوجود وقضيته المركزية...

وعندما كان هذا الانسان مفطوراً على التطور، برزت اختراعاته واكتشافاته كثمرة من ثمرات تقدمه ونمو عقله وسنة من سنن رقيّه الانساني... وما أن حل القرن العشرون حتى تربع فيه الانسان على قمة منجزاته ومخترعاته في العلم والتكنولوجيا... ولم تكن القنبلة الذرية إلا واحدة في لائحة الاكتشافات المتطورة. ولكن المصيبة الكبرى في هذا العصر أن تتحول كل الجهود لإبادة الانسان بطرق ووسائل أكثر تطوراً وأكثر وحشية وبربرية رغم كل ادعاءات أهل العلم والتقدم، وتصبح «أدمغة الاختراع» إزاء هذا الوضع في عداد «مجرمي الحروب» و«آكلي لحوم البشر». ومن هذا المنطلق وجه العالم الألماني «البرخت انسولد» الى اينشتاين تهمة «مجرم حرب».

كما تعتبر قصة عالم الفيزياء الاميركي «روبرت اوبنهايمر» من أغرب القصص في تاريخ العلم والسياسة. فقد بدأ العالم يسمع باسمه لأول مرة في أغسطس ١٩٤٥ عندما ألقيت القنبلة الذرية على هيروشيما في اليابان وسمي آنذاك «أبو القنبلة الذرية» اعترافاً من الولايات المتحدة الاميركية بالدور الرئيسي الذي لعبه في قيادة مجموعة العلماء والمهندسين الذين صمموا أول قنبلة ذرية في معامل «لوس الاموس» تحت اسم «مشروع ماناهتن»، ثم أنتجوها بعد ذلك

يعتبر «روبرت اوبنهايمر» من أكبر علماء الفيزياء الدوليين المرموقين في أبحاثهم ودراساتهم. ومثل أميركيين وأوروبيين كثيرين عرف أوبنهايمر طريقه الى العمل في انتاج القنبلة الذرية من خلال جو الفزع العام الذي سيطر على علماء عديدين غداة نشوب الحرب العالمية الثانية لئلا تستطيع المانيا النازية أن تسبق الحلفاء في انتاج السلاح الرهيب وفي استخدامه.

وقد عبر اينشتاين عام ١٩٣٩ عن هذا الفزع العام، في الرسالة التي أرسلها الى الرئيس الاميركي روزفلت عن طريق مستشاره الاقتصادي «الكسندر ساكس» الذي كان صديقاً حميماً لأينشتاين. وكان ثمة دلائل عديدة على أن الألمان يعملون في هذا المجال بسرية كاملة... ومن هذه الدلائل أن المانيا قد استولت على ألوف الأطنان من اليورانيوم عندما اجتاحت بلجيكا، وأنها تفاوضت مع حكومة تشيكوسلوفاكيا لأخذ اليورانيوم والراديوم الموجودين بمناجمها. وعندما اجتاحت ألمانيا النروج، وضعت يدها على أول مصنع في العالم لإنتاج الماء الثقيل الذي يمكن باستخدامه بناء مفاعل ذرّي بسهولة فائقة. وعندما بدأت المانيا بناء الصواريخ V - 2 زاد قلق العلماء في الغرب،وكان منطقهم ببساطة أن هذه الصواريخ من الصغر بحيث يكون تأثيرها ضعيفاً اذا استخدمت المتفجرات العادية كرؤوس لها، ولابد اذن أن يكون هدفها الحقيقي أن تكون مسلحة برؤوس ذرية. وقد ثبت تاريخياً أن الألمان فشلوا رغم جهودهم في انتاج القنبلة الذرية لاعتمادهم الكامل على المصنع النروجي للماء الثقيل الذي دمرته طائرات الحلفاء أكثر من مرة مما أدى الى تعطيل برنامج العمل.

وفي هذا الجو المحموم وجد «أوبنهايمر» نفسه عام ١٩٤٢ مطلوباً للعمل في مشروع القنبلةالذرية. وكان ثمة نتائج علمية تبشر بنجاح المشروع ومن بينها أن العالم الايطالي الجنسية «فيرمي» قد استطاع أن يبني في أميركا مفاعلاً ذرياً يقوم على استخدام الجرافيت عام ١٩٤٢. ومن بينها أن بريطانيا قد عرضت أن تشارك أميركا في كل معلوماتها عن هذا الموضوع. وعندما

اجتمعت أول لجنة علمية من كبار العلماء لبحث المشروع تحت قيادة الجنرال «ليزلي جروفز» بدا واضحاً له منذ أول جلسة أن اوبنهايمر هو أفضل العلماء لقيادة المشروع من الناحية العلمية. فهو الى جانب امتيازه العلمي قادر بشخصيته أن يقود الآخرين. وهو رجل ذو كفاءات إدارية عديدة. وهو محبوب من الناحية الشخصية من كثير من العلماء الاميركيين والأوروبيين.

وهكذا بدأ مشروع مانهاتن تحت قيادة «روبرت اوبنهايمر» الذي بدأ يحاور نفسه وضميره حول مشروعية استخدام هذا السلاح الرهيب في الحرب. لقد كان أوبنهايمر واضحاً وحاسماً في ضرورة انتزاع السبق من ألمانيا النازية في انتاج القنبلة حتى لا يفاجأ الحلفاء باستخدامها ضدهم. ولكن المفارقة المأساوية هي أنه عندما تم انتاج القنبلة بالفعل كانت ألمانيا النازية قد دمرت واستسلمت وكانت القوات السوفياتية قد اجتاحت برلين، وكان هتلر قد انتحر، واستسلمت ألمانيا دون قيد أو شرط، ولم تبق إلا اليابان تقاوم مقاومة هزيلة بأمل الحصول على شروط أفضل للهزيمة.

ومنذ أن استسلمت ألمانيا النازية في أيار/مايو ١٩٤٥ وانتهى الى غير رجعة جو الفزع المحموم من أن تجد ألمانيا النازية طريقها الى القنبلة بدأ العلماء الأميركيون وفي مقدمتهم اوبنهايمر يفكرون في النتائج الطويلة المدى المترتبة على وجود هذا السلاح الاستراتيجي الرهيب. وهل من الضروري استخدام هذا السلاح الآن؟ واذا استخدم، كيف؟.

ومن الواضح أن اوبنهايمر بعد أن استسلمت ألمانيا لم يكن متحمساً لاستخدام هذا السلاح في اليابان. فقد كان تقديره الصائب أن استسلام اليابان هو مسألة وقت لا أكثر ولا أقل. وكان يشاركه هذا الرأي عدد كبير من العلماء. إلا أن العسكر الأميركيين كانوا حريصين على استخدام القنبلة الذرية ضد اليابان فوراً حتى يعجلوا باستسلامها قبل أن تتقدم القوات السوفياتية في الشرق الأقصى.

ومع أن الكسندر ساكس ـ المستشار الاقتصادي لروزفلت ـ قد حاور

رئيس الجمهورية في ديسمبر ١٩٤٤ حول ضرورة القيام بتجربة أمام كل العالم لهذا السلاح قبل استخدامه الفعلي، ومع أن روزفلت قد وافق على هذا الاقتراح إلا أن وفاته المفاجئة وتولّي ترومان رئاسة الجمهورية الاميركية قد غيرا الموقف تغييراً كاملاً.

فور استلام ترومان للسلطة عين في ابريل/١٩٤٥، لجنة معظمها من العسكريين لتقدم له النصيحة حول استخدام القنبلة الذرية. وكان من الطبيعي في لجنة من هذا النوع على رأسها وزير الحرب أن توصي باستخدام السلاح فوراً. وقد صدر قرار اللجنة بالاجماع ثم عاد أحد الأعضاء «بارد» وهو نائب وزير البحرية، فأعلن معارضته للقرار وأكد هذا بتقديم استقالته. وكانت وجهة نظره أن البحرية الأميركية كفيلة بتركيع اليابان دون استخدام هذاالسلاح. وأن الجيش في أميركا يريد استخدام هذا السلاح حتى ينسب لنفسه فضلا في استسلام اليابان.

لقد اختار هاري ترومان أن يلقي قنابله الذرية على اليابان على الرغم من أنه كان واضحاً في المفاوضات السرية أن اليابان كانت مستعدة للاستسلام اذا لم يتمسك الحلفاء بإزاحة الامبراطور من السلطة.

وفي ٦ آب/أغسطس ١٩٤٥ قامت الطائرة «ب ـ ٢٩» بحمل «الصبي الصغير» ـ كما سميت القنبلة الذرية ـ الذي ألقي على هيروشيما في تمام الساعة الثامنة والنصف صباحاً. وبعد ثلاثة أيام من هذا الحدث المروع ألقيت القنبلة الثانية على ناغازاكي، ولم يكن قد مضى على دخول الاتحاد السوفياتي الحرب ضد اليابان أكثر من ٢٤ ساعة. وكان عدد ضحايا القنبلتين لا يقل عن ربع مليون شخص. أثناء ذلك كان «اوبنهايمر» قد عارض وأعاق انتاج القنبلة الهيدروجينية بعد ما رأى في هيروشيما وناغازاكي وعلى أساس فكري وسياسي واضح فيما بعد. كما كانت الحرب الباردة في عنفوانها وكان الصراع المرير في داخل لجنة الطاقة الذرية الأميركية على أشده حول موضوع بناء القنبلة الهيدروجينية، وكان اوبنهايمر ما يزال رئيساً للجنة الاستشارية في

داخل لجنة الطاقة الذرية الأميركية. ولكنه في نهاية الأمر خسر الصراع وتقرر بناء القنبلة الهيدروجينية واختار أوبنهايمر رداً على هذا الوضع أن ينسحب من جميع المراكز الحساسة التي يشغلها وأن يتفرغ لعمله كمدير لمعهد الدراسات المتقدمة في جامعة برنستون.

ولكن تيللر وأصدقاءه السياسيين رفضوا أن يتركوا اوبنهايمر سالماً في عزلته الجديدة، مما دفع لجنة مجلس الشيوخ الأميركي أن ترسل خطاباً في سبتمبر ١٩٥٣ يتضمن أربعة وعشرين اتهاماً له. وكانت خلاصة هذه الاتهامات أنه ليس صالحاً للعمل في لجنة الطاقة الذرية الاميركية، وأنه قد تقرر بناء على ذلك سحب الترخيص الذي كان ممنوحاً له بالإطلاع على الوثائق السرية للجنة واستمرت محاكمته ثلاثة أسابيع، أدين بعدها «أبو القنبلة الذرية» باعتباره خطراً على أمن الولايات المتحدة.

إلا أن حكومة الرئيس كينيدي قررت أن تمنحه فيما بعد أرفع جائزة علمية في أميركا المعروفة بجائزة «فيرمي». وعندما اغتيل كينيدي قبل تسليمه الجائزة قام جونسون بهذه المهمة وقال له: (لقد كانت من أعز أمنيات كينيدي أن يقوم شخصياً بتسليمك الجائزة والميدالية).

وهكذا أسدل الستار على قصة عالم كبير اختار أن يقف موقفاً انسانياً شجاعاً بعد أن عاش يوماً من أفظع أيام التاريخ هو يوم قنبلة هيروشيما.

ومن خلال شهادة امرأة يابانية هي «فوتابا كيتاياما» البالغة من العمر ٥٣ عاماً،وقد أصيبت على مسافة ٢ كلم من مكان سقوط القنبلة الذرية، نستطيع تبيان ضخامة الحدث وهول الكارثة حيث تقول: وجدت نفسي على الأرض ورفيقاتي كلهن اختفين. ماذا جرى للفضاء الذي كان صافي الزرقة منذ لحظات؟ لقد أصبح شديد السواد. تذكرت حكاية بوذية روتها لي والدتي عن جهنم.

ففي يوم الاثنين السادس من شهر أغسطس ١٩٤٥ في هيروشيما والساعة

تجاوزت الثامنة والربع صباحاً بثوان معدودة سطع بريق خاطف من ألف شمس يخترق الفضاء فوق قلب المدينة كتلة نارية ضخمة، فانفجار هائل، فعمود من الدخان رهيب وركام يتناثر في الفضاء. المدينة بكاملها يحل بها الدمار ساعة كانت تتهيأ للعمل، وألوف المنازل الخشبية تتطاير مشتعلة، والأبنية القليلة المبنية بالحجارة والطوب تتهدم، والهياكل القديمة تتحطم، والمدارس والثكنات تشتعل مع بداية الدروس والتدريب، والشوارع الغاصة بالناس الذاهبين الى أعمالهم اليومية... مدينة سكانها ثلاثمائة ألف نسمة أو أكثر اذا عدّت القوات العسكرية الكبيرة المتواجدة فيها لأن هيروشيما كانت مقر القيادة في جنوبي اليابان. في لحظة من بريق ساطع تحول الكثيرون من سكانها، ولا سيّما في وسطها الى مجموعات من أجسام تحترق أو تنزف بالدم أو تزحف، أو تتلوى معانية سكرات الموت، أو طعمة للنيران التي كانت تمتد الى أنحاء المدينة المختلفة، والى مجموعات أخرى تحاول الفرار مذهولة مجنونة أمام الكابوس الرهيب الذي يطاردها وهي تندفع هاربة نحو التلال مترنحة عارية سوداء مسلوخة الجلود ذات وجوه سوداء كالفحم وعيون مطفأة.

ماذا حل بهيروشيما وأبنائها أمام هبوب رياح جهنم العاتية؟ تتساءل «فوتابا كيتاياما» البالغة من العمر ٥٣ عاماً وقد أصيبت على مسافة نحو كيلو مترين من مكان سقوط القنبلة الذرية. تجيب فوتابا قائلة: كنت قد انضممت الى فريق من نساء تبرعن للعمل في مكافحة الحرائق التي تندلع عند القصف بالقنابل المحرقة. أما زوجي فكان قد بقي في مكتب الصحيفة التي يعمل فيها بسبب الانذار باحتمال قيام الحلفاء بغارة جوية.

وكان فريقنا قد تجاوز جسر تسورومي حين صفرت صفارة الانذار. وظهرت طائرة واحدة للعدو، ومحلقة على ارتفاع شاهق فوق رؤوسنا وقد سطعت أجنحتها الفضية، وهتفت إحدى النساء أنها مظلة. والتفت الى حيث كانت تشير بيدها لأرى في تلك اللحظة بريقاً ساطعاً ينتشر ملء الفضاء.

هل كان البريق هو الذي أصابني أولاً أم أن صوت الانفجار هو الذي

مزق أحشائي؟ لست أذكر. وسقطت أرضاً وتسمرت في مكاني. ثم سرعان ما أخذت الدنيا تتداعى من حولي على رأسي وكتفي ولم أعد أستطع أن أرى أي شيء. اسودت الدنيا بعيني. وحسبت ان ساعتي الأخيرة قد حانت. وتذكرت أبنائي الثلاثة الذين كنت قد أبعدتهم الى الريف لوقايتهم من الغارات الجوية. ولم أعد أقوى على الحركة. الأنقاض تتساقط عليّ وتتكدس فوقي.

وأخيراً تمكنت أن أتخلص من الأنقاض. شممت رائحة رهيبة في الفضاء، ظننت أن القنبلة التي أصابتنا فوسفورية صفراء محرقة كالقنابل الأخرى التي سقطت على مدن أخرى عديدة. ومسحت أنفي وفمي بمنشفة كانت مربوطة الى وسطي. يا للهول! رأيت جلد وجهي عالقاً بالمنشفة ثم انسلخ الجلد عن يدي وذراعي أيضاً. جلد ذراعي اليمنى من المرفق حتى رؤوس الأصابع يتدلى ببشاعة. كذلك كان جلد يدي اليسرى يتدلى أيضاً. أما جلد أصابعي فانسلخ على شكل قفاز.

ووجدت نفسي ممددة على الأرض. ولحظت أن رفيقاتي كلهن قد اختفين. ماذا جرى لهن؟ وتملكني رعب جنوني. وأردت أن أركض ولكن أين المهرب؟ ليس حولي غير أنقاض ولا علامة أهتدي بها. ثم ماذا جرى للفضاء الذي كان صافي الزرقة منذ لحظات؟ لقد أصبح شديد السواد كالليل تماماً. كل شيء حولي ضبابي وغامض. فكأن غيمة غطت عيني، حتى لقد تساءلت هل فقدت حواسي؟ وأخيراً شاهدت جسر تسورومي فأسرعت اليه قفزاً فوق الأنقاض لأرى تحته مشهداً رهيباً.

رأيت الناس بالمئات يتخبطون في النهر. لم أستطع التمييز بين الرجال والنساء. حالتهم جميعاً واحدة. وجوه منتفخة وشعور مدلاة، وأيد مرتفعة. رموا بأنفسهم في النهر وهم يئنون من الألم. وأحسست برغبة قوية بأن أرمي في النهر لعلي أتخلص من ألم يحرق جسمي كله... ثم تراجعت جهلي السباحة. وتجاوزت الجسر والتفت الى الوراء، فرأيت النار قد

اندلعت في بقع جديدة، عجبت لذلك. ثم تابعت الركض وأنا أردد أسماء أبنائي. الى أين أركض؟ لم أكن أعلم غير أنني كنت لا أزال ألمح مشاهد رعب في كل مكان.

هذه والدة غطى الدم وجهها وكتفها وهي مذعورة تحاول أن تدخل منزلاً تلتهمه النيران. وأمسك بها رجل وهي تصرخ به: دعني أذهب. دعني أدخل. ابني يحترق فيه. وتحت جسر كوجين الذي انهار نصف انهيار وتداعت حواجزه المبنية بالأسمنت المسلح، شاهدت جثثاً عائمة على وجه الماء كجثث الكلاب، عارية تقريباً، ممزقة الملابس. وعلى النهر رأيت امرأة مستلقية على ظهرها، غارقة بالدم وقد انشق ثدياها. كيف حدث بمثل هذا الشيء الرهيب... هنا تذكرت حكايات بوذية روتها لي والدتي عن جهنم حين كنت بنيّة صغيرة.

ومضت علي ساعتان تقريباً وأنا في هذه الحالة من الضياع قبل أن بلغت ساحة الاستعراض العسكري. كانت حروقي مؤلمة. غير أن هذا الألم يختلف عن ألم الحرق العادي. كان ألماً مبهماً ينبعث من الخارج على ما يبدو، ثم اندفع قيح أصفر اللون من يدي وحسبت أن وجهي لابد أن يكون بشعاً جداً.

وفي ساحة الاستعراض هذه كان تلامذة ابتدائيون وثانويون، بناتاً وصبياناً، يتقلّبون على الأرض وهم يصارعون الموت. كانوا مثلي أعضاء فرق المتطوعين لمكافحة النيران والحرائق.

سمعتهم يصرخون بجنون: أماه.. أماه.. أجسادهم مشوهة دامية. النظر اليهم لم يعد يطاق. أكرهت نفسي على النظر اليهم وأنا أصرخ غاضبة: لماذا يحدث ذلك؟ لماذا يصاب هؤلاء الأطفال؟ على أنه لم يكن هنالك من أصب عليه جام غضبي. لم أكن أستطيع أن افعل أي شيء غير أن أراهم يموتون، واحداً بعد الآخر، وهم ينادون أمهاتهم ولا من مجيب.

وبقيت مستلقية فاقدة الوعي تقريباً وقتاً طويلاً. ولما نهضت وعدت الى

مـواصلة السير نـظرت على مدى نـظري الـواهن فـرأيت كـل شيء مشتعـلاً. أحسست وجهي يتصلب شيئاً فشيئاً. ولمست خدي بحذر. وشعرت أن حجم وجهي قد تضاعف. ثم راح نـظري بعد ذلـك يخف شيئاً فشيئـاً. هل سـأفقد بصـري؟ هل سـأمـوت بعـد هـذا العـذاب كله؟ ولكنني واصلت السيـر حتى ضاحية المدينة.

وفي هذه البقعة البعيدة عن قلب المدينة لقيت شقيقتي الكبرى حيـة لم تصب إلا ببعض الجـروح في رأسهـا وقـدميهـا. لـم تعـرفني لأول وهلة. ثم انفجرت باكية. ونقلتني بعربة يد مسافة ثلاثة أميال الى أول مركز للإسعـاف. وصلنـا ليلاً، وعلمت أن هنـاك كومـة جثث وعـدداً لا يحصى من الجـرحى. وبقيت في المـركز ليلتين، فـاقدة الـوعي، وأنـا أردد: أولادي. خـذوني الى أولادي: كما قالت لي أختي فيما بعد.

وفي الثامن من شهر آب/أغسطس، حملت على نقالة الى قطار نقلت فيه الى قرية كاسومي حيث يـوجد لي أقـرباء. وقـال طبيب القريـة أن حالتي ميئـوس منهـا. وهـرع أولادي اليّ لكنني لم أكن أستـطيـع أن أراهم، ثم عـرفتهم من رائحتهم الـطيبة. وفي ١١ آب/أغسـطس، انضم الينا زوجي، وبكى أبنـاؤنـا فرحاً وهم يعانقونه.

ولكن سعادتنا سرعان ما انتهت. فقد مـات زوجي فجأة بعـد ثلاثـة أيام والدم يفور من فمه، رغم أنه لم يكن يبدو عليه أي أثر لإصابة أو لجرح. لقد تزوجنا منذ ١٦ عاماً. وها أنـا الآن أشرف على المـوت ولا أستطيـع أن أضع رأسه على مخدة الموت، كما كان يجب أن أفعل.

وقلت لنفسي ينبغي أن لا أمـوت رحمة بـأولادي. ونجوت في النهـايـة بـأعجـوبـة بعـد أن تـوهم الجميـع أنني انتهيت. ثم استعـدت نـظري ببعض السرعة. وبعـد عشرين يـوماً بـدأت أتبين ملامـح أبنائي. لكن الحـروق التي أصابت وجهي ويدي لم تشف بسرعة. وبقيت منتفخـة أشبه شيء بـالطمـاطم

المهترئة. ولم أستطع المشي قبل شهر ديسمبر ولما فكت الضمادات في يناير علمت أنني سأبقى مشوهة الوجه واليدين. أما أذني فباتت في نصف حجمها الطبيعي، في حين أن ورماً أسود اللون بعرض الكف كان يمتد من رأسي الى فمي فعنقي، كما أنه كان هنالك ورم آخر بعرض خمس سنتيمترات يمتد من معصمي حتى الخنصر من يدي اليمنى. وأما أصابع يدي اليسرى فالتصق بعضها ببعض عند اتصالها باليد.

لقد جاء كل هذا على لسان امرأة يابانية عاشت أهوال قنبلة هيروشيما بكل دقائقها ومآسيها. وما زال مجرمو أميركا يحلمون ببسط سيطرتهم ونفوذهم على العالم كله، عبر إفناء البشرية بالقنابل الأكثر تطوراً وتكنولوجية من القنبلة الذرية.

وطالما هناك انسان واحد على وجه الأرض فإنه سيتذكر دوماً بأن الولايات المتحدة الأميركية هي أول دولة في العالم استخدمت القنبلة الذرية ضد الانسان والانسانية. وأي سلام أميركي هو هذا الذي تبشر العالم به وتسعى في سبيله؟ إنه السلام القائم على القنبلة النيوترونية ذاتها الكفيلة بمحو الملايين من البشر عن خارطة الوجود لقاء حلم جنوني يراود مخيلة الرئيس الأميركي ورؤوس البنتاغون وهي ذاتها التي تظاهر ضدها الملايين في أوروبا وأميركا والعالم.

المراجع

١ ـ «الموسوعة العسكرية» بإشراف المقدم الهيثم الأيوبي. المجلد الأول. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الطبعة الأولى. بيروت ١٩٧٧.

٢ ـ سعيد الجزائري «المخابرات والعالم». دار الحياة. الطبعة الثانية. بيروت. دون تاريخ.

٣ ـ ج. برنارد هاتون «مدرسة الجواسيس» ترجمة غسان درويش. بيروت ١٩٦٣.

٤ ـ مجلة «الفكر العسكري» (تصدر عن وزارة الدفاع السورية). العدد الثالث، أيار/مايو-حزيران/يونيو ١٩٨٤. ص ٣٥ ـ ٣٩.

٥ ـ مجلة «الكفاح العربي» البيروتية (عدد «جين لاروك» أدميرال السلام الاميركي». العدد ٣١٥ ـ ٩٩٨. الاثنين ٢٣ ـ ٢٩ يوليو ١٩٨٤. ص ٣٠ ـ ٣٣.



جريمة الأمم المتحدة في اغتصاب فلسطين

تعرضت فلسطين العربية عبر تاريخها الطويل الى سلسلة طويلة من المؤتمرات الدولية، إلا أن أكبر هذه المؤتمرات وأخطرها كانت تلك المتعلقة بسرقتها واغتصابها من قبل الحركة الصهيونية العالمية في النصف الأول من القرن العشرين، وولادة ما يسمى بدولة «اسرائيل» في عام ١٩٤٨.

وقد لعبت كثير من المؤسسات والمراكز الضخمة، دورها الفعال على هذا الصعيد، وكان من بينها وأهمها بالطبع «منظمة الأمم المتحدة» التي يغلب عليه الطابع الصهيوني. ولم يقتصر دورها في هذا المجال على العمل السري فقط، بل تجاوزه الى العلنية بشخص «تريجفي لي» أول أمين عام لهذه المنظمة الدولية، التي يتحتم عليها أن تكون محايدة كل الحياد، ونزيهة كل النزاهة. ولكن كيف ذلك وهي صنيعة أبالسة الجحيم الذين لا يقطرون إلا الخبث والمكر والدهاء في كل شيء؟..

فمن هو «تريجفي لي»؟ وماذا كان دوره في المؤامرة على تقسيم فلسطين؟.

لعب أول أمين عام للأمم المتحدة في الواقع - تريجفي لي - دور المهيّج والمهرّج في مشكلة «تقسيم فلسطين»، بينما لم يكن حقيقة رجلاً تنقصه الخبرة الكبيرة والإدراك. فقد كان عصامياً نشأ وسط نقابات العمال في بلده النروج، حين كان يعمل «نجار مراكب» في حوض لبناء السفن هناك، وصار من قادة العمال، وشارك في إنشاء الحزب الاشتراكي النروجي، وتولى منصب وزير الخارجية. فلما قامت «الأمم المتحدة» وأرادوا أن يختاروا

شخصية بارزة، ومن بلد يتّسم بسياسة الحياد بين الشرق والغرب، وقع الاختيار على «تريجفي لي»... وكان الاتحاد السوفياتي هو الذي رشحه لهذا المنصب الخطير، فلقي الترشيح قبولاً لدى الدول الأربع الأخرى: أميركا وبريطانيا وفرنسا والصين، صاحبة الأمر في اختيار الأمين العام... ثم انقلب الاتحاد السوفياتي عليه فيما بعدَ، عندما وقف موقفاً لا يرضي موسكو في مشكلة حرب كوريا سنة ١٩٥٠، وكانت النروج قد خرجت عن موقف الحياد منذ أن انضمت الى حلف الاطلنطي عند انشائه سنة ١٩٤٩، فأصرت موسكو على إخراجه من منصبه... ولم يجده نفعاً تحمّس أمريكا لبقائه حيث اضطر الى الاستقالة، وجلس يكتب مذكراته التي روى في فصول منها موقفه من قضية فلسطين في مرحلتها الأولى.

تركزت القضية في المرحلة الأولى تلك، حول تقسيم فلسطين فلما أصدرت الجمعية العامة قرار التقسيم ثار العرب في فلسطين وغمرتها موجة من الاضطرابات تحولت الى معارك دامية بين العرب واليهود... وغضب العرب والمسلمون خارج فلسطين وغمرتهم موجة من السخط على الولايات المتحدة الأميركية التي برزت في الأمم المتحدة حاملة لواء تقسيم فلسطين، ولواء إقامة دولة يهودية على أرضها العربية... وعندئذ بدأت أميركا تتراجع عن قرار التقسيم. وأخذ المندوب الأميركي في مجلس الأمن يقول ما خلاصته: لقد أصدرت الجمعية العامة قراراً طيباً ولكن تنفيذه غير ممكن الآن.. ان تنفيذه يتطلب قوة عسكرية تفرضه على العرب الثائرين الغاضبين، والأمم المتحدة لا تملك هذه القوة العسكرية، وحتى لو كانت تملكها فليس من الحكمة أن يفرض التقسيم قسراً وقهراً.

ثم راح المندوب الأميركي يقترح إرجاء تنفيذ قرار التقسيم حيناً من الزمن حتى تهدأ ثائرة العرب... وسوف تهدأ حين تخرج بريطانيا من فلسطين وتنهي انتدابها الذي حددت له يوماً معيناً، هو يوم ١٥ أيار/ مايو ١٩٤٨، وعندئذ تهدأ ثائرة الزعماء الفلسطينيين فترة من الوقت؛ وفي

خلال هذه الفترة توضع فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة، فتديرها كدولة واحدة غير مقسمة بين العرب واليهود. . .

وقد صدر مشروع القرار الأمريكي هذا كوثيقة من وثائق مجلس الأمن الدولي. وعندئذ ثار اليهود على هذا التراجع من جانب أمريكا صديقتهم ومؤيدتهم الأولى. وثورتهم هذه أمر طبيعي، لأن تراجع أمريكا ومن ورائها الدول الخاضعة لنفوذها، وهي في ذلك الوقت الأغلبية الكبرى من الدول الأعضاء، قد يضيع على اليهود الغنيمة التي أمسكوا بها على ملأ العالم بلا حرب، وبلا عناء كبير. . . وقد تضيع الغنيمة الى الأبد اذا صار العرب أكبر مما هم الآن قوة وعدّة. . . فبدلاً من أن يعبروا عن موقفهم بالغضب والهيجان، فقد يعبرون عنه بالمقاومة والقتال. . . وسوف يجدون من ورائهم دولاً غربية عديدة لها أهميتها الاستراتيجية والاقتصادية في حساب أمريكا وغير أمريكا.

كان من الطبيعي أن يثور اليهود اذن، ولكن الغريب أن ينضم الأمين العام للأمم المتحدة الى اليهود في ثورتهم على الحكومة الأمريكية. . . التي أرادت وضع فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة، وتحت إدارة المنظمة الدولية التي يتولى هو نفسه رئاسة جهازها الإداري. . . بل كان الأمر المنطقي والطبيعي أن يرحب الأمين العام بهذا الإقتراح الذي يعطي الأمم المتحدة قوة ونفوذاً واحتراماً، ويعطي أمينها العام اختصاصاً سياسياً وإدارياً واسع النطاق.

ولماذا يتحمس الأمين العام للدفاع عن قرار التقسيم الذي لم يصدر بإجماع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، انما صوتت عليه نصف الدول فحسب. . . بينما صوت النصف الآخر إما ضد قرار التقسيم وإما امتنع عن التصويت؟. . . وحتى بين الدول الخمس والعشرين التي صوّتت مع التقسيم كان من بينها من كان متردّداً ومضطرباً في تصويته حتى اللحظة الأخيرة. . . فهناك سبع دول عارضت التقسيم أو امتنعت عن التصويت عندما جرى أول مرة، فلما أعيد التصويت كما تقضي الاجراءات غيّرت موقفها وانقلبت الى

تـأييد التقسيم. وكـان هذا التغيير بعد ضغوط تعـرض لهـا عـدد من رؤسـاء الجمهوريات كما حدث في الفيليبين وليبيريا، أو بعـد اغراءات مـادية تلقـاها عدد من ممثلي الدول الصغيرة ومنها كوستاريكـا وباراجـواي وهايتي... وإن كان بعضهم قد رفض الاغراء، ورد ما أرسل اليه من هدايا ثمينة.

رغم كل ذلك، فقد هبّ «تريجفي لي» يشـارك اليهود في ثـورتهم على مشروع وصاية الأمم المتحدة على فلسطين... فماذا فعـل؟ يكفي أن نذكـر بعض ما كتبه في مذكراته التي عنونها «في سبيل السلام».

لقد أعد استقالته ليعلنها على العالم احتجاجاً على أمريكا اذا لم تعـدل عن الكلام في موضـوع وصايـة الأمم المتحدة، واذا لم تمض في تـأييد قـرار تقسيم فلسطين بكل قوتها ونفوذها... ثم طلب الى مندوب أمريكـا في الأمم المتحـدة السناتـور «وارين اوستن» أن يعد هـو الآخر استقـالته احتجـاجاً على سياسة حكومته... وطلب اليـه أن يتضامنـا معاً، فيعلنـا استقالتهمـا في وقت واحد على ملأ العالم.

هكذا خرج الأمين العام للأمم المتحـدة، حتى عن الوقـار الذي ينبغي أن يتّصف بـه منصبـه الكبيـر. لقـد أراد أن يعـدّ «مـظاهـرة دوليـة» يسيـر في مقدمتها، متأبطاً ذراع مندوب أمريكا؛ وبذلك يعطي المؤسسـة الصهيونيـة وقوداً تلهب به الرأي العام لا في أمريكا وحدها، بل في العالم كله.

ويقول «تريجفي لي» في مذكراتـه أن «وارين اوستن» قال لـه أنه مستـاء من موقف حكومته وترددها، لكنه لا يـرى من الملائم أن يشتـرك في مظاهـرة علنية ضد حكـومته. وعنـد ذلك تحـرك اليهود الصهيـونيون على جبهتين إزاء هذا الموقف. جبهة القتال وجبهة السياسة.

أما في جبهة القتال فقد صمم اليهـود على أن يضعوا العـالم أمام الأمـر الواقع بـأن يستولـوا فعلاً وبقـوة السلاح على المنـاطق التي خصصت لهم في خريطة تقسيم فلسطين. وراحت قوات الهـاجانـاه، نواة الجيش الاسـرائيلي،

تستولي على المدن الفلسطينية واحدة تلو الأخرى. . . وأمام أعين الانتداب البريطاني الذي كان ما يزال بجيشه وأسلحته قائماً على فلسطين. . . وما زالت قواته تحتل مدنه وثغوره. فاستولت قوات الهاجاناه على طبرية في ١٨ ابريل، وعلى حيفا في ٢١ منه، وعلى صفد في ١٠ أيار/مايو، وعلى يافا في ١٣ منه، كما استولت في أواخر شهر ابريل على قطاع كبير من مدينة القدس.

وبينما كانت قوات الهاجاناه تشن غاراتها على المدن الفلسطينية وتحتلها، كانت «الوكالة اليهودية» تعمل في المجال السياسي. فلا بأس أن تقوم الدولة العبرية بقوة السلاح التي ترهب العرب حالياً ومستقبلاً، وبتأييد الأمم المتحدة وقرارها الذي ينفع ركيزة سياسية وقانونية لها، حالياً ومستقبلاً أيضاً.

فماذا فعلت «الوكالة اليهودية» في المجال السياسي وبالذات في مجال الأمم المتحدة؟.

ان المشكلة التي تواجه تلك المؤسسة الصهيونية الخطيرة تتركز في أن وزارة الخارجية ووزارة الدفاع في واشنطن قد نشطتا في التنبيه الى العواقب الوخيمة والمخاطر التي ستواجه أمريكا اذا مضت في الخطة الطائشة التي رسمتها مراكز النفوذ الصهيوني وأشياعها في أمريكا، ودفعتها دفعاً الى تأييد مشروع تقسيم فلسطين وإقامة دولة يهودية في قلب الوطن العربي. . . وكان من يشجع الدبلوماسيين والعسكريين الامريكيين على اتخاذ هذا الموقف أن الحكومة البريطانية وبالذات وزير خارجيتها «ارنست بيفن» كان يحذر من عواقب الانحياز الى اليهود على حساب العرب، وكانت بريطانيا حينذاك تحتفظ بنفوذ سياسي في أمريكا أكبر بكثير مما بقي لها فيما بعد. . .

فرأت «الوكالة اليهودية» أن تقفز فوق رأس وزارة الدفاع، ورأس وزارة الخارجية وتتجه رأساً الى البيت الأبيض، وتنتزع من رئيس الجمهورية الاعتراف اللازم بقيام الدولة اليهودية. . .

وهكـذا نرى أن الـرئيس الامريكي «هـاري ترومـان» في ذلك الـوقت، يروي بنفسه مـا حدث في فصلين من مـذكراتـه، فيقول بـأن الضغط اليهودي اشتد على البيت الأبيض ووصل الى أقصى المدن في برقيات تنهال عليـه كل يـوم من آلاف الأفراد، ومئـات المنظمـات، ومن وفود تـأتي حاملة العـرائض والشكاوي ،بينما أعضاء الكونغرس يقيمون الدنيا ويقعدونها، والصحف تـطفح بالدعاية الصهيـونية. . . وكـل هؤلاء يطالبـون الرئيس بـأن يعلن أن الحكومـة الامريكية ما زالت متمسكة بقرار تقسيم فلسطين، وما زالت مؤيدة قيام الدولـة اليهودية في فلسـطين. . . وقد ضـاق «ترومـان» بهذا كله فقـرر ألا يقابـل أي صهيوني أو أي أحد يريد أن يتحدث اليه في موضوع فلسطين.

وجاء الى واشنطن رئيس الوكالة اليهودية، حاييم وايـزمان، الـذي نجح في انتـزاع وعد بلفـور من بريـطانيا قبـل هذا بثـلاثين سنة. . . وطلب مقـابلة تـرومـان فـرفض البيت الأبيض، لأن الـرئيس لا يـريـد أن يقـابـل أحــداً من الصهيونيين. . .

ثم يقول «ترومان» في مذكـراته أن صـديقه القـديم «ايدي جـاكسون»، الذي كان شريكه في محل خردوات في مدينة شيكاغو، جاء يوماً لزيارته. . . وتحدث اليه حديث الأصدقاء القدماء قائـلاً: «ماذا جـرى لك يـا هاري؟ أنت الرجل المتـواضع الانسان، كيف ترفض مقـابلة رجل مسن مـريض هو حـاييم وايـزمان الـذي ينتظر في واشنـطن منذ شهـرين ملتمساً مقـابلتك فـلا يحـظى بها. . . أنا لا أطلب منك أن تقبل أو تـرفض ما يقـوله وايـزمان، فهـذا متروك لك، وأنا لست رجل سياسة، وإنما أطلب اليك من الناحية الانسانيـة أن تسمح لهذا الرجل المسن أن يقابلك وأن تستمع اليه. . .».

ويقول ترومان أنه يحب صديقه القديم جاكسون، ويعهد فيـه الاخلاص والأمانة،ويكبر فيه قناعته بما قسمه له الله، فلم يطلب في يـوم ما شيئـاً لنفسه من صـديقه الـذي صار رئيسـاً للجمهوريـة. . . ولهذا رأى أن يقـابل وايـزمان ويمضي معه ساعتين، قدم له وايزمان بعدها كتاب «التوراة» عربوناً لتحالفهمـا،

وقد أسرّ له ترومان بما سيفعل قريباً.

وجاء اليوم الذي حددته بريطانيا لإنهاء انتدابها على فلسطين... ففي ١٥ مايو ١٩٤٨ في منتصف الليل، عندما دقت الساعة الثانية عشرة مساء بتوقيت فلسطين، انتهى الانتداب البريطاني. وفي الساعة الثانية عشرة والدقيقة الواحدة، أعلنت الوكالة اليهودية قيام الدولة اليهودية في فلسطين وسمّتها اسرائيل...

في الساعة الثانية عشرة والدقيقة الحادية عشرة، أي بعد قيام اسرائيل بعشر دقائق تماماً... أعلن البيت الأبيض اعترافه بدولة اسرائيل.

وكان مندوب أميركا حتى هذه اللحظة ما زال يتكلم في مجلس الأمن عن تأجيل تنفيذ قرار التقسيم، ووضع فلسطين الموحدة تحت وصاية الأمم المتحدة... فربت أحد مساعديه على كتفه، وهمس في أذنه أن البيت الأبيض أعلن الآن اعتراف أمريكا بالتقسيم وبدولة اسرائيل... وعرف سفير أمريكا في هذه اللحظة ما كان يعرفه وايزمان منذ لقائه بترومان منذ شهور.

ويقول ترومان في مذكراته: اني أعلم أن وزارة الخارجية بالإجماع، ووزارة الدفاع بالإجماع، كانتا ضد المضي في قرار التقسيم... ولكنني لست بالرئيس الضعيف الذي يصغي الى كلام هؤلاء الذين يصفون أنفسهم بأنهم خبراء ومتخصصون... ولهذا قررت أن أضرب بكلامهم عرض الحائط، وأن أعلن اعتراف أمريكا باسرائيل اعترافاً واقعياً... وألا أسمح لروسيا أن تسبق أميركا الى هذا... وقد كان، فكانت روسيا هي الدولة الثالثة التي اعترفت باسرائيل. ولكن اعترافها كان اعترافاً قانونياً وهو في القانون الدولي، أقوى من الاعتراف الواقعي... أما الدولة الثانية فكانت «غواتيمالا» التي احتج مندوبها «غراثيا غرانا دوس» الذي أطلق اسمه على شارع في تل أبيب، فقد صعد الى منصة الأمم المتحدة واحتج على واشنطن، لأنها غدرت به، وأسرعت الى اعلان اعترافها، وحرمت «غواتيمالا» شرط أن تكون أول دولة تعترف بدولة «اسرائيل».

انتهى الانتـداب البريـطاني وأنزلت انكلتـرا علمهـا الـذي ارتفـع فـوق فلسطين أكثر من ثـلاثين سنة، وبـدأت تسحب قواتهـا. . . وصار العـرب في فلسطين وهـم يكادون لا يملكون شيئاً من السلاح، يواجهون قوات الهـاجانـاه بمدافعها ودباباتها وما بدأ يصل اليها من طائـرات. . . فكان لابـد من نجدتهم فقررت بعض الدول العربية أن تسارع الى النجدة، وأرسل وزير خارجية مصر بـرقية الى الأمين العـام، كما أرسـل أمين عام جـامعة الـدول العربيـة، عبـد الـرحمن عزام، بـرقية أخـرى، يبلغانـه أن الجيـوش العـربيـة قـد زحفت الى فلسـطين تلبية لنـداء إخوانهم العـرب الذي غـزت القوات الصهيـونيـة وطنهم العربي.

لقـد أحدثت بـرقيات الـدول العربيـة دوياً أعلى من دويّ دخـول بعض القـوات العربيـة الى بعض أطراف فلسـطين. . . أو هكـذا حـولت الـدعـايـة اليهودية هذه العمليات العسكرية المحدودة الى عدوان خطير يهـدد العالم كله بالفوضى وبالخراب. . . وكـان على رأس هذه الـدعايـة «تريجفي لي» الأمين العام للأمم المتحدة. . . الذي وجه خطاباً الى كل من سفـراء الدول الخمس الكبرى في مجلس الأمن يطلب فيـه أن تقوم دولهم بعمـل حاسم لـوقف هذا العدوان العربي الخطير، جاء فيه:

«عزيزي السفير

أعدّه واجباً علي أن أذكـر بكل التـأكيد أن هـذه هي أول مرة منـذ وضع ميثـاق الأمم المتحدة تصـرح فيه دول أعضـاء في الأمم المتحـدة، تصـريحـاً رسمياً علنياً بأنها تقوم بعمل مسلح خارج حدودأرضها. وأكثر من هـذا أن يقع هذا التدخل المسلح في اقليم توليه الأمم المتحدة اهتماماً خاصاً. . .

ان اجتمـاع مجلس الأمن يوم ١٥ أيـار/مـايـو، وعـدم اتخـاذه الاجـراء السريع والحاسم، ينطوي على خطر كبير يهدد الأمم المتحدة. . . وإن فشـل مجلس الأمن في أن يعمـل في هذه الـظروف الحرجـة لن يؤدي إلا الى أفدح الأضـرار التي تصيب هيبة الأمم المتحدة، وتقضي على الآمـال المعلقـة على

فاعليتها في المستقبل لحفظ السلام في أي مكان في العالم. انني أحث حكوماتكم بكل حزم، على أن تفكر في مدى الخطورة البالغة التي وصل اليها الموقف الذي تواجهه الآن الأمم المتحدة، وعلى ضرورة القيام بعمل سريع في هذه اللحظة الحرجة».

هذه فقرات من الخطاب الدرامي الذي أرسله «تريجفي لي» مصوراً فيه تحرك بعض الدول العربية لكي تنجد العرب المغلوبين على أمرهم في فلسطين بأنه «أول عدوان مسلح يشهده العالم منذ انتهت الحرب العالمية الثانية، وأنه لو نجح هذا العدوان لانتهت الأمم المتحدة وانتهت معها سيادة القانون الدولي».

ومنذ ذلك الوقت، وعلى مدى أكثر من عقدين طويلين من الزمن، سارت الأمم المتحدة في الطريق الذي تمناه «تريجفي لي» أول أمين عام للمنظمة الدولية، والذي كان مصدراً أساسياً من مصادر التأييد والدعم للحركة الصهيونية في تلك المرحلة الحاسمة.

وما زال العالم يمثل «شاهد زور» على أكبر جريمة في القرن العشرين، تلك المتعلقة بشعب ووطن وأمة تختصرها كلمة عربية واحدة اسمها «فلسطين».

المراجع

١ ـ عبد الحميد الكاتب «١٥ مايو ١٩٤٨ يوم لن ينساه العرب». مجلة «العربي» (الكويتية). العدد ٢٩٨ . سبتمبر ١٩٨٣ . ص ٤٤ ـ ٥٠ .

٢ ـ س. ناجي «المفسدون في الأرض». منشورات «العربي للإعلان والنشر والطباعة» دمشق. الطبعة الثانية ١٩٧٣. ص ٣٢٩.

٣ ـ د. زاهية قدورة «تاريخ العرب الحديث». دار النهضة العربية. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٧٥. ص ٢٤٤.

٤ ـ «الموسوعة السياسية» بإشراف د. عبد الوهاب كيالي وكامل زهيري. منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٧٤. ص ١٥٢.

المكر الصهيوني في قضية

اغتيال وزير الدفاع الاميركي جيمس فورستال

ليس من الصدفة أبداً، أن يصبح الخوف والرعب هاجساً وكابوساً يقض مضاجع الكثيرين من المسؤولين الاميريكيين أمام «بعبع» متملحفٍ بنجمة داوود السداسية. كيف لا، والتاريخ الاميركي حافل بكثير من التجارب التي تؤكد إجرامية اليهود والصهيونية العالمية. ولم تكن عملية اغتيال الرئيس ابراهام لنكولن (محرّر العبيد) على يد اليهود أنفسهم، سوى الدرس الذي يحمل في جوهره الكثير من العبر، والذي يؤخذ دوماً بالحسبان في قاموس التعامل مع هذا الاخطبوط الذي يمتص دماء الشعوب بصورة عجيبة. . .

إزاء هذا الواقع، ليس مستغرباً ذلك التغلغل السرطاني الصهيوني في الجسم الامريكي، وهو الذي دفع بالولايات المتحدة الاميركية ذاتها أن تكون السبّاقة بين دول العالم في الاعتراف بما يسمى بدولة «اسرائيل»، محرزة المرتبة الاولى في هذا المضمار بعد أن كانت «غواتيمالا» تتأهب لهذه الخطوة. .

وفي الوقت الذي وقف فيه الرئيس الاميركي «هاري ترومان» معلناً اعترافه بإسرائيل بعد دقائق معدودة، رغم نصائح الكثيرين من مقرّبيه بعدم الإقدام على هذه الخطوة، فإن من الطبيعي أن لا تقف أية حصانة حائلاً دون الاقتصاص من جميع الذين يتجرؤون على مناهضة الصهيونية وأحابيلها مهما

علت مناصبهم وارتفعت درجاتهم في سلم الشهرة والمجد...

هكذا كان حال الجنرال «جيمس فورستال» وزير الدفاع الاميركي في حكومة ترومان، والذي عارضه في تأييد قيام هذه الدولة الجرثومية في قلب الوطن العربي، وكلفه هذا الموقف حياته...

فمن هو الجنرال «جيمس فورستال»؟ وما هي أسرار عملية اغتياله؟.

إن مسؤولاً لبنانياً كبيراً سأل دبلوماسياً أميركياً: لماذا لا يضع الرئيس جونسون التعهد الذي أخذه على نفسه يوم ٢٥ مايو بالمحافظة على الكيانات الاقليمية والحدود السياسية لدول الشرق الأوسط موضع التنفيذ.. فيطالب اسرائيل بالانسحاب من الأراضي التي احتلتها أثناء عدوان الخامس من حزيران/يونيو ١٩٦٧؟..

أجاب الدبلوماسي الاميركي: لو فعل الرئيس جونسون ذلك فسوف يقتل في أقل من ٢٤ ساعة...

ولم يكن الدبلوماسي الاميركي مغالياً في الواقع، حيث قتل الصهيونيون رجالاً كثيرين وقفوا في طريق أطماعهم في فلسطين وخارجها، ولعل حادثة الجنرال «جيمس فورستال» وزير الدفاع الاميركي في عهد ترومان وحكومته، هي أكبر دليل على عقدة الرعب التي تتحكّم برجال السياسة الاميركية..

وكما يبرز اسم السناتور «وليام فولبرايت» رئيس لجنة الشؤون الخارجية للكونغرس الاميركي في معرض الحديث حول الحرب الفيتنامية، على أساس كونه المعارض الرسمي الاميركي الأول لسياسة بلاده الخارجية في فيتنام، كذلك يبرز اسم الجنرال «جيمس فورستال» وزير الدفاع الاميركي السابق في حكومة هاري ترومان أيام بحث قضية تقسيم فلسطين وإقامة دولة الاحتلال الصهيوني في قلب الوطن العربي..

لقد كانت قضية فلسطين في ذلك الحين، احدى القضايا التي استأثرت باهتمام الجنرال فورستال، والتي اتخذ منها موقفاً معارضاً لموقف حكومته، لم

يكسبه إلا الانتقاد الشديد، ثم الاقالة من منصبه والموت في ظروف «غامضة»، أسمتها السلطات الاميركية يومذاك «القضاء والقدر»، في وقت أتهمه فيه الصهاينة بالجنون. ثم دفعوه من شباك المطبخ جزاء دفاعه عن المصلحة الاميركية. .

والجدير بالذكر، قبل الخوض فيما قام به «فورستال»، وفيما قاله حول القضية الفلسطينية، كما جاء في مذكراته، هو أنه قبل وفاته بعث بمذكراته الى البيت الأبيض، حيث تم التحقيق فيها بعد وفاته، ثم أرسلت الى وزارة الدفاع لتخضع لرقابة خاصة. وقد اعترفت الوزارة بأنها قامت بحذف بعض ما جاء فيها، بحجة أنها لا تهم القارىء، وإما لأنها تضر بمصلحة البلاد العليا في حال نشرها. كما اعترفت بأنها قد زادت بعض الأشياء على هذه المذكرات، دون أن تبرر سبب هذه الخطوة. لذلك فإن قارىء المذكرات يلاحظ غياب التفاصيل في الكتاب، خاصة حول قضية الصهاينة وفلسطين، مع أن التفاصيل هي طبيعة أسلوب كتابة المذكرات. كما يلاحظ القارىء في معظم الصفحات تدخّل جامع المذكرات السافر، بأن أعطى لنفسه الحق بقطع ما جاء على لسان كاتب المذكرات ليكمل هو الحديث تحت ستار «الاختصار». ومما يجدر ذكره أيضاً كمقدمة للحديث عن موقف «فورستال» من قضية فلسطين هو أنه طالما فسّر، بطريقة غير مباشرة، اهتمامه العميق بالشرق الأوسط، وحرصه على عدم إثارة حكومته للدول العربية خاصة والعالم الاسلامي عامة، وبأن العربية السعودية مثلاً هي واحدة من أضخم ثلاث موارد للبترول مع الكاريبي والاتحاد السوفياتي. وكان يدعو الحكومة الاميركية الى توثيق عرى الصداقة مع الأقطار العربية «اذا كانت حريصة على أن لا تضطر مصانع السيارات الاميركية الى انتاج سيارات تعمل على أربع اسطوانات، واذا أرادت ضمان الأسواق لإنتاجها الضخم في العالم العربي والاسلامي الذي يضم ٤٠٠ مليون نسمة» على حد قوله. . .

من هنا فإن حرص فورستال على أن لا توافق الولايات المتحدة على

قرار التقسيم وإقامة الدولة الصهيونية، لم يكن نابعاً إلا من حرصه على المصلحة الاميركية في المدى الطويل. فقد كان أثقب وأبعد نظراً من غيره من المسؤولين الاميركيين..

ويمكننا حصر مراحل الحملة التي قادها «فورستال» بمفرده ضد تقسيم فلسطين وإقامة دولة الاحتلال الصهيوني في الخطوات التالية:

* حاول اقناع الجهات المختصة ورئيس الولايات المتحدة خاصة، بعدم الموافقة على إقتراح التقسيم، لما فيه من مضاعفات خطيرة على مستقبل الولايات المتحدة..

* قام بمحاولات مستمرة لإقناع رئيس الجمهورية بسحب قضية فلسطين من الجو السياسي ودراستها ومعالجتها بموضوعية، دون التعرض لأي ضغط من أي جهة من الجهات..

* حاول اقناع المسؤولين بأن هناك مناطق في العالم يجب أن لا تكون فيها السياسة الاميركية منحازة، خاصة منطقة الشرق الأوسط، وقضية اليهود في فلسطين بالذات. ولأنه يؤمن أيضاً أن ليس لسياسة الانحياز مكان، في المجتمع الديمقراطي...

* كان يقوم بمقابلات مستمرة مع المسؤولين والشخصيات الاميركية التي تتمتع بمراكز ذات أهمية لحملهم على الاقتناع بوجهة نظره ودعم حملته..

* كان يقال له أن العديد من الذين مولوا حملات الحزب الديمقراطي سنة ١٩٤٤، يضغطون على الحكومة للحصول منها على ضمانات بدعم اليهود ضد العرب في فلسطين، وأن هناك ثلاث ولايات سيخسرها الحزب الديمقراطي اذا لم تعط الحكومة هذه الضمانات، لأن المتنفذين في هذه الولايات مهتمون جداً بقضية اليهود وإقامة دولة لهم في فلسطين. ولعل فورستال كان يشعر بمدى الضغط الصهيوني على حكومته خاصة والبلاد عامة.

وقد يكون هذا هو الخط الذي قصد الإشارة اليه عندما قال يوماً لزعيم الشيوخ الديمقراطيين انه «يجب أن لا ندع أي فريق في البلاد يضغط علينا بقصد توجيه سياستنا الخارجية، الى حد يصبح فيه أمننا الوطني في خطر». وقال أيضاً أنه يفضل أن يخسر الحزب الديمقراطي ولايات بنسلفانيا ونيويورك وكاليفورنيا في الانتخابات العامة، على المخاطرة بالمضاعفات التي ستصيب الولايات المتحدة من جراء الأسلوب الذي ستعالج به قضية فلسطين واليهود. .

* كان يردد على مسامع رئيس الولايات المتحدة باستمرار ضرورة انتهاء السياسة الاميركية الداخلية على حدود المحيط الأطلسي. وكان يطلب من المسؤولين إعادة النظر بآرائهم في قضية فلسطين، لأنها قضية لا تهم الغرب في الشرق الشمالي والهند وأفغانستان. .

* وفي ٢٩ نوفمبر، عندما صوتت الجمعية العمومية بـ ٣٣ صوتاً مقابل ١٣ صوتاً وتغيب ١٠ أصوات لصالح تقسيم فلسطين، علق فورستال على القرار بقوله: إن هذا القرار يتضمن خطراً كبيراً على مستقبل الولايات المتحدة. وأنني أعرف العديد من اليهود الذين يشكون بحكمة الضغط الصهيوني وإقامة دولة يهودية في فلسطين. . .

* قام فورستال بمحاولات لا تحصى لإقناع أقطاب الحزبين الديمقراطي والجمهوري، بالإتفاق على عدم استغلال قضية دعم اليهود في فلسطين في حملاتهم الانتخابية، حتى تتمكن الحكومة من تغيير موقفها المنحاز الى جانب اليهود في فلسطين، وتقف الموقف الذي يحافظ على مصالحها في الشرق الأوسط، ولكنه فشل، ومع ذلك لم ييأس. .

* وقام بكتابة تقرير رفعه الى وزارة الداخلية الاميركية قال فيه ما معناه: ان علاقة الولايات المتحدة مع الشرق الأوسط هي من أهم فروع سياستها الخارجية، إن لم تكن أهم فرع فيها. كما أنها أكثرها دقة وحساسية وخطورة. لهذا فمن الغباء أن ترضى الحكومة الاميركية بأن يتطور الوضع في فلسطين في طريقٍ سيسبب جرحاً دائماً لا يندمل في علاقاتها مع الدول العربية

والاسلامية. كما قد يتسبب في انزلاق الولايات المتحدة الى حرب..

ودعم فورستال تقريره بقوله: ان العديد من اليهود الذين تحدث اليهم يعتقدون أن حماس الصهاينة وضغطهم سيكون له مضاعفات خطيرة إن لم يكن في المدى القصير، ففي المدى الطويل. ولن يتأثر بهذه المضاعفات مركز اليهود في أنحاء العالم فقط بل ستتأثر بها أيضاً الحياة الاميركية..

وقال فورستال محذراً: انه ليس من مصلحة الولايات المتحدة أيضاً أن تبيع الأسلحة لليهود في فلسطين. كما أن عليها أن تسحب دعمها لإقتراح التقسيم،مشيراً الى أن الوقت لم يزل يسمح للحكومة بأن تقول أن الإقتراح غير عملي ومن المستحيل تطبيقه، وبذلك يمكنها تبرير قرارها بإعادة النظر بدعمها لإقتراح التقسيم..

وقد أشار فورستال في تقريره هذا الى الأساليب التي استعملها أشخاص وفرقاء لا علاقة لهم بالسلطة التنفيذية في البلاد، للضغط المتواصل على الدول الأخرى لتدعم اقتراح التقسيم في الجمعية العمومية، وقال إن هذا التصرف كان فضيحة مخجلة..

وبدأت حملات الضغط على فورستال لإيقاف حملته عندما تبين للجميع أنه مصرّ على المضي بها.

واعترف فورستال أنه لا يتمتع بأي سلطة لتخطيط سياسة دولته الخارجية، ولكنه قال بأنه انما يقوم بواجبه تجاه ما أسماه بسياسة تتبعها حكومته ستكون ضارة بمصلحة البلاد العليا. وقال أيضاً: أن عدم خضوعنا للضغط الصهيوني قد يفقدنا ولاية نيويورك وكاليفورنيا وبنسلفانيا ولكنني أعتقد بأن الوقت قد حان لأن يفكر أحد منا بإمكانية خسارتنا الولايات المتحدة بأكملها..

واستمرت حملة الانتقاد والتهجم على فورستال. وبدأت التحذيرات تنهال عليه من كل جانب. وقيل له العديد من المرات أن موقفه هذا،

المعارض لسياسة بلاده تجاه اليهود في فلسطين قد وضعه في موقف لا يحسد عليه أبداً، وأصبح في عداد الأسماء الموضوعة على اللائحة السوداء الصهيونية. ويبدو أن فورستال اقتنع بعدم جدوى حملته ولكنه لم يغير رأيه أبداً..

وقد حدث في شهر سبتمبر سنة ١٩٤٨، أن طلب منه البروفسور «هارولد دودز» رئيس جامعة برنستون، حيث درس فورستال، القاء محاضرة من سلسلة المحاضرات التقليدية السنوية في الجامعة. وأبلغه فورستال حينذاك أن الموضوع الوحيد الذي يهمه البحث فيه هو شخصية الحكومة الاميركية، وصعوبة رسم وتنفيذ السياسة بسبب العاهة الأساسية المصابة بها السلطة الاميركية وهي فقدان النظام البرلماني الحقيقي. ولم تحتو المذكرات على أي تفاصيل حول رايه هذا...

وبدأت تنتشر الشائعات حول الإرهاق العصبي الذي يعاني منه الجنرال فورستال كمقدمة لدفعه الى الاستقالة..

ولو أن هذه الشائعات كانت صحيحة، لكان قد ظهر أثر ذلك في مذكراته، أو كان قد أشار اليه هو بنفسه ولو إشارة عابرة. ولكن حتى الذي جمع ونقح مذكراته كان يقول إن نشاط وحماس فورستال منذ توليه منصب وزير الدفاع كان بازدياد مستمر..

ولم تهدأ الشائعات حول مرض فورستال العصبي إلا بعد أن قدم استقالته التي بعث بها بعد شهر من كتابة بضعة رسائل الى أصدقائه المقربين، يعبر فيها عن اقتناعه بأنه سيستمر في منصبه، وبأنه شخصياً يرغب في ذلك. وفي مارس ١٩٤٩ استقال جيمس فورستال، أي قبل أن يكمل فترة السنتين في منصبه. ويقال بأنه طار الى فلوريدا للإستجمام، ولكنه غاد بعد فترة قصيرة ليدخل المستشفى العسكري لاشتداد حالته العصبية..

وفي ليلة ٢١ ـ ٢٢ مايو، وكان قد انتقل من المستشفى الى بيته، كان

فورستال يقرأ في كتاب للشعر العالمي. وفي الساعة الثالثة صباحاً ألقى الكتاب جانباً ودخل المطبخ الصغير، الذي كان يشجع على استعماله (...)، كما قال جامع المذكرات. وهناك في المطبخ الصغير، ومن نافذته في الطابق السادس وقع فورستال ولاقى حتفه. واختتم التحقيق بالقول أن الحادث وقع قضاء وقدراً..

أمام هذا الواقع، فإننا نؤكد بأن الذين احترفوا فنّ المكر والخديعة وسرقة أرواح الألوف من الناس وإزهاقها، ليسوا عاجزين عن إزهاق روح «فورستال» بطريقة تبعد عنهم الاتهامات، وترضي في الوقت نفسه غريزة القتل والإجرام المتغلغلة في دمهم والمعشعشة في شرايينهم. وذلك هو معدنهم...

المراجع

١ ـ رضا سلمان «قتلوه لأنه عارض قيام دولة اسرائيل». مجلة «الحوادث» البيروتية. عدد ٥٥٥. الجمعة ٣٠ يونيو ١٩٦٧. ص ١٠ ـ ١١.

٢ ـ أحمد عطية الله «القاموس السياسي» دار النهضة العربية. القاهرة. الطبعة الخامسة ١٩٧٤. ص ٨٨٦ ـ ٨٨٧.

٣ ـ ألفرد ليلينتال «ثمن اسرائيل» ترجمة حبيب نحولي وياسر هواري. مطابع دار الكشاف فبراير ١٩٥٤ ط ١. بيروت. ودار الآفاق الجديدة. ط ٢.



السرطان الصهيوني في أميركا

يدرك الكثيرون في بقاع الأرض أن الولايات المتحدة الاميركية أضحت ألعوبة في أيدي اليهود الصهيونيين الذين تغلغلوا في كل نواحيها كما يتغلغل السرطان في الجسم البشري، على الرغم من كونها مطبخاً لصنع القرارات الدولية التي يتقرر على أساسها مصير البشرية جمعاء.

فما هي أسباب هذا النفوذ؟ وما هي أسراره؟.

فعندما اكتشفت أميركا وفاضت خيراتها على أوروبا، بهر بريق ذهبها أبصار اليهود، وفكروا بوسيلة تؤمن حصتهم من هذا المعبود اليهودي القديم. فاندسّ غلاة مغامريهم في قوافل المهاجرين بشتى الأساليب والحجج، فوصلوا الى القارة الجديدة حيث انغمس رفاقهم بشتى الأعمال، بينما استهدف اليهود جمع المال واكتنازه دون سواه. وفي زمن قياسي حصلوا منه على أضعاف ما حصل عليه الآخرون.

ولما اندلعت نيران الثورة الاميركية إزداد طمع اليهود، فاستثمروا أحداث الثورة على أوسع نطاق؛ فتاجروا بالأسلحة وتجسسوا لحساب الطرفين، فدرّت عليهم هذه الأعمال المال الوفير، واحتاج اليهم المتقاتلون، حيث استغل اليهود هذه الفرصة الجديدة وعمدوا الى تمويل الجبهتين بالمال والمعلومات. بغية إطالة أمد الحرب لتزيد فوائد أموالهم التي كانوا يقرضونها للمتخاصمين. وكان المثقفون من الأميركيين يعلمون ما يرمي إليه اليهود ولكنهم فضلوا السكوت عنهم خشية أن ينحازوا لأعدائهم البريطانيين. ولما

حصلت أميركا على استقلالها واجتمع مجلسها التأسيسي عام ١٧٨٩، تطرق المجتمعون الى البحث عن وضع اليهود في بلادهم، فقام بنيامين فرنكلين بطل التحرير الأميركي وأبرز أعضاء المؤتمر، وألقى كلمة تحذيرية في المجتمعين قال فيها: أيها السادة لا تظنوا أن أميركا نجت من الأخطار بمجرد أن نالت استقلالها. فهي ما زالت مهددة بخطر جسيم لا يقل خطورة عن الإستعمار. وهذا الخطر سوف يأتينا من جراء تكاثر عدد اليهود في بلادنا. وسيصيبنا ما أصاب البلاد الأوروبية التي تساهلت مع اليهود وتركتهم يستوطنون في أرضها. إذ أن اليهود بمجرد تمركزهم في تلك البلاد عمدوا الى القضاء على تقاليد ومعتقدات أهلها وقتلوا معنويات شبابها بفضل سموم الإباحية واللاأخلاقية التي نفثوها فيهم، ثم أفقدوهم الجرأة على العمل... فهم يدخلون كل بلد بصورة دخلاء مساكين، وما يلبثون أن يمسكوا بزمام مقدراتها، ومن ثم يتعالون على أهلها وينعمون بخيراتها دون أن يجرأ أحد على صدّهم عنها... إنهم أبالسة الجحيم وخفافيش الليل ومصاصو دماء الشعوب. فلا يمكنهم أن يعيشوا مع بعضهم البعض لأنهم لن يجدوا فيما بينهم من يمتصون دمه. ولهذا يفضلون البقاء مع الشعوب الشريفة التي تجهل أساليبهم الشيطانية، ليثابروا على امتصاص دماء أبنائها ولينهبوا من خيراتها. وللأسباب التي أوضحتها لمجلسكم الموقر أتوسل إليكم أيها السادة أن تسارعوا باتخاذ هذا القرار وتطردوا هذه الطغمة الفاجرة من البلاد قبل فوات الأوان، ضناً بمصلحة الأمة وأجيالها القادمة. وإلا سترون بعد قرن واحد أنهم أخطر مما تفكرون، وستجدونهم وقد سيطروا على الدولة والأمة، ودمروا ما بنيناه بدمائنا، وسلبوا حريتنا، وقضوا على مجتمعنا. وثقوا بأنهم لن يرحموا أحفادنا، بل سيجعلونهم عبيداً في خدمتهم. بينما هم يقبعون خلف مكاتبهم يتندرون بسرور بالغ بغبائنا ويسخرون من جهلنا وغرورنا.

أيها السادة! لا تظنوا أن اليهود سيقبلون يوماً الإنصهار في بوتقتكم، والإندماج في مجتمعكم، فهم من طينة غير طينتنا، ويختلفون عنا في كل شيء. وأخيراً أهيب بكم أن تقولوا كلمتكم الأخيرة وتقروا طرد اليهود من

البلاد. وإن أبيتم فثقوا أن الأجيال القادمة ستلاحقكم بلعناتها وهي تئن تحت أقدام اليهود.

ولكن المجلس التأسيسي رد هذا المشروع ولم يقرّه، في الوقت الذي انتصر فيه اليهود وظلّوا مقيمين في أميركا بأمان. ولقد برهنت الأيام على أن فرنكلين كان على حق في كل ما قاله، وأن نبوءته كانت صادقة تماماً، ومؤكدة مدى إخلاصه لقومه وبلده، وإن واقع أميركا اليوم ينبىء بأن اليهود هم سادتها دون ريب، وليس فيها من يجرؤ على رفع اصبعه في وجههم، والعالم أجمع يشهد بأن أميركا هي قلعة الصهيونية الحصينة ومركز الرأسمالية اليهودية. وعلى سبيل المثال نذكر أن السيد فرنكلين روزفلت الذي حكم أميركا أثناء الحرب العالمية الثانية لم يكن في الأصل إلا يهودياً انحدر من عائلة يهودية هجرت اسبانيا عام ١٦٢٠ وتشرد أفرادها في الأقطار الأوروبية حقبة من الزمن، ثم انتهى بهم المطاف الى أميركا. كما أن زوجته أيضاً يهودية معروفة تدعى سارة دولانو، عرفت طيلة حياتها بالعمل لصالح اليهود. أما روزفلت فقد دلل مراراً على تمسكه بعنصريته وتحيزه لليهود والصهيونية. هذا وقد قدم له اليهود في مدينة نيويورك وساماً من الذهب نقشت على أحد وجهيه صورة روزفلت وعلى وجهه الثاني النجمة السداسية، وقد كتبت في منتصفها باللغة العبرانية الجملة التالية: الرفاه والحكمة لفرنكلين روزفلت نبيّنا الجديد الذي سيعيدنا الى الأرض الموعودة في ظل خاتم سليمان بن داوود. وذلك اعترافاً بفضله وإشارة لما وعدهم به.

كان روزفلت لا يعتمد في إدارة شؤون أميركا إلا على اليهود. ولقد أحاط نفسه بزمرة منهم أمثال فيليكس فرانكفورتر وكوردل هول المهوّد صهر المالي اليهودي الشهير كوهين لوب ومستشاره الخاص صموئيل روزنمان والقاضي برانديس والمستشار الثاني صموئيل انترماير وبرنار باروخ صاحب كتاب «الدولة اليهودية». وهنري مورغنترو وكيل خزانته وجيس ستراوس وليو فولمان رئيس رابطة أصحاب العمل في القصر الجمهوري، ولاغوارديا محافظ نيويورك السابق، ومئات آخرين من أشهر رجالات اليهود في أميركا. وكانوا

جميعاً يعملون في تخطيط شؤون الدولة وكأنها دولتهم. أما مهمة روزفلت فكانت تنحصر في إقرار وتوقيع ما يشرّعه هؤلاء اليهود والإشراف على تنفيذه.

والنفوذ اليهودي في أميركا لا يقتصر على التحكم في شؤون الدولة فحسب، بل يتعداه الى السيطرة التامة على معظم أحزاب البلاد، بالإضافة الى السيطرة على صناعة السينما التي تعتبر خامس الصناعات الاميركية. وبالرغم من أن عددهم في أميركا لا يربو على العشرة ملايين، فإنهم رفعوا روزفلت في الماضي الى سدة الرئاسة. وهم الذين ساندوا ترومان الماسوني على الفوز بعد أن قدم ولاءه لوايزمن الذي زار في حينه أميركا، ولقد أهداه نسخة من «التوراة» إشارة لتحالفهما. كما أن اليهود كانوا خلف فوز أيزنهاور وإيصاله الى سدّة الحكم بعد أن شاهد الناس خلال هذه الانتخابات رجال الدين اليهود يتجولون في شوارع نيويورك ويدعون الناس لمؤازرة أيزنهاور.

وعندما سئل الصناعي الاميركي الكبير السيد هنري فورد عن سر توسع النفوذ اليهودي في بلاده، أجاب بأن المسؤول الأول عن توسع نفوذ اليهود في بلادنا هو طراز الحكم فيها (يعني الحكم الديمقراطي). هذا الحكم الذي يتساوى في ظله جميع المواطنين، بصرف النظر عن أصلهم. ويحق لكل فرد أن يكتب ويقول ويعمل كما يحلو له. وهذه الحرية المطلقة استثمرها اليهود على أحسن وجه. فاختاروا العمل الجماعي ضمن مفاهيم التعاون والتآخي فيما بينهم. فتكتلوا منذ البداية وتعاونوا فيما بينهم منذ الساعة التي حطوا فيها رحالهم بهذه البلاد. بينما تمسك الآخرون بفرديتهم، وعمل كل منهم بمفرده دون معين. ولذا نجح اليهود أكثر من سواهم بفضل اتحادهم الذي يتمسكون به لمجابهة الشعوب الأخرى لأنهم يعرفون أن جميع الشعوب تكرههم وتحقد عليهم، بسبب ما افتعلوه من الكوارث منذ فجر التاريخ، وما اصطنعوه من مآسٍ في كل من فرنسا والمانيا، وما ارتكبوه مؤخراً من الجرائم في روسيا والبلقان. ولذا فهم يخافون من نقمة الناس عليهم. وهذا الخوف هو الذي يرغمهم على التعاون الوثيق فيما بينهم، وبالتالي يحضهم على تجنب الآخرين

وعدم الثقة بهم.

انطلاقا من هذا النفوذ والسيطرة اليهودية في أميركا، فقد صمم الصهيونيون على إزالة كل من يعترض طريقهم مهما سما مركزه أو عظم شأنه وللتدليل على ذلك فإننا نذكر مقتل السناتور «ماك ارثي» أمين سر لجنة الدفاع الاميركية الذي اشتهر بمناوأة اليهود لما كان يعرفه عن جرائمهم وخياناتهم. وكان يفضح أسرارهم ويعلنها للمواطنين بقصد تقليص نفوذهم. فجزع اليهود من موقفه المعادي لهم وقرروا فيما بينهم القضاء عليه.

وفي أحد أيام يونيو عام ١٩٥٧ وجد «ماك ارثي» مقتولاً في فراشه في المستشفى الذي دخله على أثر وعكة خفيفة ألّمت به. ولدى التحقيق لم يعرف سبب الوفاة. وطويت قضيته، مع أن الجميع كان يعرف أن «ماك ارثي» اغتيل بيد اليهود.

والمتتبع للأحداث التي سبقت مقتل «ماك ارثي»، ولما نشرته الصحافة عنه قبل وبعد مقتله، لا يسعه إلا أن يعترف بأنه ذهب ضحية غدر اليهود. وهذه الأحداث وما نشرته الصحافة عنه تتلخص بما يلي:

في أعقاب احدى حملات «ماك ارثي» على اليهود، عقد زعماؤهم اجتماعاً ضم كلا من «فريد كير شفاي» و«فيكتور برنستين» صاحبي صحيفة (الأمة) و«ليونيل سيمون» صاحب صحيفة (المعرض)، ومدير صحيفة (الصوت اليهودي) بكاليفورنيا. ومدير صحيفة (الشعب) في لوس انجلوس المدعو آل ريتشموند وشريكه «هاري كرامر»، و«ماير» صاحب صحيفة (بريد واشنطن) وأصحاب الصحيفة الرسمية لجمعية بني بريت اليهودية الشهيرة (البولتان) وصاحب صحيفة (الحياة) اليهودية. و«فاكس اسكوبي» صاحب صحيفة (المخبر)، والمليونير اليهودي «أرثور سوليز بيرجر» وشريكه «جوليوس ادلر» صاحبي جريدة (نيويورك تايمز) وعشرات الزعماء الآخرين. وبعد تداول أمر السيد «ماك ارثي» قرروا فيما بينهم محاربته حتى النهاية. وعلى الأثر بدأت المقالات النارية في الصحافة اليهودية تنهال على «ماك ارثي». كما شرع

بعض زعماء اليهود بتوجيه الانذارات اليه. ولقد كتبت الصحيفة اليهودية (بني برايت ميساجير) في احدى أعدادها تقول: «لسنا من محبّي التكهنات ولكن سلوك «ماك ارثي» وأعماله توحي لنا بأن نهايته ستكون سيئة جداً، ولربما مات بصورة تدهش العالم، كما مات النائب «هوي لونغ» الذي كان يسير على غراره.

كما صرح الزعيم الصهيوني المعروف «فوستر» بأن على ماك ارثي أن يبتعد عن الميدان السياسي متطوعاً وإلا أبعد عنه قسراً. واذا عجز الآخرون عن اقناعه، فسأضطر لتنظيف الساحة السياسية منه نهائياً. ولكن لم تلن قناة ماك ارثى الصلبة أمام تهديدات اليهود، وثابر على محاربتهم واتهامهم بالخيانة. ولقد كتبت صحيفة (لوك) في عددها الصادر في ١٧ نوفمبر ١٩٥٥ تقول أن جميع الأسماء التي يقدمها ماك ارثي الى مجلس الأعيان، والتي يتهم أصحابها بالخيانة هم جلّهم من اليهود. وفي أعقاب هذه المقالة، اشتد الصراع بين ماك ارثي واليهود ودام الى اليوم الثالث من يونيو ١٩٥٧ الذي فوجىء العالم فيه ينعي «ماك ارثي» اليه من قبل جريدة (مانشستر يونيون ليدر) ببعض الكلمات المقتضبة اختتمتها بقولها: قتل «ماك ارثي» في المستشفى «وانتهى الأمر».

وفي ١٢ يونيو ١٩٥٧ علقت صحيفة (نيويورك سانداي نيوز) على مقتل «ارثي» وقالت أن الرجال الشجعان أمثال ماك ارثي يرهبون اليهود، ولذا يتعرضون لسخطهم. وعندما تتأكد دوائرهم السرية الخاصة من تفاقم خطر هؤلاء الرجال يسارع اليهود الى القضاء عليهم وإزاحتهم عن الطريق مهما كلفهم الأمر.

ومع كل هذا ظلت السلطات المسؤولة تتجاهل الموضوع رغم أنها كانت تعلم أن السيد «جورج برن» سبق وأن نشر عام ١٩٥٤ أسماء ثلاثمائة جمعية، ومئات من رجالات اليهود في صحف نيويورك، واتهمهم بالتآمر على حياة ماك ارثي. كما انها قد اطلعت على ما نشرته جريدة (دايلي سن)

اليهودية التي تصدر في لوس افاكاس محددة اسم الجمعية التي عملت على إزاحة ماك ارثي عن مسرح السياسة الاميركية. كما انها استمعت الى شهادة السناتور جورج ممثل جورجيا وزميله فيركيزون نائب مقاطعة ميشيغان اللذين شهدا بأن بريد «ماك ارثي» كان يفتح يومياً من قبل رجال المنظمات اليهودية وبصورة منتظمة. ولكن هذه التصريحات والشهادات ظلت في نظر السلطات وكأنها لم تكن. وطويت قضية «ماك ارثي» وكأنها من أتفه القضايا، رغم منصبه كأمين سر لجنة الدفاع الاميركية. والأغرب من ذلك نرى بأن التاريخ يعيد نفسه في أيامنا هذه. وتظهر لنا السلطات الاميركية بنفس المظهر ونفس العجز أمام السيطرة اليهودية، وذلك في قضية مقتل الرئيس جون كينيدي الذي اغتاله اليهودي «أوزوولد» الذي فوجئنا بمقتله بدوره، وطويت القضية، وكأن أوزوولد كان المسؤول الوحيد عن هذه الجريمة التي هزت مشاعر الناس، بينما العالم أجمع يعلم أن أيادٍ عريقة في الاجرام كانت وراء أوزوولد دأبت على العمل في الخفاء دون أن تترك وراءها من الآثار إلا القليل جداً. ولكن هذا القليل كان دائماً وأبداً يكفي ليشير اليها في النهاية ولكن بعد فوات الأوان.

ومسألة اتقان اليهود اخفاء آثار جرائمهم في أميركا هي في غنى عن البيان، ولا تحتاج الى نقاش، وذلك بفضل ما يملكونه من الجمعيات السرية التي يدفعونها للقيام بأعمال القتل والاغتيال. ولقد اشتهرت من بينها جمعية «القباللو» التي تقوم في أميركا مقام جمعية «الهسكالا» اليهودية التي تعمل في البلاد الاشتراكية.

أَلَم يتعرض الرئيس الاميركي ابراهام لنكولن لعملية اغتيال من قبل اليهود أيضاً عندما شكل خطراً داهماً على أهدافهم ومصالحهم باعتباره محرّر العبيد وهم الذين يريدون البشر كلهم عبيداً لهم؟.

وسجل التاريخ مليء بأمثاله. إلا أن الحق هو المنتصر أخيراً. والظلم الى زوال.

المراجع

١ ـ س. نـاجي «المفسدون في الأرض» منشـورات العربي لـلإعلان والنشـر والطباعة. دمشق. الطبعة الثانية. ١٩٧٣. ص ٣٢٢ ـ ٣٣٥.

٢ ـ أتيلهان «الاسلام وبني اسرائيل» ص ١٢١ ـ ١٢٣ وص ٤٩ ـ ٥٠.

٣ ـ فؤاد صرّوف «روزفلت» مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر. الـطبعة الأولى. مارس/آذار ١٩٤٣.

٤ ـ «الموسوعـة السياسيـة» بإشـراف عبد الـوهاب كيـالي وكـامـل زهيـري. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت ١٩٧٤. ص ٥٩٤ ـ ٥٩٥.

٥ ـ P. Hepess «Le dernier bal du grand soir» Page 268.

الخنجر الكوبي في البلعوم الاميركي
وأسرار عملية خليج الخنازير

تعتبر الحرب السرية التي ما تزال تشنها وتخوضها الولايات المتحدة للقضاء على «فيديل كاسترو» ونظامه في كوبا منذ انتصار الثورة في عام ١٩٥٩، من أهم المواضيع الخطيرة التي تقلق كل حكومات أميركا ورووس البنتاغون، كما تمثل الهاجس الأكبر لكل رؤسائها.

كيف لا... وقد قال كاسترو متحدياً غطرسة الامبريالية الأميركية وكبرياءها: «يكفي بأننا أقمنا الاشتراكية على فم الولايات المتحدة» التي تبعد عنها كوبا تسعين ميلاً فقط. ومن هنا نلاحظ أن أميركا، كأكبر دولة امبريالية في العالم، تعجز عن أن تتنفس بصورة طبيعية في ظل وجود نظام شيوعي ككوبا يقبع جاثماً على صدرها وأنفها وفمها. ومن أجل إزاحة هذا الكابوس كان لابد من العمل بكل الطرق والوسائل التي تكفل للولاياث المتحدة أن تعيش وتتنفس الهواء الذي تريده نظيفاً.

إلا أن التدخل الأميركي في كوبا ليس جديداً، ولا هو في الواقع نتيجة لانتصار الثورة في كوبا عام ١٩٥٩ وحسب، فهو يعود الى عهود رؤساء سابقين. على أن هذا التدخل بعد انتصار فيديل كاسترو هو أوسع المشاريع الأميركية للتدخل في الستينات. فهو برنامج واسع شامل من حرب سرية ومغامرات عسكرية، وهجوم اقتصادي وسياسي... شمل عمليات عسكرية وحرباً بيولوجية واغتيالات... بدأ في العام ١٩٥٩، أثناء إدارة أيزنهاور، وبلغ ذروته شبه العسكرية في ظل الشقيقين كينيدي، وسكن في عهد ليندون

جونسون، ثم حرك بقوة وتصميم في عهد ريتشارد نيكسون.. ولا تزال بقاياه ناشطة حتى الآن... هذا وتمثل حملة «خليج الخنازير» الفاشلة قمة التدخل الأميركي في كوبا..

كيف تمت هذه العملية؟ وما هي أسرارها؟.

لم يقتصر مشروع التدخل الاميركي في كوبا على جهة واحدة، بل قامت به أطراف مختلفة منها البيت الأبيض، ووكالة الاستخبارات المركزية، والمافيا، ومجموعات متعددة من المنفيين الكوبيين بواسطة الكوبيين عبر الوكالة حيناً، أو بدونها حيناً آخر، بمعرفة البيت الأبيض أو من غير معرفته، ومن غير أن تعرف مجموعة كوبية بما تقوم به مجموعة أخرى. يضاف الى ذلك أن المافيا كانت تعمل في الوقت ذاته في خدمة هذا الطرف أو ذاك، وفي خدمة هذه المجموعة أو تلك. كذلك كانت لأصحاب الاستثمارات والمصالح المالية الضخمة وأندية القمار علاقاتها السرية، المباشرة أو غير المباشرة، بمختلف الأطراف والمجموعات في سبيل تنفيذ جوانب مختلفة من المشروع بالتعاون فيما بينها، أو بالاستقلال والتفرد.

وهكذا فإن تاريخ مشروع كوبا هو قصة حرب تخوضها الولايات المتحدة من غير أن يعلنها مجلس الشيوخ، أو أن تعترف بها واشنطن، أو أن تذكر الصحافة أخبارها. وهو أكبر نشاطات الولايات المتحدة السرية، وأكبر فشل منيت به وكالة الاستخبارات المركزية.. وخير من تكلم عن هذا المشروع من الأميركيين، ضابطان مسؤولان في أجهزة المخابرات والأمن الأميركية هما: «وارين هينكل» و«وليم تيرنر» في كتاب لهما بعنوان «السمكة حمراء» وعنوان تفسيري هو «قصة الحرب السرية على كاسترو». ويعتبر من أهم المراجع حول هذا الموضوع.

ففي عام ١٩٥٩ أسهم ريتشارد نيكسون في وضع «مشروع كوبا» بصفته نائباً للرئيس. وقد كان لقضية كوبا في هذا الوقت دور أساسي في انتخابات الرئاسة. وكان هم ريتشارد نيكسون (الجمهوري) أن تتم الإطاحة بكاسترو

قبل الانتخابات، تعزيزاً لموقفه الانتخابي، في حين أن المخططين لحملة منافسه الديمقراطي كينيدي كانوا يؤكدون أن أوضاع المنفيين لا تسمح بذلك. وفي تموز ١٩٦٠ عشية انعقاد مؤتمر تسمية المرشح الديمقراطي للرئاسة، هيأت وكالة الاستخبارات المركزية اجتماعاً بين أربعة من قادة الكوبيين في المنفى وهم: «مانيويل ارتيم» و«طوني فارونا» و«اوريليانو سانشيزا رانفو» و«جوزيه ميروكاردونا»، ممن ستكون لهم أدوار رئيسية في حملة «خليج الخنازير» اللاحقة وعمليات الاغتيال والتخريب، والمرشح للرئاسة جون كينيدي لاطلاعه على خطة الحملة المرتقبة ضد كوبا. ثم أخذ جون كينيدي المرشح للرئاسة يتحدث عن وجوب دعم «القوات المحاربة من أجل الحرية في المنفى وفي جبال كوبا» ويدعو الى «تشجيع الكوبيين المحبين للحرية في مقاومة كاسترو»، منددأ بتقصير إدارة أيزنهاور بالنسبة «لخطر الشيوعية» على مسافة تسعين ميلاً فقط. ودعا المخططون لحملة كينيدي الى «تقوية القوات الديمقراطية المعادية لكاسترو، غير المنحازة لباتيستا في المنفى وفي كوبا نفسها» باعتبارها الأمل المرتجى في سبيل القضاء على كاسترو. فقد كان هذا الكلام يجد صدى كبيراً داخل أميركا ويساعده في حملته الانتخابية. هنا وجد ريتشارد نيكسون نفسه مضطراً بحكم منصبه الرسمي كنائب لرئيس الجمهورية الى أن يهاجم هذه الدعوة لنصرة المنفيين الكوبيين باعتبارها خطة «خطرة وغير مسؤولة»، ووصفها «بالتوصية الخيالية» التي تهدد بحرب عالمية ثالثة بما تثيره من ضجة حول مهاجمة كوبا، ولو أنه في الواقع كان هو المهندس الأول في مشروع كوبا، أو كما قال فيما بعد أن «التدريب السري للمنفيين الكوبيين» على أيدي وكالة الاستخبارات المركزية يعود «الى جهودي بالدرجة الأولى».

ونجح جون كينيدي في الانتخابات وأصبح رئيساً للجمهورية وسرعان ما أعطى الضوء الأخضر للإستمرار في ما سمّوه مشروع كوبا.

لقد كان هذا المشروع يفرض في الأساس عدم استخدام أي رجل

اميركي، أو أي طيران حديث، بحيث يبدو للعالم أنه عملية وطنية حقاً يقوم بها الكوبيون أنفسهم بتمويل خاص. ولكن سوء ظن المخابرات الأميركية بالكوبيين جعلها تسلم القيادة لضباط من مصلحة النقل البحري العسكري. والواقع أن وكالة المخابرات الأميركية نهجت خطة تمييز عنصري بين الكوبيين والمدربين، حتى أن المسؤولين الأميركيين فقط كانوا يطلعون على الخرائط، في حين أن الكوبيين كانوا يجهلون القواعد التي يتدربون فيها، حتى جاءت الحملة أميركية مئة بالمئة، باستثناء المقاتلين العاديين المجندين للإشتراك بالحملة كمرتزقة وعدد من الأثرياء ورجال الحكم السابق، ممن نقموا على النظام الجديد في كوبا. التخطيط أميركي بالطبع والقيادة أميركية أيضاً.

وعمدت الوكالة الى استخدام سفن شركة «يونايتد فروت» أي «الفواكه المتحدة» أحد أذرعها القديمة، لنقل الجنود والذخيرة الى غواتيمالا، وجمعت اسطولاً من نقليات «غارليا» العاملة في تجارة السكر والارز بين كوبا وبلدان أميركا الوسطى، وحشدت قوة جوية في قاعدة «ايغلين» الجوية في فلوريدا من الطائرات العسكرية القديمة من طراز «سي ـ ٥٤» والطائرات المقاتلة «بي ٢٦» التي سبق استخدامها في نقل العملاء في أجواء الشرق الأوسط وحدود بلدان أوروبا الشرقية، مموهة لا تحمل أية علامة مميزة لها بقيادة طيارين عسكريين أميركيين، إلا قلة من البولونيين. واستكمالاً لعملية التمويه والتضليل قيل للملاحين أنهم يقومون بمهمة في «خدمة الحكومة» وزودوا بمبالغ مالية كبيرة، ونبهوا الى استخدام عنوان واحد محدد عند الاتصال بذويهم، كما نبهوا الى أن العملية قد تستوجب اطلاق نيران. وإمعاناً في التمويه بدأت أرقام رجال الحملة من العدد ٢٠٠٠ لإخفاء حقيقة عدد رجالها وبقي موعد الهجوم غير محدد بصورة نهائية.

وهنا لابد من التساؤل: كيف تم الإعداد لهذا المشروع الضخم؟.

إن «ميامي» البلدة الصغيرة في بداية هذا القرن، سرعان ما تحولت

خلال نصف قرن تقريباً الى مدينة ضخمة ذات مبان ومنتجعات فخمة، بفضل مئات الملايين المنهوبة من خزينة كوبا، والى قاعدة للمهاجرين الكوبيين الأثرياء. هنا أنفقت الوكالة ما لا يقل عن خمسين مليون دولار للإستعدادات المحلية للهجوم، وبذلت لها مؤسسات ميامي التجارية والمالية والثقافية، حتى الجامعة نفسها، جميع الخدمات والتسهيلات اللازمة، وأقامت مراكز للتدريب وللكشف عن إذاعات سرية مؤيدة لكاسترو. وبنت لها أكبر اسطول في البحر الكاريبي من قطع بحرية مسجلة بأسماء مستعارة، مجهزة بالرادار والأسلحة المتنوعة تحت غطاء القيام بدراسات بحرية، كما أعدت قوات ومطارات جوية أيضاً. وفي مايو ١٩٦٠ جمعت المجموعة الكوبية المنفية تحت مظلة واحدة باسم «الجبهة الديمقراطية الثورية» ومولتها. وحرصت في كل ذلك أن لا تثير شكوك أبناء ميامي بإبقاء هذه النشاطات سرية، وبالمبادرة بسرعة للقضاء على أية ضجة لتجنب أية أزمة، حتى أن الصحافة في ميامي أسهمت راضية ومتعاونة في هذه السرية.

وفي منزل لامرأة في العقد السابع من عمرها في ميامي، كان يلتقي عدد من المتقاعدين والمصابين بأمراض عقلية، انتجاعاً للراحة والاستجمام. وفي هذا المنزل الذي كان يبدو وكأنه مأوى، كان يعيش استاذ مدمن على الشراب ويسعى لنسف زورق يوغوسلافي يقوم بنقل الفوسفات بين كوبا والمكسيك، وقزم يقوم بأعمال التسلية بين مجموعة من نحو خمسين شخصاً يتناولون طعامهم على دفعات. هنا كان يلتقي بعض رجال المافيا، ونفر من أصحاب السوابق، وعدد من الذين عملوا لوكالة المخابرات المركزية في السابق بالإضافة الى مغامرين أطلقوا على أنفسهم اسم «فرسان الإقامة الداخلية» أو «جنود الخط العاشر» لاشتغالهم بالقضايا الخاسرة بحيث بات المنزل يبدو ثكنة أكثر منه مأوى.

ولم يقتصر ميدان النشاطات لتنفيذ المشروع على ميامي وحسب. فقد كانت للوكالة مراكز أخرى عديدة في أمكنة أخرى من الولايات المتحدة،

ونيكاراغوا، وغواتيمالا وكوستاريكا، للتدريب على الطيران والهبوط بالمظلات وإطلاق النار على أيدي أميركيين اختصاصيين ممن سبق لهم أن قاموا بأعمال مماثلة في بلدان أخرى.

ثم أن هافانا نفسها كانت لا تزال مدينة مفتوحة. فقد كانت سفارة الولايات المتحدة باقية فيها، ولا سيّما فرع وكالة المخابرات المركزية. هنا عملت لها امرأة أميركية أرملة وفتحت دارها لاجتماعات الناقمين على نظام كاسترو لنقل الراغبين بالفرار الى ميامي لتدريبهم، وكانت صلة وصل مع المقاومة الداخلية السرية باستخدام كلبها لنقل الرسائل والوريقات الإخبارية في فمه قبل أن اعتقلها رجال مخابرات كاسترو في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٠، وكشفوا عن مستودع للمتفجرات والأسلحة. حتى أن «ماري لورنزو» سكرتيرة كاسترو الخاصة، كانت تعمل مخبرة سرية منذ مايو ١٩٥٩ ـ حسب مصادر المخابرات الأميركية ـ وقد نجح ضابط المخابرات الأميركي «فرانك سترجيس» في تهريبها الى ميامي ثم في إعادتها الى هافانا متنكرة كسائحة أميركية... أما «سترجيس» فإنه كان يقوم بمهمات محددة للوكالة بنقل عملائها الى سواحل كوبا، وتأمين الذخائر والإمدادات لهم بواسطة الطائرات والسفن الى نقاط معينة على الساحل، مما كان يؤدي أحياناً الى تبادل النيران مع خفر السواحل، ويوفر المناسبات لاتهام الولايات المتحدة أمام الصحافة بالاشتراك بهذه النشاطات التآمرية.

كذلك كان يتلقى معلومات يوفرها له الدكتور «خوان اورتا» أمين سر رئيس الوزراء، ويعمل على تشكيل فرقة من المتطوعين لغزو معسكر كولومبيا، أهم مراكز القوات الكوبية المسلحة ويتعاون مع «سرجيو سانجينيس» منظم وحدة العملية ٤٠، من مخبرين وسفاحين ورجال أعمال في أوساط المعارضة الكوبية، ويقوم بالإضافة الى ذلك، بتنظيم اللواء الدولي المعادي للشيوعية من أميركيين متطوعين، وأصحاب أندية القمار في كوبا، وأنصار باتيستا، فاسحاً بذلك مجالات واسعة للوكالة لاختيار الارهابيين

المطلوبين.

على هذا الأساس، اقتضى الاستمرار بمشروع كوبا تشكيل لجنة خاصة في مجلس الأمن القومي للتنفيذ بدون الاضطرار للعودة الى المجلس في كل حالة، حتى لا يتورط الرئيس بالذات ويوفر ما سمي: «قابلية التدخل» أيضاً. أي أن الرئيس يمكنه الادعاء بأنه لا يعلم. وفي ١٣ كانون الثاني/يناير ١٩٦٠ عرض المشروع على هذه اللجنة، الى إنشاء قوة تنفيذية للقيام بأي عمل ضروري في الصراع مع كاسترو. وفي التاسع من آذار/مارس عقدت هذه القوة التنفيذية اجتماعها الأول، وتم تقرير حرب سرية على كوبا، ووجوب القضاء على فيديل كاسترو. وأخيه راؤول، وعلى تشي غيفارا، بحجة وجود خطر قيام كوبا بعمل عدواني على الولايات المتحدة. وفي اجتماع مجلس الأمن القومي في اليوم التالي تمت الموافقة على مشروع كوبا باسم «مكافحة الشيوعية الدولية»، دعماً لنشاطات وكالة المخابرات المركزية في هذا الإطار، وإقراراً لأية وسائل مهما كان نوعها لتحقيق هذا الهدف بغض النظر عن أية مفاهيم أو اعتبارات خلقية تقليدية.

وفي هذا الاطار يعتقد البعض أن وكالة المخابرات المركزية سيدة نفسها، أو «حكومة غير منظورة» مسؤولة أمام نفسها وحسب. واذا كان الملاحظ أن الوكالة قد نشطت في عهد جون كينيدي وصارت لها شبكة واسعة من منشآت عسكرية، وخطوط جوية، ومستودعات أسلحة، ومعسكرات تدريب، فالواقع أنها أداة بيد الرئيس لا تقوم في الغالب بنشاط بدون أوامر مباشرة من البيت الأبيض، لا سيما وقد كان الشقيقان كينيدي على استعداد للقيام بكل ما يؤدي الى التخلص من كاسترو ونظامه، حتى بالأساليب الجيمسبوندية الغربية.

وفي الوقت الذي كان يصر فيه الرئيس على عدم افتعال حادثة في قاعدة «غوانتانامو» (وهي قاعدة بحرية أميركية على الشاطىء الشرقي لكوبا مؤجرة للحكومة الأميركية منذ بداية هذا القرن) تبرر تدخل القوات الأميركية،

كان الرئيس على ما يبدو، يجهل أن الوكالة غارقة حتى الاذنين في محاولتين لاغتيال كاسترو، أولاهما بنقل الفريق المعد للقيام بالعملية الى نقطة ساحلية بالقرب من هافانا. وثانيتهما بالتعاون مع منظمة «يونيداد» السرية الجامعة لمجموعات كوبية مختلفة لدعم فريق من ضباط طيارين في القاعدة الجوية في هافانا لاحتلالها وإعلان العصيان بمساعدة إدارة الطلاب الثوريين. وفي ٣/١٣ تمت لقاءات في ميامي جرى فيها تسليم المال والحبوب المسمومة من قبل رجال الوكالة، بالإضافة الى تبرع «ماير لانسكي» زعيم المافيا في أميركا وهو يهودي، بمليون دولار مكافأة لمن يغتال كاسترو. وبذلك بات المكلف بالاغتيال عميلاً مزدوجاً للوكالة وللمافيا معاً.

في هذا الوقت كان عدد من رجال المافيا والوكالة في كوبا مهيئين للقيام بعملية الاغتيال وإثارة الناقمين على النظام الجديد، بينما كان رجال الأعمال في الخارج يتوقعون للشركات وأصحاب المصالح استعادة النشاطات الاستثمارية السابقة، على نحو ما قال «ب. بوندا براغا»، رئيس شركة فرانسيسكو للسكر في فبراير ١٩٦١، للتأكيد على العلاقة بين الوكالة ورجال الصناعة والأعمال.

والمعروف أن شقيقه كان عضواً في مجلس إدارة مصرف شرودر البريطاني المحدود، حيث كانت الوكالة تودع أموالاً ضخمة بتصرف «آلان دالس» وهو الذي تعود علاقته بالمصرف الى عام ١٩٣٧.. غير أن حكومة كوبا قضت على المحاولتين في آذار/مارس ١٩٦١.

وفي ٣ ابريل أصدرت وزارة الخارجية الأميركية ورقة بيضاء لتهيئة الرأي العام الأميركي للحملة، وتطرقت فيها الى الحديث عن الديمقراطية، وشجبت نظام باتيستا، واعتبرت حكومة كوبا خائنة للثورة الكوبية. أما دور الولايات المتحدة في إفشال نضال كوبا في سبيل الاستقلال والمساواة والعدالة الاجتماعية والاقتصادية، فاكتفت الورقة بالاشارة العابرة اليه بالاعتراف «بالأخطاء». وفي اليوم التالي أعطى الرئيس الضوء الأخضر في

اجتماع مع مستشاريه.

وقبل الهجوم بأسبوع، رست سفينة «سانتا آنا» رافعة علم كوستاريكا، في قاعدة بحرية بجوار «نيو أورليانس» متجهة نحو نقطة مجاورة لقاعدة «غوانتانامو»، حاملة جنوداً ومقداراً من الأسلحة والذخائر للقيام على ما يظهر، بعمل تضليلي يبعد أنظار الوحدات العسكرية الكوبية عن «خليج الخنازير». والواقع أن هذه القوات التي كان أفرادها يرتدون ملابس رجال ثورة كاسترو للتمويه، استهدفت القيام بهجوم شكلي على قاعدة «غوانتانامو» وإظهار كاسترو معتدياً، مما يبرر التدخل المباشر من قبل البحرية الأميركية المتأهبة قبالة سواحل كوبا للإنقضاض عليها بحال نجاح الخدعة، على أن يرافق ذلك اغتيال الشقيقين فيديل وراؤول. وقد لجأت الوكالة الى هذه الخدعة بدون إعلام الرئيس أو مناقشتها في اجتماع سابق، بعد أن تبين لها أن الشعب الكوبي لن يقوم بدعم الهجوم، وبعد رفض فكرة تعريض إحدى السفن الأميركية للنسف بغية إثارة البحرية للتدخل المباشر، متوقعة انسياق الرئيس مع الخطة فور المباشرة بها.

وفي ليل العاشر من ابريل جرى نقل رجال فرقة الغزو بالشاحنات ثم بالطائرات الى نيكاراغوا. ولما أكد الرئيس في مؤتمره الصحفي في اليوم التالي، أن الولايات المتحدة لن تقوم بتدخل عسكري في كوبا، رأت الوكالة في ذلك أسلوباً ممتازاً للتضليل. وفي التوجيهات النهائية لقادة الفرقة عمد رجل الوكالة الى إيهامهم بتوقع دعم الطيران الأميركي للحؤول دون وصول كاسترو الى خليج الخنازير، وإثارة حماسهم وشجاعتهم بحملهم على الاعتقاد بدعم الناس لهم في كوبا، مع العلم أن موعد الهجوم لم يكن معروفاً من قبل القوات المهاجمة.

وفي صباح اليوم التالي حطت طائرة مموهة من الخارج في مطار «الوادي السعيد» في نيكاراغوا، تحمل مستشار الأمن القومي للرئيس ومسؤولاً في الوكالة لإجراء «الكشف» النهائي.

وهنا كانت الشائعات بشأن غزو كوبا منتشرة بين سكان أميركا اللاتينية.
وكان طبيعياً أن تعلم حكومة كوبا بأمر الغزو، لا سيما ولها عيون كثيرة، غير أنها لم تكن تعلم أن الانطلاقة ستكون من قاعدة «تايد» في بويرتو كابيزاس على ساحل نيكاراغوا على البحر الكاريبي، حيث استخدم مطار عسكري للقوات الأميركية منذ الحرب العالمية الثانية باسم «الوادي السعيد». وطبيعي أن يتزايد تيقظ فيديل كاسترو إزاء ذلك، وقد أخذ ينام أثناء النهار ساهراً أثناء الليل لتوقعه الهجوم مع ساعات الصباح الأولى، إذ أن الأحداث المتوالية من تشكيل المجلس الثوري الكوبي في الخارج، وورقة كينيدي البيضاء، وتسرب الأنباء عن الأسلحة والتدريب، كان في نظره حافزاً للمزيد من اليقظة. والواقع أن هذا الاحتراس الشديد كان واضحاً لا سيما بعد فشل إنزال مجموعة من المنفيين في ٢٠ مارس، واعتقال رجال المقاومة الذين كانوا بانتظار المجموعة، ثم مطاردة مجموعة سفن في ٥ ابريل للحؤول دون إفراغ حمولتها من رجال المقاومة والسلاح. غير أن هذه اليقظة الشديدة لم تثن الوكالة عن نشاطها.

وحين كان رجال فرقة المقاتلين ينزلون الى السفن في بويرتو كابيزاس لنقلهم الى خليج الخنازير كان الجنرال لويس سوموزا، خادم نيكاراغوا، في وداعهم يوجه اليهم تحية التشجيع والتوفيق والعودة بشعرتين من لحية كاسترو، بينما كان رجل الوكالة يسر الى قائد الفرقة سراً يقضي بوجوب الاستمرار بالحملة بحال تلقيه رسالة لاسلكية تدعو الى العودة وعدم التقدم، وبإلغائها بحال القول في الرسالة أن طائر الكتزل على أغصان الشجرة، لأن كاسترو يكون عند ذاك متنبهاً للحملة. غير أنه لم يذكر له أن الرئيس كينيدي احتفظ لنفسه بحق إلغاء الحملة قبل ٢٤ ساعة من مباشرتها، وبأن الوكالة وحدها لها الحق بتبليغ هذا القرار. وصلت القوات المشحونة على سفينة «سانتا انا» الى منطقة بجوار «باراكووا» في «اوريانتيه» ليل الخامس عشر من ابريل. وبعد إبلاغ الطيارين بالادعاء بأنهم طيارون فارون من قوات كاسترو الجوية بحال إسقاطهم خارج كوبا، أقلعت تسع طائرات من طراز «بي ٢٦» من أصل ١٣

طائرة من مطار «الوادي السعيد» مشحونة بحمولة كبيرة من القنابل والصواريخ لقصف المطارات والمعسكرات الكوبية التي كانت طائرات يو - ٢ - قد التقطت رسومها من الجو. غير أن كاسترو آنذاك كان يهرع الى معسكر كولومبيا بجوار هافانا، ويعلن حالة التأهب، ويوجه فوجين الى منطقة باراكووا، ثم يعلن وقوع العدوان بهدوء، وهو يسمع انفجارات القنابل الجوية ونيران الأسلحة المضادة.

وبعد خمس ساعات حطت طائرة من طراز بي - ٢٦ في مطار «كي وست» للقوات البحرية الأميركية وأخرى مماثلة في مطار ميامي الدولي، بينما هرع الناطق باسم مجلس الثورة الكوبي في الخارج، بناء على اتصال من وكالة المخابرات المركزية، للإعلان باسم رئيس المجلس أن طيارين فرا من قوات كاسترو الجوية بعد قصف المطارات الكوبية. والواقع أن تمثيلية الفرار هذه كانت مدبرة من قبل الوكالة، حتى أنها أمرت بإطلاق النار على الطائرة عند إقلاعها من مطار «الوادي السعيد» إتقاناً للتمثيلية.

وسرعان ما وقف مندوب كوبا في هيئة الأمم المتحدة يتهم الولايات المتحدة بدعم «هجوم جبان مفاجىء بواسطة مرتزقة مدربين على أيدي خبراء البنتاغون ووكالة المخابرات المركزية». مضيفاً أن الهجوم أدى الى وقوع سبعة قتلى وعدد كبير من الجرحى. أما مندوب الولايات المتحدة الذي سبق للوكالة أن أعلمته باستعدادات المهاجرين العسكرية، نافية تورط الولايات المتحدة، فراح يعرض بحرج صورة طائرة بي - ٢٦ التي حطت في مطار ميامي وعليها علامة قوات كاسترو الجوية، قائلاً أن الطائرتين، على ما يعلم، من طائرات كاسترو، مضيفاً على ما قال الطياران، إنهما أقلعتا من مطارات كاسترو. كذلك بادرت الصحافة بوجه عام الى نشر الأخبار كما أذاعتها وكالة المخابرات المركزية، ولو أن عدداً من رجال الصحافة تنبه الى الفارق بين واجهات طائرات كاسترو وواجهات طائرات بي - ٢٦ الأميركية.

ودلت الرسوم التي التقطتها طائرات يو- ٢ - بعد المحاولة الأولى،

انها لم يدمر قوات كاسترو الجوية، فقررت الوكالة توجيه ضربة أخرى فجر السابع عشر من نيسان. وقد حدث ما أدى الى اتهام الرئيس بالتراجع وبإفشال الحملة، ونشأ نقاش بشأن تفسير موافقته السابقة. ورأى البعض أن الموافقة قضت بالقضاء على قوات كاسترو الجوية من غير تحديد عدد الضربات، في حين أنّ المسؤول بغياب «آلان دالس» الموجود في بورتوريكو لإبعاد الشبهة، رأى أن الموافقة أقرت ضربة واحدة وحسب، وطلب التريث ريثما يتم الاتصال بالسلطات العليا. وإزاء الاصداء التي تركتها المحاولة الأولى حين نفى كاسترو فرار أحد من طياريه، واتهم الولايات المتحدة بالنفاق والوقوف وراء الخدعة، ونوهت موسكو وبكين بخطورة الغزوة على السلام العالمي، شعر الرئيس، على ما يبدو، استحالة تغطية محاولة جديدة بالأسلوب ذاته، ورفض الموافقة على ضربة تالية لا سيّما بعد أن نشرت «ذي نيويورك تايمز» مقالاً فتحت فيه ثغرات في حكاية الفرار.

ورغم رفض الرئيس كينيدي واستهجانه أن تتحول موافقته على دعم سرّي لمحاولة المنفيين الى تدخل أميركي كامل، استمرت محاولات الانزال في نقاط على الساحل، لا سيما عند خليج الخنازير، من قبل الوكالة، أو من قبل مجموعات أخرى، متعاونة، أو غير متعاونة. وتصدت لها قوات كاسترو بنجاح، وأسقطت طائرات أميركية، وباتت قوات كاسترو الجوية سيدة الجو، كما أصبح إمداد قوات الغزو بالتموين والعتاد مستحيلاً. ولإنقاذ الموقف وجد الرئيس جون كينيدي نفسه مضطراً للموافقة على تغطية هجوم مع الفجر مدى ساعة واحدة شريطة أن تمتنع القوات الأميركية عن إطلاق النار ما لم تتعرض الى القصف المباشر. ولكن هذه التغطية لم تفد، حتى أن القوات الجوية المستعارة من نيكاراغوا لم تحل دون إلقاء الغزاة في البحر بحيث كان على الرئيس أن يصدر أمره هذه المرة للبحرية لانتشال المهاجمين الفارين من المياه. في حين كان الرئيس جون كينيدي يستقبل أعضاء «الحكومة الكوبية» المحتجزين للتخفيف من وقع الهزيمة (وهي الحكومة المؤقتة التي أعلن عنها

ساعة الغزو) صدر بلاغ باسم هذه الحكومة ينفي أن تكون المحاولة هجوماً، ويصفها بالعملية التموينية للمقاومة في كوبا ويحيّي. . . البطولة. وفي حين قيل أن العملية فشلت لأنها كانت سلسلة من «أخطاء»، فإن «آلان دالس» وقف أمام رجال الصحافة بعد بضعة أسابيع ينفي أن يكون قد توقع «انتفاضة شعبية» دعماً للهجوم، وينسب الفشل الى «شيء آخر» لم يتم.

والواقع أن حكومة كوبا المؤقتة كانت في هذه الفترة محتجزة في فندق في نيويورك، ممنوعة من الاتصال بالخارج، إلا برجال الوكالة، مما حال دون اتصال رجال الحكومة بالعملاء المتربصين في الداخل، بينما كان أحد رجال الوكالة يضع نصوص الدستور الجديدلاعتماده بحال نجاح الحملة. وهكذا انتهت المرحلة الأولى بفشل ذريع. . .

وفي هذه الأثناء كانت طائرة سي ـ ٤٦ تقلع من مطار «الوادي السعيد» حاملة الى البحر صناديق من نشرات وعدت الكوبيين بالحرية، بينما كان آخرون من رجال الوكالة يدفنون الوثائق في حفرة في قاعدة «تراكس»، ويدمرون المعسكر بما في ذلك المنشآت الأسمنتية. وفي ميامي عمل رجال الوكالة على اسكات أقرباء رجال الفرقة باثارة قضيتي الأمن القومي وتحرير كوبا، في حين قامت المؤسسات ذات العلاقة بإخفاء أي أثر يدل على اسهامها بالعملية. وراحت واشنطن ترسل الشيكات للأرامل اللواتي سكتن على وصم أزواجهن بالمرتزقة. أما المفتش العام للوكالة، الجنرال ليمان كيركباتريك، فوضع تقريراً لا يزال سرياً، عزافيه الفشل الى «العملاء السود» وحمّل «آلان دالس» مسؤولية الفشل، اذ أن كوبا كانت كلها تدعم كاسترو. أما المقاومة له فلم يكن لها وجود إلا في ميامي.

وهكذا مثلت عملية «خليج الخنازير» صفعة كبرى على وجه أكبر دولة امبريالية في العالم، والى جميع حلفائها على وجه الأرض. وبقيت كوبا بقيادة رئيسها فيديل كاسترو وشعبها المؤيد لسياسته ونهجه خنجراً في خاصرة الولايات المتحدة ويستحيل منها اقتلاعه.

المراجع

١ ـ وارين هينكل ووليم تيرنر: «قصة الحرب السرية الأميركية ضد كاسترو» تقديم ميخائيل الخوري. مجلة «الجيل» القبرصية. المجلد الرابع العدد الثاني شباط/فبراير١٩٨٣ ص ١٣٠ ـ١٤٢.

٢ ـ حافظ ابراهيم خيرالله: «الاستخبارات المركزية الأميركية» (ملف عالم الاستخبارات) العدد الخامس. حزيران/يونيو١٩٧١ ص ٦ ـ ١٤.

٣ ـ وليم كولبي: «ثلاثون سنة من عمر السي. أي. أيه» اعداد يوسف الشدياق. مجلة «الاسبوع العربي» البيروتية. الاثنين ١٩٨٤/١٢/٢٤ العدد ١٣١٥ ص ٥٤ ـ ٥٦.

٤ ـ اندرو تولي: «حقيقة الجاسوسية الأميركية» ترجمة د. فؤاد أيوب. دار دمشق. دون تاريخ ص ٣١٥ ـ ٣٣١.

٥ ـ جون ماركس وفيكتور مارشيتي: «الجاسوسية تتحكم بمصائر الشعوب CIA» الدار المتحدة للنشر. الطبعة الأولى. بيروت ١٩٨٤.

الخنجر الكوبي في البلعوم الآمريكي
وأسرار عملية النمس

ليس من السهل على دولة عظمى كالولايات المتحدة الأميركية أن تعترف بفشلها وهزيمتها بسهولة، خصوصاً اذا كان هذا الفشل بحجم عملية «خليج الخنازير» التي قامت بها ضد كاسترو ونظامه في كوبا

وعندما كانت تصفية فيديل كاسترو ونظامه الاشتراكي، هدفاً استراتيجياً أميركياً، لذلك لم تكن الهزيمة التي منيت بها في عمليتها السابقة هي نهاية المطاف، بعد أن علم التاريخ لقادة الإجرام الأمريكي أن هنالك محاولة ثانية إثر كل فشل. وعلى هذا الأساس، حاول مهندسو القتل في الولايات المتحدة التعويض عن هزيمتهم في خليج الخنازير وصولاً الى هدفهم في شطب كاسترو ونظامه عن خارطة الوجود... فجهزوا لضربتهم الكبيرة التي أطلق عليها اسم «عملية النمس».

فمن هم أبطال هذه العملية؟ وما هي أسرارها؟

ففي اليوم التالي لحملة خليج الخنازير كان الرئيس كينيدي يتحدث الى ريتشارد نيكسون، وقد غلب عليه التشاؤم، صاباً جام غضبه على الخبراء العسكريين ورجال وكالة الاستخبارات الذين أكدوا له نجاح الحملة، طالباً منه رأيه في الخطوة التالية. وسرعان ما رد عليه واضع مشروع كوبا بالاستمرار بالعملية، مؤكداً له أن هنالك مبررات كثيرة منها حماية المواطنين الأميركيين في كوبا، أو الدفاع عن قاعدة «غوانتانامو». فهز كينيدي برأسه متخوفاً أن يرد

السوفيات على احتلال كوبا بالاستيلاء على برلين. وفي «وست بالم بيتش» كان الأب كينيدي يقول لابنه جون كينيدي الرئيس أنه هو الذي نسف المشروع، حاقداً على كاسترو لفقد مصنع الكوكا كولا، معتبراً أن رجال وكالة المخابرات المركزية غير جديرين بالثقة الموضوعة بهم.

لقد كانت الولايات المتحدة مصمّمة على تصفية حساباتها مع كاسترو. وقد جاء الفشل في حملة خليج الخنازير حافزاً لاجتماعات ومناقشات طوال شهر مايو ١٩٦١ حول الخطوات الصحيحة الناجحة بعد أن أكد الجنرال «ادوارد لانسيدال» قائد المرحلة الجديدة في تنفيذ مشروع كوبا، أن التاريخ علّمه أن هنالك محاولة ثانية إثر كل فشل. ثم أن هذا الفشل أساء الى الرئيس من جهة، والى الحزبين السياسيين الكبيرين في الولايات المتحدة من جهة ثانية، بحيث كان لابد من الثأر لذلك بشيء من السرعة.

إن مثل هذا التصرف العاجز الذي أدى الى هذه النتيجة لم يكن بالأمر الذي يطاق... وسرعان ما تبين أن وكالة المخابرات المركزية لعبت دوراً مزدوجاً، إذ أنها أوهمت البيت الأبيض بأن الحملة ستؤدي الى انتفاضة شعبية داخلية، في حين ان دراسة لخبراء في الوكالة نفسها، في أواخر ١٩٦٠ لم تشر الى احتمال انقلاب الكوبيين على كاسترو. يضاف الى ذلك أن الوكالة خدعت البيت الأبيض بالنسبة لاستعدادات القوات الكوبية المسلحة وإرادتها القتالية، وخالفت تعليمات الرئيس بشأن عدم استخدام أي أمريكي في الحملة. كذلك تبين أن الوكالة كانت تنوي الاستمرار بالمشروع حتى مجال الغائه من قبل السلطات العليا، منطلقة به من نيكاراغوا. غير أن الشيء الذي لم يشر اليه «آلان دالس» آنذاك هو علاقة الوكالة والمافيا باغتيال كاسترو.

إزاء ذلك تم انشاء هيئة لدراسة قضية كوبا برئاسة الرئيس جون كينيدي نفسه. وهنا وضعت هذه الهيئة الدراسية تقريراً لا يزال جزء منه سرياً، وأوصت فيه بإعادة النظر بالوضع الكوبي على أساس العوامل المعروفة. ووضعت توجيهاً جديداً للقيام بعمل سياسي وعسكري واقتصادي وإعلامي

ضد كاسترو. واقترح كاتب التقرير، الجنرال ماكسويل تايلر، إجراء تعديل جذري لخوض الحرب الباردة على جميع الجبهات إذ «أننا في حرب حياة أو موت». ودعا الرئيس الى إعلان حالة الطوارىء لإعادة النظر في الاتفاقيات التي تحد من «الاستخدام الكامل لمواردنا في الحرب الباردة». غير أن الرئيس اكتفى من ذلك بإعادة تنظيم الحرب الباردة. وطلب معرفة ما يتوفر من موارد وقوى عسكرية وشبه عسكرية، والى تقييم أوضاعها وكفاءاتها، واحتمالات التحسين، والى ممارسة القدرة القيادية الواسعة، الدينامية، في انجاح مخططات الحرب الباردة، وكرر ضرورة التكتم، ومجال التنصل بالنسبة للعمليات السرية، ووضع أية عملية تستلزم دعم القوات المسلحة تحت قيادة البنتاغون.

أما بالنسبة لوكالة المخابرات المركزية التي أرادها في خدمة المخططات الواسعة في العالم، فعمد الى تعزيزها برغم الاستياء من ازدواجيتها ووضعها تحت السيطرة بتعيين شقيقه روبرت، المدعي العام، مسؤولاً عن الحرب السرية.

وأما بالنسبة للمنفيين فراح البيت الأبيض يواصل التلويح بهجوم جديد على كاسترو. وفي الرابع من مايو خرج رئيس مجلس كوبا الثورية «خوسيه ميروكاردونا» من اجتماعه بالريس باسماً، يعلن أن الرئيس قطع له عهداً بالقيام بغزوة جديدة لكوبا. ويذيع بعد اجتماعات تالية أن الولايات المتحدة ستقدم المال والخبراء العسكريين لتدريب قوات المجلس وتجهيزها، وستنظم عمليات التخريب في داخل كوبا، وتشجع وحدات العصابات بحيث تقوى الى حد كاف للإسهام «بالضربة الكبيرة» حين يأتي موعدها.

والطريف أن الرئيس كينيدي أخذ رأي الكاتب المشهور «أيان فليمنغ» مؤلف روايات جيمس بوند في محاربة فيديل كاسترو. . . ونصائح فليمنغ هي التي أعطت العملية الجديدة اسمها المتألق «الاغراق بالأضواء».

أما منظم هـذه الخطة الجـديدة فهـو «الاميركي البشـع» نفسه الجنـرال «أدوارد لانسـديل» الـذي وصفه غـراهام غـرين في قصـة الاميـركي الهـادىء بسفاك الدماء ومثير الفوضى. لقد كـان بالنسبـة للرئيس جون كينيـدي الرجـل المنـاسب في الوقت المنـاسب «لاستخدام العبقـرية الأميـركية» للقضـاء على فيديل كاسترو، بإنشاء قيادات كوبية في أوساط المنفيين، «القـاعدة السيـاسية التي لابـد منها»، وتـوحيد وسـائل التسلل الى كـوبا بنجـاح وتنـظيم الخـلايـا والنشاطات في الداخل، بحيث يتم سقوط نظام كاسترو بواسطة الشعب الكوبي نفسه، لا بواسطة جهود أميركية مدبرة من الخـارج. ومثل هـذه الخطة مناسبة للرئيس كينيدي لتجنب الاحتكاك مع روسيا حول برلين.

عند ذاك عمد الرئيس الى الاستغناء عن دالس وعن عدد آخر من رجال الوكالة ممن كانت لهم علاقة بفشل حملة خليج الخنازير. وأصدر في الثلاثين مـن نوفمبـر ١٩٦١ مذكرتـه القاضيـة «باستخـدام كل القـدرات المتوفـرة لأميركا. . . لمسـاعدة كـوبا لـلإطاحـة بالنـظام الشيوعي»، أو لتنفيـذ ما سمي بعمليــة «النمس». وفي فبراير ١٩٦٢ تسلم ريتشــارد هيلمـز مهمــة تنفيــذ المشـروع. وعلى مقربـة من جامعـة «ميامي» تقـع بقعـة أرض واسعـة. وقـد وضعت على أول الطريق اليها يافطة كتب عليها: «منطقة صيد. ملك خاص. الدخول ممنوع». ولم تكن هذه البقعة غير معسكر للوكالـة، أو قاعـدة لعملية «النمس»، هي في الواقع احدى مراكـز الوكـالة وأكبـرها لجمـع المعلومات، وتشجيع موظفي حكومة كـوبا ورجـالها على الانقـلاب على النظام الكـوبي، وتأليب البلدان الأخرى على معاداة كوبـا. وفي حرم الجـامعة بـالذات كـانت مكـاتب الوكـالة ومكـاتب هيئـات ومؤسسـات وهميـة في خـدمتهـا، ومسـاكن للموظفين والعملاء. وعلى مسافة قريبة تقوم مدرسة للتدريب.

هنا كان يجـري اختبار الكـوبيين المنفيين المناسبين بمعـدل ألف منهم كل شهر تقريباً، بعد التأكد من اتجاهـاتهم وعلاقـاتهم و«أمانتهم» قبـل قبولهم في الخـدمة ومنحهم الهـويات أو الأسمـاء المنـاسبـة للعمـل في الـظاهـر في

مؤسسات ومصالح معدة خصيصاً للتغطية والتضليل. وفي سبتمبر ١٩٦١ نقلت محطة البث السرية الخاصة بالوكالة من جزيرة «سوان» الى ميامي. كذلك أعدت الوكالة مجموعة خاصة بها من السفن والزوارق للنقل بأسماء مؤسسات وهمية، ينسب اليها القيام بأعمال ونشاطات مشروعة علمية أو فنية أو تجارية. وهنا أيضاً تم تطويع كوبيين منفيين في فريق «الضفادع» للتخريب، باسم مصلحة هندسية وبأجور محددة تدفع لهم عبر مصرف في اتلانتا، عاصمة ولاية جورجيا الأميركية.

وطبيعي أن تكون الترتيبات دقيقة تتعمد أن لا تترك شاردة أو واردة. وطبيعي أيضاً، أن يقوم تعاون تام بين السلطات المحلية والاتحادية والوكالة بخصوص نقل المتفجرات والأسلحة، وتزوير بيانات المداخيل، وتجاوز قوانين السلامة الصحية وأمن الطرقات، حتى خرق القوانين أو وقف تنفيذها بالنسبة لمخالفين معينين، أو لمواعيد اقلاع الطائرات التابعة للوكالة. كذلك كانت صحافة «ميامي» متعاونة بالصمت حيناً، أو بنشر الأنباء التي تزود بها وحسب.

وكانت دراسة طبيعة الدفاع الكوبي وفعاليته أمراً هاماً. لذلك كان هنالك مكلفون معينون للقيام بتحليقات جوية لالتقاط بعض الاشارات لتحليلها، أو لإلقاء النشرات فوق كوبا لدعوة الأهالي لتشكيل «خلايا مقاومة» داخلية. وفي ١٤ كانون الأول/ديسمبر ١٩٦١، انتهت احدى هذه المحاولات بكارثة. كذلك كان هنالك مكلفون للقيام برحلات بحرية بالزوارق والسفن للغرض ذاته، أو لنقل الأسلحة والمخربين. لكن هذه العملية لم تبدأ بداية ناجحة. فقد حشدت الوكالة بقايا فرقة الهجوم السابق على خليج الخنازير في قاعدة بقرب «كي وست» ودفعتهم لتدمير محطة سكة حديدية وجسر على ساحل كوبا الشمالي. ولكن المهمة فشلت إزاء تيقظ خفر السواحل، واضطرار المخربين للعودة بدون الاصطدام بهم كي لا تبدو العملية خارجية. كذلك فشلت محاولة ثانية لتدمير مجمع منجم للنحاس في «ماتاهامبرا» لضرب

الاقتصاد الكوبي . .

إلا أن هذه الأساليب لم تكن كافية بالنسبة للرئيس وشقيقه. وفي مطلع عام ١٩٦٢ أخذ الشقيقان يحثان على بذل المزيد من النشاط، وتم انشاء هيئة خاصة ذات مهمة وحيدة هي معالجة قضية كوبا. وأعلن روبرت كينيدي أن حل قضية كوبا في الطليعة من اهتمامات الولايات المتحدة. ودعا الى عدم توفير أي مال أو جهد أو وقت في هذا السبيل. في حين راح البيت الأبيض يشدد الخناق على الاقتصاد الكوبي، وعمد العملاء الى الضغط على مؤسسات الشحن الأوروبية لوقف الشحن الى كوبا، وإقناع أصحاب المصانع بإرسال بضائع أخرى غير المطلوبة الى كوبا، أو بتخريب السيارات المعدة للشحن اليها.

وفي مساء ٤ ـ ٥ أغسطس ١٩٦٢، تمكن زورقان بخاريان، يحملان سلاحاً وعدداً من أعضاء هيئة الطلبة الكوبيين، من النجاح باختراق شبكة الرادار الكوبية بقصد القضاء على كاسترو وهو في اجتماع عام . . مرة أخرى انكشفت المحاولة، وعاد الزورقان الى القاعدة في «ماراثون كي» في فلوريدا، واتهم كاسترو الولايات المتحدة بالاشتراك بالمحاولة لاغتياله، بينما ردت وزارة الخارجية على ذلك بأنها محاولة فردية.

والواقع أن للهيئة الطلابية علاقات بالوكالة، والمقاومات السرية مفيدة في جمع المعلومات عن الوجود الروسي في كوبا. وفي حين كانت تجري محاولة ثانية في خريف ١٩٦٢ لتدمير مناجم النحاس في «ماتا هامبرا» كانت طائرات «يو ـ ٢ U 2» تلتقط رسوماً للدفاع الكوبي من الجو. وكان الرئيس جون كينيدي يعلن الحصار على كوبا، ويدعو الاتحاد السوفياتي لإزالة الصواريخ من كوبا. هنا اطمأنت الوكالة الى أن غزو كوبا من قبل القوات الأميركية المسلحة بات وشيكاً بعد إعلان حالة الاستعداد للقتال، واجتمع قادة المجلس الكوبي بمندوبي البنتاغون. وبعثت الوكالة بعملائها الى كوبا ليكونوا على استعداد لدعم العمليات العسكرية الأميركية.

ولكن أزمة الصواريخ هذه انتهت بإزالتها مقابل تعهدات من قبل الرئيس كينيدي بوقف الأعمال العدائية ضد كوبا. وحمل كاسترو هذا التعهد محمل الجد، وراح يعيد تنظيم دفاعه على أساس توقع الخطر المقبل من الداخل. لكن وزارة الخارجية الأميركية كانت تعتبر التعهد لاغياً على حد قوّل «دين راسك» في ١١/١/١٩٦٣، بحجة رفض كاسترو إجراء كشف على المواقع للتثبت من سحب الصواريخ، مما كان منسجماً مع نية الرئيس كينيدي بعدم التقيد بالتعهد.

حقاً أن عملية «النمس» انتهت. ولكن الرئيس كينيدي كان غير راض عن الاستعدادات لها. وقد عبر عن ذلك في اجتماع اللجنة الخاصة بكوبا عشية أزمة الصواريخ، ولذلك قرر توجيه المزيد من اهتمامه الشخصي بالقضية وإنشاء لجنة تنسيق للقضية الكوبية لتنظيم العمليات السرية، كما شكل لجنة دائمة في مجلس الأمن القومي لتحديد العمليات المقبلة في الحرب السرية برئاسة شقيقه. وفيما كانت العمليات التخريبية والهجومية تتواصل، وكانت الإعدادات لعمليات أخرى مستمرة، كانت هنالك خطوة سياسية تخطوها الولايات المتحدة لعزل كوبا سياسياً.

في صبيحة أحد أيام فبراير ١٩٦٢، نشرت صحيفة «أيل ديا» في «بونتا ديل ابتيه» خبراً جاء فيه أن سفير الولايات المتحدة الى منظمة الدول الأميركية، «دي ليسبس س. موريسون» قدم فاتورة حساب لنفقة يوم واحد دون فيها مبلغ تسعة دولارات ثمن إفطار وغداء وأجرة سيارات تاكسي، وخمسة ملايين دولار لعشاء مع وزير خارجية هايتي والحقيقة أن هذا المبلغ المقدم لبناء مطار حديث في «بورت أوبرنس» كان رشوة لهايتي للتصويت على إخراج كوبا من المنظمة، في محاولة يقوم بها نسيب لفرديناند دي ليسبس الذي شق قناة السويس وحاول شق قناة باناما، وسفير أرمل يقضي بعض لياليه في العلب الليلية، لعزل كوبا عن دول أمريكا اللاتينية. وفي أغسطس ١٩٦١ كان «موريسون» على رأس وفد الولايات المتحدة الى مؤتمر أميركي في «بونتا ديل

استيه» في الأورغواي للشؤون الاقتصادية والاجتماعية في الدول الأميركية لمناقشة موضوع انشاء حلف للتطور وعد به الرئيس الأميركي لمساعدة «الأحرار والحكومات الحرة لكسر قيود الفقر» عبر عون اقتصادي بلغ بليون دولار في السنة الأولى، بأمل وقف الشعور المتزايد في أميركا اللاتينية بأن «الفلاح الكوبي حقق مكانه في الشمس».

وحسب مصادر وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، قدم تشي غيفارا في هذا المؤتمر صندوقاً من السيجارات لأحد كبار أعضاء الوفد الأميركي مع بطاقة كتب عليها باللغة الاسبانية أنه يمد يده للعدو. وفي احتفال أقامه مندوب البرازيل بعد ذلك، اجتمع غيفارا بهذا العضو في غرفة على حدة وسأله وهو يبتسم: «هل نجتمع كعدوين في بلاد محايدة أم كشخصين يودان مناقشة مشكلة مشتركة؟». ورد العضو الأميركي: «كعدوين. إنما يجب أن أذكرك أنني لست مخولاً بالتحدث اليك باسم الرئيس كينيدي ولا باسم الشعب الأميركي». وهنا طلب منه غيفارا أن ينقل شكره للرئيس لأن حملة خليج الخنازير رسخت قبضة كاسترو بعد صد أكبر دولة في العالم. هنا اقترح عضو الوفد الأميركي عليه أن يقوم كاسترو بالاستيلاء على قاعدة «غوانتانامو» لإعطاء الرئيس حجة علنية لاستخدام قوة أميركا العسكرية. فرد تشي غيفارا أن كاسترو ليس غبياً الى هذا الحد، وعبر عن استعداده لمفاوضة الولايات المتحدة بدون شروط مسبقة وتعهد بعدم شن هجوم آخر على كوبا. ثم انتهى اللقاء.

وفي اجتماع سري مع رئيس الأرجنتين عاد تشي غيفارا الى الدعوة للتعايش، غير أن المؤتمر قبل حلف التطور المقترح، ولكن المندوب الأميركي نبه الى ضرورة عدم انفاق أي قسم من المساعدة المالية في كوبا. وعاد العضو الأميركي الى واشنطن وأبلغ الرئيس الأميركي ما جرى له مع تشي غيفارا. وقدم له هدية السيجار، فأخذ واحداً منها، وأشعله ثم راح ينفث دخانه وهو يقول: «كان يجب أن تكون أنت الذي يدخن السيجار الأول».

وفي «بيونس ايرس» تقدم القنصل الكوبي «فيتاليو دي لا توريه» باستقالته فجأة حاملاً معه ٨٢ وثيقة من السفارة الكوبية وسلمها الى ممثل المجلس الثوري الكوبي على أنها تفاصيل مشروع موضوع في هافانا للإطاحة بحكومة الرئيس «أرتورو فرونديزي» في الأرجنتين بواسطة نشاطات تجارية وسياسية وبتدريب رجال عصابات. وقرر المجلس استغلال هذه الوثائق الى أقصى حد أثناء زيارة فرونديزي الى الولايات المتحدة. وقامت جريدة «لاناسيون La nation» الصادرة في «بيونس ايرس» بنشر مقال مفصل عنها مرفق بصورها، مما أثار عاصفة من الاحتجاج على كوبا رغم اعلانها أنها وثائق مزورة من قبل منفيين كوبيين بالتعاون مع وكالة المخابرات المركزية. والواقع أن التزوير تم «لإثبات» قيام كاسترو «بتصدير» الثورة بغية تسهيل محاولة عزل كوبا وإخراجها من منظمة الدول الأميركية. وذكرت مجلة «أفانس» الناطقة باسم الكوبيين في المنفى أن القنصل كان يتعاون مع الكوبيين المنفيين في الأرجنتين.

ولم تقتنع الحكومة الأرجنتينية بما أعلنته حكومة الولايات المتحدة عن صحة الوثائق وأصرت على التثبت من ذلك بنفسها. وتبين لها أنها مزورة، في الوقت الذي أصدرت فيه حكومة كوبا اثباتاتها للتزوير. وبذلك فشلت هذه المحاولة كما فشلت محاولة أخرى سابقة عن تزوير رسالة من سفارة كوبا في «ليما» بشأن تآمر هافانا لإثارة ثورة في البيرو، غير أن هذا الفشل لم يثن موريسون عن عزمه. وفي ٣٠/ ١ /١٩٦٢، عقد وزراء خارجية دول المنظمة الأميركية مؤتمراً للبحث في إقصاء كوبا عن المنظمة. وجاءت الملايين الخمسة التي قدمها موريسون لهايتي حافزاً لهذه الدولة للتصويت الى جانب قرار الإقصاء. إلا أن عام ١٩٦٣، يصح اعتباره عام اتساع النشاطات التخريبية ضد كوبا، لا سيما وأن الرئيس جون كينيدي أقر في يونيو من هذا العام تصعيد الحرب السرية، إعداداً لحملة في العام التالي، في حين أن اللجنة المكلفة بتنفيذ المشروع أقرت في اجتماع لاحق تنفيذ ١٣ عملية تخريبية على مصفاة النفط ومؤسسات أخرى، بالإضافة الى عمليات أخرى

كانت قيد التنفيذ. والواقع أن الوكالة كانت منذ بداية العام تنفق نحو ربع مليون دولار شهرياً، على ابنها المدلل «مانيويل ارتيم» (وهو من أعنف معارضي كاسترو الكوبيين) لإحياء الثورة والقيام بعمليات تخريبية. وكان الجنرال «لانسيدال» يقوم بالتفتيش شخصياً على الاستعدادات، وبتجنيد رجال حملة خليج الخنازير للخدمة، ويتصل «برولاندو كوبيلا» مندوب حكومة كوبا لاتحاد الطلاب العالمي، وعميل الوكالة، بسبب انقلابه على الحكومة لعدم احتلاله فيها منصباً يتناسب وجهوده في قيادة هيئة الطلاب الثوريين بعد انهيار باتيستا، للإسهام بتنفيذ بعض العمليات التخريبية، اذا أمدته الوكالة بما يلزم. وفي هذه الفترة وافق سوموزا على السماح لأرتيم باستخدام قاعدة في نكياراغوا للهجوم على كوبا، واتصل برئيس كوستاريكا لتأمين قاعدة ثانية تجنيباً للولايات المتحدة من التورط المباشر في عملية جديدة للإطاحة بكاسترو.

وأدى سخاء الوكالة الى انشاء معسكر في أدغال كوستاريكا، وتجهيز القاعدة البحرية في «مانكي يونيت» في نيكاراغوا، وشراء أحدث المعدات الالمانية للرجال الضفادع، وتأمين المعدات والأدوات اللازمة من الولايات المتحدة بعد إزالة الإشارات الدالة عليها. أما الأسلحة فكانت غالبيتها مستوردة من المانيا الغربية ملفوفة بصحف المانية، بحيث يصعب على كاسترو اتهام الولايات المتحدة بحال فشل العملية. وفي ١٥ / ١١ /١٩٦٣ أبحرت القوات التخريبية بقيادة «بيب سان رومان» المستشار العسكري غير الرسمي لروبرت كينيدي للقيام «بضربات قوية ضد كاسترو» على حد قول رئيس نيكاراغوا.

وفي ربيع هذه السنة أيضاً بدأ الإعداد في ميامي لعملية أصحاب أندية المقامرة بإشراف المحامي «بولينا سييرا مارتينيز» الذي ادعى مناصرة أثرياء أميركيين له، ودعا المنفيين الى التجمع حوله لتشكيل حكومة كوبية مؤقتة برئاسة «كارلوس بريو». ودعت صحيفة «شيكاغو تريبيون» الى هذه الحركة التي

تحظى بدعم أصحاب الاستثمارات، لا سيما مربي الماشية، ومالكي أندية المقامرة ممن كانوا على استعداد لإنفاق نحو ٣٠ مليون دولار في محاولة استعادة كوبا. والواقع أنها محاولة بالتعاون بين رجال المافيا والوكالة، ضمنت دعم العديد من المجموعات السرية المعارضة لكاسترو في حكومة كوبا في المنفى لاستلام الحكم أثناء الفراغ الذي يحدث بحال النجاح باغتيال كاسترو. وقد قيل آنذاك أن مجموعة من «المقامرين في الغرب» كانت على استعداد لتمويل هذه الحكومة بالإضافة الى أصحاب «نادي سان سوسي» للقمار في هافانا والدائرين في فلكهم. وقد جرت هذه المحاولة بعد تأمين قاعدة انطلاق من نيكاراغوا وتوفر الأسلحة. غير أن الوكالة اعتبرت هذه العملية مجرد محاولة لإبقاء لهبة المعارضة مشتعلة. وفي ليل ٢١/١٠/١٩٦٣، كانت للسفينة «ركس» مهمة خاصة ينبغي في سبيلها أن تدخل منطقة الدفاع الكوبي الساحلي، ضمن مسافة نصف ميل من الشاطىء. وفي هذه الأثناء كان ربانها يرقب سيارة كاديلاك على الرصيف يخرج منها قائد عمليات الوكالة في البحر الكاريبي حاملاً حقيبة جلدية ناعمة.

وما السفينة «ركس» هذه غير واحدة من عدة سفن تابعة لوكالة المخابرات المركزية، مسجلة باسم هيئة للأبحاث الالكترونية والمحيطية للتمويه، وعليها رجال موثوقون من عملاء الوكالة ممن كانوا يعملون في قوات باتيستا البحرية للقيام بعمليات تخريبية في كوبا. وما كاد رجال هذه السفينة يقتربون من السواحل الكوبية حتى كشفتهم قوات الدفاع الكوبية، وكانت الطائرات الأميركية والسوفياتية على وشك الاصطدام، لا سيما بعد أن كانت موسكو قد أعلنت علمها بقيام وكالة المخابرات المركزية بخرق الاتفاقية التي أعقبت أزمة الصواريخ. واستطاع بعض رجال هذه السفينة الفرار بعد معركة تضليلية تورطت فيها قوات كاسترو الدفاعية مع سفينة خاصة مكنت الولايات المتحدة من رفض إتهام كاسترو لها والإصرار على مواصلة الحصار الاقتصادي على كوبا. والواقع أن هذه المحاولة كانت تنفيذاً لتعليمات من

قبل الرئيس في يونيو ١٩٦٣ للقيام بأعمال تخريبية في كوبا في ميادين انتاج النفط والمواصلات والطاقة الكهربائية.

وانطلاقاً من ضرورة الاستفادة من تجارب الاخرين، فقد كانت العملية النازية التي لجأ اليها الالمان في الحرب العالمية الثانية من حيث إصدار أطنان الجنيهات البريطانية المزوّرة لضرب الاقتصاد البريطاني، كان قد لجأ اليها أيضاً «ماريو غارسيا كوهلي» لنسف الاقتصاد الكوبي. وفي شهر اكتوبر ١٩٦٠ كان نائب رئيس الولايات المتحدة ريتشارد نيكسون، ونائب مدير الوكالة في المخابرات المركزية، وماريو غارسيا كوهلي، يتناولون الشؤون السياسية في لقاء حول لعبة الغولف بتدبير من عضو سابق في مجلس الشيوخ مكلف من كوهلي نفسه. (اذ أن هذا الكوبي المتطرف كان يتوقع نجاح نيكسون في انتخابات الرئاسة الاميركية ويأمل أن يكون بدوره الرئيس التالي لكوبا). والواقع أنه شكل حكومة الأمر الواقع وراح يعرض أسماء أعضائها على نيكسون وهو يصغي الى عمليته الجديدة التي أسماها بعملية «البحيرة». والظاهر أن نيكسون تأثر بخططه فدعا الوكالة الى التعاون معه. وكانت الوكالة ترى في هذا الرجل انساناً مغروراً لا التزام له إلا نحو نفسه، وقد نافس «فولجنسيو باتيستا» على مقعد في الكونغرس، ودخل السجن في عهده وعارض كاسترو بالطبع، غير أن تدخل نيكسون لصالحه فرض على الوكالة عقد اجتماعات معه أسفرت عن عدم اقتناعها بحجة صعوبة السيطرة عليه، ومعارضة مخططه مع المشروع الموضوع من قبلها لغزو كوبا. أما هو فراح يشكو من أن الوكالة «سرقت آراءه» ثم زعم كذلك بأن الوكالة حاولت رشوته بنصف مليون دولار. بعد ذلك قام بالإتصال بإدارة كينيدي عبر كاردينال بوسطن، وهو يعتقد أن مشروع تزوير النقد الكوبي يشكل الضربة القاضية. على أن قلق إدارة كينيدي من مزاعم هذا الرجل لم تحل دون تأييد كوهلي من قبل أحد كبار المسؤولين في الوكالة، لا سيما بعد أن سكن بجوار «آلان دالس» في واشنطن. أما مشروع تزوير النقد الكوبي فهو من بنات أفكار شاب عامل بالوكالة مكلف بمساعدة منظمة كوهلي. وقد ظن أن طبع مقادير هائلة

من النقـد الكوبي لن ينسف الاقتصـاد الكوبي وحسب، بـل سيغـطي نفقـات تأمين السلاح والذخيرة للمقاومة السرية في كـوبا أيضـاً. وكان «أيـدكندريس» صلة الوصل بين الوكالة وكوهلي، قـد ضمن عدم الملاحقة القـانونيـة، لمثل هذا العمل غير القانوني.

غير أن الشباك كانت تلقى حول القـائمين بالعمليـة. وقد قيـل في ذلك أن عميلاً لكاسترو نسفها، في حين قـال آخرون أن إدارة كينيـدي نجحت في القضاء عليها. بينما زعمت «الواشنطن أوبزرفر» اليمينية الـداعمة لكـوهلي أن للدومينيك علاقة في إفشال العملية. على أن المعروف أن نائب مدير الوكـالة أبلغ المزورين أن الرئيس كينيـدي دعا النـائب العام الى مـلاحقة الاميـركيين والكـوبيين الذين يقـومون بـإنتاج العملة الكـوبية المـزورة وإمكان تسـريب نبأ التزوير الى السلطات الكوبية بالذات، في حين كـان كاسـترو في الوقت ذاتـه يأمر بسك نقد جديد لمكافحة التضخم. وفشلت محاولة الإسراع بطبع العملة المـزورة قبل أن يـدري الرئيس الاميـركي بما يجـري. وفي ١٦/ ٨/ ١٩٦٣، اختفى اثنان من المشتركين بعملية التزوير. وفي الثاني من اكتوبر ألقي القبض على آخرين وجرت محاكمتهم. وفي ٩/ ٣/ ١٩٦٥، تدخل ريتشارد نيكسون لصالح كوهلي، لكنه حكم بالسجن، ولم يخرج منه إلا بعد أن أصدر ليندون جونسون العفو عنه شرط أن لا يقوم بنشاط معاد لكاسترو.

وبعـد مقتل جـون كينيدي، لم تتـوقف الحرب على كـوبا كليـاً، وإنما خفت بعض الشيء في عهد ليندون جونسون. ثم جاء ريتشارد نيكسون فبعثها بقوة مضيفاً إليها أساليب «الحرب البيولـوجية» بنقـل الحمى الأفريقيـة لضرب المـاشية في كـوبا، وبـالعمل على إسقـاط الأمطار فـوق جزيـرة كوبـا لإتلاف مزروعاتها. ثم راح يقف أمام عدسات المصـورين الصحفيين لتهنئة محـاربي كاسترو.

وفي ١٥/ ١٢/ ١٩٧١، استطاعت البحرية الكوبية أن تقتاد سفينة «جوني اكسبـرس» الى مرفـأ كوبي، وأن تعتقـل بعض رجالهـا. واعتبر البيت الأبيض

هذا العمل «خرقاً للأعراف الدولية» ولاذ بالصمت بعد ذلك، كما سبق له أن فعل عند اقتياد سفينة أخرى مماثلة، قبل اثني عشر يوماً باعتبار القضية تتعلق ببناما، إذ أن السفينة كانت ترفع علمها. ولكن إذاعة هافانا أعلنت أن السفينة ملك لعملاء وكالة المخابرات المركزية، قامت بإنزال «العملاء والأسلحة والمتفجرات» في كوبا في ثلاث مناسبات في عامي ١٩٦٨ و١٩٦٩، وحملت قبل شهرين زورقاً بخارياً سريعاً لقصف بلدة ساحلية. والواقع أن السفينة كانت بقيادة اثنين غادرا كوبا عند انتصار كاسترو، وعمل أحدهما في خدمة الوكالة. وفيما كان البيت الأبيض يلوذ بالصمت حيال القضية كان ريتشارد نيكسون يبدي اهتماماً كبيراً بها، وراحت وزارتا الخارجية والدفاع تحذران كوبا من مغبة تكرار مثل هذا العمل.

وفي إطار الحملة على كوبا قامت الوكالة في عامي ١٩٦٩ و١٩٧٠ باللجوء الى استخدام الطائرات لنشر غيوم ماطرة فوق كوبا لإحداث فيضانات جارفة أتلفت زراعة قصب السكر. وفي مارس عام ١٩٧٠ قام أحد ضباط الاستخبارات بتسليم قارورة من فيروس الحمى الحيوانية لمجموعة ارهابية نقلتها عبر قاعدة سابقة للوكالة الى كوبا. وبعد ستة أسابيع انتشرت هذه الحمى بين قطعان الخنازير في كوبا، مما أحدث نقصاً خطيراً في اللحوم، في حين راحت منظمة التغذية والزراعة التابعة لهيئة الأمم تعمل على معرفة كيفية تسرب الداء الوبيل.

وبرغم كل أساليب المخابرات المركزية الأميركية وعملائها، ورغم كل جهود رؤساء الولايات المتحدة وأدمغتها الإجرامية، فقد بقي كاسترو وبقيت دولته كوبا: اشتراكية. وكثيراً ما يشعل كاسترو سيجاره، وينفث دخانه في وجه أميركا، وسرعان ما تعبق رائحته في أنف الرئيس الأميركي وزعماء البيت الأبيض وقادة البنتاغون... فيتأففون... دون أن يقدروا حتى على منع تنشقه... وعلى بعد تسعين ميلاً فقط، يسمعون قهقهات كاسترو وهم يحركون رؤوسهم يميناً وشمالاً تعبيراً عن اشمئزازهم من «زكزكات» حاكم

كوبا الذي يتحدى باستهزاء عجرفة غطرستهم وكبريائهم وعنجهيتهم، وهم لا يقدرون على أن يبعدوا عن عيونهم وأنوفهم دخان سيجار كاسترو الكوبي فقط... فهم يشعرون بأنهم يتنشقون كوبا الاشتراكية بأجمعها في هذا الدخان ويعجزون حتى عن «الزفير»، لأنهم أدمنوا على «الشهيق» الآتي من بعد ٩٠ ميلاً فقط، وهي المسافة التي تبعدهم عن كوبا. واستطاع كاسترو أن يتربع على صدر الولايات المتحدة الأميركية بكل جبروتها، ليمنع عنها عملية التنفس الطبيعي... كما يدغدغ شفاهها في أية لحظة يريدها، دون أن تستطيع منعه مرة واحدة... وكأنه يخاطبهم مردداً الأغنية الفلسطينية ضد الصهاينة قائلاً: «على صدوركم باقون كالجدار».

المراجع

١ - وارين هينكل ووليم تيرنر «قصة الحرب السرية الأميركية ضد كاسترو» تقديم ميخائيل الخوري. مجلة «الجيل» القبرصية. المجلد الرابع. العدد الثاني شباط/فبراير ١٩٨٣. ص ١٤٣ - ١٥٤.

٢ - حافظ ابراهيم خيرالله. «الاستخبارات المركزية الأميركية» (ملف عالم الاستخبارات). العدد الخامس. بيروت. حزيران/يونيو ١٩٧١.

٣ - اندرو تولي «حقيقة الجاسوسية الأميركية» ترجمة د. فؤاد أيوب. دار دمشق. دون تاريخ. ص ٣١٥ - ٣٣١.

٤ - جون ماركس وفيكتور مارشيتي «الجاسوسية تتحكم بمصائر الشعوب CIA» الدار المتحدة للنشر. الطبعة الأولى. بيروت ١٩٨٤.

جاسوسية الفضاء
وحلم السيطرة على الأرض

عندما ظنت الولايات المتحدة الأميركية أنها أصبحت سيّدة هذا العالم، وبيدها وحدها مفتاح هذا الكون، كان عالم الالكترون يطل بوجهه، في خلق عملاء للتجسس من صنع الآلة التي ترى وتسمع وتتذكر، ولكنها لا تتكلم إلا مع هؤلاء الذين يفهمون لغتها الغريبة. ولكن ليس على الأرض وحدها، بل وفي الفضاء أيضاً، الذي تحول بدوره الى مسرح للصراع، في سبيل السيطرة على الأرض ذاتها. ولم تخرج طائرة أول جاسوس فضائي أميركي عن هذا الاطار، عندما ارتجف العالم كله يوم وقع أسيراً في يد السوفيات، بعد اصابة طائرته التجسسية العملاقة بصاروخ روسي فوق أراضي الاتحاد السوفياتي.

فمن هو جاسوس الفضاء هذا؟ وما هي أسرار مهمته؟.

كان الجو صحواً، والسماء زرقاء صافية، عندما كان رجال الماجور «ميهايل فورونوف» يستجمون تحت أشعة الشمس المتعلقة فوق جبال «الأورال». وكان لهؤلاء الجنود كل المبررات في أن يحلموا بإجازة بعد أن قضوا عدداً من الأسابيع في تمارين مجهدة وعمليات صعبة. وفيما عدا ذلك فقد كان يبدو بأن العالم جميعه يستدير بوجهه لمقابلة فترة من السلم، اذ كان الرئيس السوفياتي «نيكيتا خروشوف» على وشك بدء الاحتفالات بأول مارس مع كل ما تحمله هذه المناسبة من البهجة والاحترام لعيد الثورة السوفياتية. وكان خروشوف في ذات الوقت يستعد مع بطانته من مستشارين وأمناء سر ومترجمين ومجموعة من أفراد المنظمات السرية لكي يستقلوا الطائرة جميعاً

للذهـاب الى باريس، حيث كـان من المقـرر أن يعقـد مؤتمـر القمـة هنـاك. وسيحضر الزعيم المسيطر على جمهوريات الاتحاد السـوفياتي هـذا الاجتماع مع كل من الجنرال ديغول والرئيس أيزنهاور ورئيس وزراء بريطانيا ماكميلان. إنها لحظة من لحـظات التاريـخ البارزة، ذلك لأنها تعني العمـل على تخفيف حـدّة التوتـر التي كان يعيشهـا العـالم، ولأن هنـاك... منـاقشـات تـدور بين الأقطاب من أجل خيـر الوجـود في العالم الحـر وفي العالم الشيـوعي. وكان الرجال يفكـرون جديـاً، ويحلمون بنفوسهم ويؤمنـون بضمائـرهم في أن يقود هذا الاجتماع التاريخي والذي سيعقد في ربيع عام ١٩٦٠ للنجاح في العمـل على محو الخوف من وقوع الحرب الذرية.

وفي هـذه الفترة، وقـع ذلك الحـادث التاريخي الـذي اهتز لـه العـالم بأجمعه... ابتدأ ذلك الحادث عندمـا تمكن رجال المـاجور «فـورونوف» من أسر أول جاسوس أميركي في الفضاء. فهناك، وعلى بعـد آلاف الكيلومترات من باريس سجلت شبكات الرادار السوفياتية الشارة الأولى بوجـود هدف غيـر واضح المعالم. ترى.. هل هي غيمة عابرة؟... هل هي طائرة روسيـة؟.. أم هو خطـأ وقعت فيه أجهزة مراقبتهم الخاصة؟... وبدأت عقـارب الأجهزة تـدور في دوائر... المـراقبة، بعـد أن تم الضغط على مفاتيـح العمل وتـردد صوت الانذار على طول شبكات الدفاع السوفياتية المضادة للطائرات.

وقال الماجور «فورونوف»:

إنه ليس صحناً طائراً، إنها طائرة غريبة... انظروا... انـظروا.. إنها تسير في خط متعرج... إنه يحاول أن يغير اتجاهه... نعم... انظروا... إنه يحاول أن يقوم بحركة مستديـرة كبيرة فـوق قاعـدتنا لقـذف الصواريـخ.. ضعوه في خط التسديد: نار..

وحاول الطيار أن يكون أكثر دهاء من شبكات الدفاع السوفياتية المضادة للطائـرات ولكن، لم يعد هنـاك إلا أمل ضعيف للنجـاة. وتمسك «فـرنسيس غاري باورز» بهذا الأمل، اذ كـان يحلق على ارتفاع خمسـة وستين ألف قدم

وهـو على متن طائـرته التي تفـوق سرعتهـا سرعـة الصـوت، وبعـد أن اجتـاز البـاكستان قـادماً من النـروج، بحيث لم يظهـر في رحلته هـذه فوق شبكـات الرادار إلا خيط من الغبار والدخان.

وأعـطيت النار الى الصـاروخ، فانـطلق بعد أن اكتسب سـرعته واتخـذ اتجاهه نحو السماء. ونظر فورونوف الى أجهزة المراقبة، فـرأى نقطتين تتجـه كل منهما نحو الأخرى. وفجأة اشتبكت المناظر على شاشة الرؤيا.

ـ لقد أصيب الهدف. . .

وأسرع الماجور فورونوف الى الخارج، ونظر من خلف عدسات منظاره المكبر في اتجاه السماء، وكانت القطع المعدنية المتناثـرة تلتمع تحت قـرص الشمس، ثم ظهرت نقطة سوداء صغيرة من تحت مظلة واقية للسقوط. .

وقع «فرنسيس باورز» أسيراً في أيـدي رجال المـاجور فـورونوف، لأنـه اخترق بطائرته من طـراز «يو ٢ ـ U_2» المجـال الجوي لـروسيا، بعـد أن قطع مسافة لا تزيد عن ألفي كيلومتر من قاعدة اطلاق الصواريخ السوفياتية.

يعتبـر الكابتن «فـرنسيس غاري بـاورز» قائـد أحدث طـائرات التجسس الأميركية، أحدث جاسـوس في العصر الحـديث لأنه لم يضـطر الى التنكر أو التدرب على لغات وعادات بلاد. . ثانية، ولم تجر له أي عمليـة تغيير معـالم على وجهـه، ولم تعط له تعليمـات الالتقـاء مـع جـواسيس آخـرين وكلمـات تعارف واحتياطات أمن مطلقاً. كل ما هنالك أنه كان طياراً ممتازاً كلفه رؤساؤه بأداء بعض المهمات الخاصة، حيث ارتفع راتبه الشهري من ٧٠٠ دولار الى ٢٥٠٠ دولار، وأصبح يرتدي اللباس المدني عوضاً عن الملابس العسكـرية. ثم أجريت له بعض التـدريبات الخـاصة وأرسـل لـلإنضمـام الى سـرب من الطائرات الأميركية الخاصة في «اضنة» في تركيا، ومنحوه الرقم (١٥). وهناك أفهمه رؤساؤه بأن عليه الطيران على طـول الحدود السـوفياتيـة للحصول على المعلومات والصور التي تلتقطها طائرته لمواقـع الرادار والصـواريخ والـراديو.

ومن «اضنة» بدأ رحلاته التجسسية حول الاتحاد السوفياتي بطائرته المجهزة تجهيزاً خاصاً، يمكنها من الارتفاع في الجو حتى علو شاهق. كما كانت تحتوي على آلات خاصة لالتقاط الاشارات اللاسلكية وخزنها. ثم جرى نقله بعد ذلك الى «بيشاور» في الباكستان ليقوم بنفس عمله في قيادة طائرة «يو ٢» «U_2» فوق الاتحاد السوفياتي، وهذه المرة من جنوبه الى شماله، ثم النزول في «يورو» من أعمال النروج، وفيها قاعدة أميركية ليقدم ما عنده من الأفلام، ومن ثم يعاود طيرانه بالعكس وهكذا...

أما اذا تفحصنا طائرته، وجدنا فيها من أحدث المخترعات التي توصل اليها العقل البشري (حيث لم يسمح الطيران الأميركي بنشر صورة لها. وقد نشر السوفيات حطامها في المعرض الذي أقاموه لإتاحة الفرصة للمواطنين السوفيات للإطلاع على حطامها). فهذه الطائرة مجهزة بآلات تصوير تستطيع التقاط أدق الصور ولو كانت تبعد آلاف الأميال. كما كان باستطاعة الطيار الضغط على زر صغير فتتحرك الكاميرا التي تصور كل ما يبدو تحتها من المناظر في الأرض السوفياتية، وكانت هذه الكاميرا آية في الدقة والاتقان، بالإضافة الى كاميرا أخرى تحمل الرقم (٧٣ ب) وتستطيع التصوير، والطائرة تسير بسرعة ألف كيلومتر في الساعة وبدقة تامة. هذا من جهة أدوات التجسس فيها. أما بالنسبة للإحتياطات المتخذة من أجل عدم إطلاع العدو على الدقائق الميكانيكية فيها فهي تحتوي على مادة ناسفة حالما يتمكن الطيار من الهبوط منها بمظلة الأمان. غير أن الكابتن نفسه يحمل سماً قاتلاً، عليه استعماله عندما يشعر بالخطر يحدق به، ولكيلا يعترف بشيء عن مهمته نتيجة التعذيب، أما اذا اضطر للهبوط في مكان بعيد ووجد باستطاعته النجاة فما عليه إلا ارتداء لباس الفلاحين الذي يحمله مع بعض النقود السوفياتية وبعض القطع الذهبية والساعات، لاستعمالها «رشوة» لمن يساعده، بالاضافة الى حمله «مسدساً حديثاً كاتماً للصوت»، وبعض الأغذية الضرورية المصغرة - بعضها حبوب فيها غذاء كامل - ومصباحاً كهربائياً، وزورقاً ينفخ بالفم لاستعماله في اجتياز نهر أو بحيرة أو عند السقوط في البحر.

ومنـذ ابتداء طيـران الكابتن بـاورز في أول مارس ١٩٦٠ فـوق الاتحاد السـوفياتي، وهـو يقوم بعمله خيـر قيـام حيث أن رؤسـاءه طمـأنـوه الى أن لا الصواريخ ولا المدفعية المضادة السوفياتية تستطيع اصـابة طـائرتـه، وهي في هـذا العلو الشـاهق. ولكن حـدث مـا لم يكن بـالحسبـان أثنـاء وصـولـه الى منتصف الطريق في الاتحاد السوفياتي، عندما أصيبت طـائرتـه وفقد السيـطرة عليها. وعلى بعد أربعة آلاف متر من سطح الأرض قفز منها «باورز» بـالمظلة الواقية فوصل الأرض سـالماً. وقبض عليـه الأهالي الـذين هبط في منطقتهم. ولم يقاوم، بل لم يستعمل السم المزود به لمثل هـذه الحالات. أمـا الطائـرة فقـد تحطمت لـدى وصولهـا للأرض فسـارع السوفيـات الى جمـع حـطامهـا وإحضار طاقم الصاروخ الذي أسقطها، وأخـذوا لهم الصور التـذكاريـة. ومن ثم نقلوا حطام... الطائـرة الى معرض خـاص افتتح في مـوسكو لمـدة شهر شاهد فيه آلاف السوفيات طائرة التجسس الأميركية «يو ٢ ـ U_2» كل قطعة على حدة حتى أدوات ومسدس الكابتن «باورز» عرضت في هذا المعرض.

أما بعد اعتقاله، فقد نقل الـطيار الأميـركي الى المستشفى حيث عولـج لعدة أيام ثم جرى نقله الى السجن العسكري، حيث بدأت محاكمته، فوجده القضاة يحب الكلام. وقد اعترف بـأن رؤساءه أخبـروه عندمـا انتدبـوه للعمل معهم، بأن مهمته الأولى هي الطيران فوق الاتحاد السـوفياتي للحصـول على المعلومات، وصور الراديو ومواقع الصواريخ. واعترف أمام قضـاته السـوفيات بأنه مذنب، وأنه كان يعرف حقيقة مهمته التي كان مكلفاً بها. وأنه وقـع عقداً مع «إدارة المخابرات المركزية الأميركية» للعمل، وأن العقد ينص على أنه اذا أفشى سراً من الأسرار التي يشاهدهـا أو يطلع عليهـا أو يعلمها بحكم تعـاقده مع المخابرات، فسيعاقب بالسجن عشر سنوات أو بغرامة عشرة آلاف دولار، أو بالعقوبتين معاً. وقد انتهت محاكمة «باورز» في شهر آب/أغسطس ١٩٦٠ حيث حكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً نظراً لاعترافـه الصريـح وندمـه، ومن ثم أنزلت العقوبة الى عشر سنوات. وقد استغل «خروشوف» حينئذ هـذه الحادثـة التي اعتبرها تعـدياً على الاتحـاد السوفيـاتي بإرسـال أميركـا طائـرات تجسس

علناً. ولكنه أعلن لدى وصوله الى باريس بأنه قد عفى عن «باورز» الذي كان يقيم يومها في سجن من سجون روسيا. كما أعلن هذا الرجل القصير القامة، ذو الشخصية المرحة وهو يضرب بجمع يده، بأن الموت كان العقوبة الوحيدة الملائمة لجاسوس من طراز «باورز»، وأن الولايات المتحدة الأميركية وحدها هي التي تتحمل مسؤولية مثل هذا العمل العدواني غير الودي. وارتجف العالم لهذا التصريح اذ بينما كان من المأمول له عقد مؤتمر القمة هذا فوق محيط هادىء للتفاهم، انقلب الى مؤتمر يعقد فوق برميل من البارود.

وألقى الرئيس أيزنهاور بحجته وهو يلعب ببعض الأوراق على طاولة المؤتمر، فيقول: «نعم، إن الولايات المتحدة قد عملت على تنظيم التجسس في الفضاء لأنها الوسيلة الوحيدة لتأمين سلامة الخمسين دولة التي تتألف منها الولايات المتحدة بالاضافة لدول العالم الحر ضد هجوم مفاجىء يقوم به الطرف الآخر من خلف الستار الحديدي، وربما أن الزعيم السوفياتي لم يرغب في الاستماع لمشروع الأمم المتحدة للقيام بالتفتيش الجوي فوق كل بلاد العالم، فإن جاسوسية الفضاء هي الشكل الوحيد الذي بقي للولايات المتحدة كي تحافظ على أمنها، كما أنها من صميم السياسة الأميركية».

وبذا فإن الرئيس أيزنهاور عمل على تحمل مسؤولية أعمال «فرنسيس باورز» في الوقت الذي كان فيه الاتحاد السوفياتي قد تمكن من حبك شبكة للجاسوسية تمتد حدودها من طرف «العالم الحر» الى طرفه الآخر، وقد تمكن بواسطة أعمال «روزنبرغ» من الحصول على أسرار أول قنبلة ذرية. ولكن جاسوسية الفضاء هي نوع جديد من أنواع الجاسوسية التي تحمل الكثير من المخاطر للجنس البشري.

وأخيراً، فإن الكابتن «باورز» كان قد جرى تبادله مع جاسوس سوفياتي كبير هو الكولونيل «رودولف ايفانوفيتش آيبل» من المخابرات السوفياتية العاملة في مدينة «بروكلين» في الولايات المتحدة، وكان معتقلاً في أميركا بعد صدور الحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثين عاماً. وقد تم التبادل في العاشر

من شهر فبراير ١٩٦٢. هذا وستبقى ذكرى «فرنسيس باورز» ماثلة أبداً في الأذهان، وسيبقى موضوعه جديراً بالمناقشة دائماً، ولكنه في الواقع ليس إلا رمزاً لعصرنا الحاضر الذي تمكن من الوصول الى أبعاد جديدة من الحدود، هذا الرجل الشاب والذي كان من مواليد جورجيا والذي تحمل كثيراً من الآلام في سبيل بلاده، سيبقى اسمه محفوظاً بين أسماء أبطال أميركا، بالاضافة الى أن الروس قد اتخذوه.. أيضاً، كرمز لجاسوسية الفضاء على الرغم من كونه جاسوس أميركي من جواسيس الفضاء ومن الأميركيين لحماً وعظماً، ولأن اسمه قد أصبح مثالاً للتقدم الفني، فقد عملت روسيا على تخليده بمركبتي الفضاء المعروفتين واللتين تحملان اسم «قمر ساموس» و«قمر ميداس».

إلا أن الدروس التي يمكن أن نستفيدها من جواسيس الفضاء الجدد في هذه الأيام هو وجود هوة مرعبة بين امكاناتنا في إنشاء الآلات والأجهزة، وبين مقدرتنا على ايجاد حلول لمشاكلنا الانسانية والتغلب على مصاعبنا السياسية، ولذا فليس من الممكن أن نحلم في سلم دائم، طالما أن هذه الهوة تفصل بين التقدم الفني الذي أحرزه القرن العشرين، وبين غريزتنا البدائية في القتال والتي لم نتمكن من محوها.

فحتى بداية هذا القرن، كان حلم الرجل في أن يستطيع التحليق، وكان هذا الحلم بمثابة خيال مجنون، والآن ها نحن نشهد الطيران بسرعات تفوق سرعة الصوت، ومع ذلك فإن العلماء يتابعون أبحاثهم للوصول بهذه المركبات كي تسير بسرعة الضوء، ولقد حدث كل ذلك في مدة لا تزيد عن الستين عاماً. ولكن أكبر حلم يعيشه الانسان في عالم اليوم، هو ألا يقوم أي عائق في سبيل اعتراض هذا التقدم حتى الوصول الى نهايته.

وسيصل اليوم الذي سيشهد من سنتركهم بعدنا من الأطفال الصغار، العراك فوق ملعب كرة القدم في كوكب القمر، أو على الملاعب الأولمبية لكوكب الزهرة والمريخ وليس على ضفاف الراين المخضب بالدماء أو في غابات أرغون التي دمرتها القنابل أو على جبال ايطاليا الباردة أو في كوريا.

المراجع

١ ـ كيرت سينجر «أعلام الجاسوسية العالمية» ترجمة بسام العسلي. دار اليقظة العربية. دمشق ١٩٦٥.

٢ ـ سعيد الجزائري «المخابرات والعالم». دار الحياة. الطبعة الثانية. بيروت. دون تاريخ.

٣ ـ اندرو تولي «حقيقة الجاسوسية الأميركية» ترجمة د. فؤاد أيوب. دار دمشق. دون تاريخ.

الخيانة وتهريب طائرة الميغ ٢١ العراقية الى اسرائيل

عندما ضاقت الأرض بالمتصارعين فوقها، فكر الجبابرة بنقل الصراع الى الفضاء بهدف ضمان السيطرة والنفوذ على الأرض ذاتها. ومن هذا المنطلق لعبت طائرة الميغ ٢١ السوفياتية دوراً هاماً في هذا المجال، ومثلت لغزا من الألغاز للولايات المتحدة الأميركية وربيبتها اسرائيل. وفي هذا الوقت الذي أصبحت فيه هذه الطائرة هاجساً أميركياً واسرائيلياً، بدأت الخطط الجهنمية للحصول على إحداها. ونجحت فعلاً في ذلك بتاريخ ١٦/٨/١٩٦٦، عندما حطت على أرض مطار اسرائيلي أول طائرة ميغ ٢١ يقودها الطيار العراقي النقيب منير روفا.

كيف حصلت هذه العملية؟ وما هي أسرارُها؟.

في يونيو ١٩٦٣ وصلت اسرائيل أول دفعة من طائرات «ميراج ٣» الفرنسية. وبنفس الوقت وصلت دفعات من طائرات «ميغ ٢١» الى مصر وسوريا والعراق. ونظراً لأهمية الميغ ٢١ وفعاليتها، فقد توجه «عازر وايزمن» قائد سلاح الجو الاسرائيلي الى مكتب بن غوريون رئيس الوزراء، وأقنعه أنه بحاجة الى طائرة ميغ ٢١ للإطلاع عليها، ليأمن قتالها بعد معرفة مزاياها التي حيرتهم كما حيرت المخابرات الأميركية بالذات. وبعد خروجه ضغط بن غوريون على زر، واستدعى سكرتيره آنذاك «نافون» وطلب منه أن يرسل له رئيس المخابرات. . وحضر أيسر هرئيل. وهنا فاجأه بن غوريون ـ «نحن نريد طائرة ميغ ٢١ ـ في أسرع وقت ممكن. ومهما كانت المتطلبات، فأنت مفوّض».

وبدأ أيسر بترتيب الخطة، حيث أوفد أحسن ضباطه الى أميركا وأوروبا لدراسة ومعرفة تواجد طياري الميغ ٢١ هناك بدورات تدريبية، حتى سنحت الفرصة لهم، فوضعوا أربعة من ضباط سلاح الجو العراقي تحت المراقبة أثناء وجودهم في أميركا والمانيا لإتباع دورات «قائد تشكيل» وهم:

١ ـ الرائد الطيار محمد رغلوب من بغداد، جرت مراقبته والاتصال به في مدينة فرانكفورت ـ المانيا.

٢ ـ النقيب الطيار منير روفا من بغداد.
٣ ـ النقيب الطيار شاكر يوسف من بغداد.
٤ ـ الملازم الطيار حامد ضاحي من بغداد.

ولما كانت المهمة ضخمة وهامة جداً، فقد اتصلت المخابرات الاسرائيلية مع المخابرات الأميركية وبدأ التنسيق بينهما. وعيّن لذلك عدة ضباط ارتباط بحيث تولت المخابرات الاسرائيلية مهمة الاتصال والتعامل مع الطيارين محمد رغلوب ومنير روفا، في حين تولت المخابرات الأميركية الاتصال مع الطيارين شاكر يوسف وحامد ضاحي.

نهاية الطيار محمد رغلوب

محمد رغلوب رائد طيار في أحد مطارات الجمهورية العراقية. سبق له أن عمل كطيار مدني تردد على أوروبا، وقضى ليالي ممتعة في فرانكفورت وميونيخ. وكان يتذكر تلك الليالي أثناء خدمته في مطار انعدمت فيه وسائل الترفيه، وحصل في عام ١٩٦٤ على إذن مَرَضي بفضل مساعدة بعض أصدقائه في بغداد، لقضاء خمسة أسابيع في أوروبا. ووصل في شهر فبراير ١٩٦٥ الى فرانكفورت، تلك المدينة التي تطيب له الإقامة فيها. وخلال أيام نفد ما معه مما اقتصده من راتبه كطيار على الملاهي والنساء اللعوبات، ومنهن

احدى عميلات (الموساد) المخابرات الاسرائيلية التي صرح لها عن ضائقته، فعرفته على شخص يقوم بمضاربات وتعهدات يمكنه أن يساعده، والذي قدم نفسه باسم «هرفراتز»، وهو من خيرة عملاء «أيسر هرئيل» ورئيس فرع الموساد في المانيا. سأله هل تكفي عشرة آلاف دولار لمصروفك لحين عودتك للعراق؟ فوجىء رغلوب بهذا المبلغ الذي قبضه في اليوم التالي من البنك الاتحادي في فرانكفورت.

وبدأ «هرفراتز» عمله خلال ثلاثة أيام، حيث لم يبق ثغرة من حياة رغلوب إلا وسأله عنها، (شفهياً وتحريراً وتسجيلا وصورا) وفي النهاية صرح له بأنهم اختاروه ليساعدهم في الحصول على طائرة ميغ ٢١. إن فر بها بنفسه قبض /٢٥٠/ ألف دولار وأمنت حياته مع من يحب الى الأبد. وإن اتفق مع غيره ونفذ العملية يكون نصيبه /١٠٠/ ألف دولار وتأمينه أيضاً بالاضافة الى منفّذ العملية.

صعق رغلوب للمفاجأة.. كان ينتظر منهم أن يسألوه.. كم عدد الطيارين؟ كم طائرة عندكم؟ أين تقع المطارات السرية.. الخ... ومع ذلك لم يوافق ولم يرفض وطلب دراسة الأمر. طلبوا منه التوجه الى باريس لإتمام المفاوضات، بعد أن سلموه بطاقة طائرة وصل بها باريس، ونزل في منزل مفروش قرب ساحة البراميد حيث زاره ضابطان من الموساد لأخذ رأيه النهائي. لقد فكر وهو في الطائرة بكبر العملية وخطرها. كما وافق على الاتصال بزملائه الذين يقودون «ميغ ٢١». لكنه طلب بإصرار لنفسه سلفاً الـ /٢٥٠/ ألف دولار توضع في أحد بنوك سويسرا محتجاً أن شعبة الاستخبارات في بغداد تدفع هي أيضاً مبلغاً محترماً لمن يعلمها عما تحيكه لها اسرائيل. أغضب كلامه الاسرائيليين فانسحبوا، مما اضطره للعودة الى المانيا بالقطار.

وفي أثناء سير القطار بسرعة ـ ١٠٠ ـ كلم، سقط رغلوب بتدبير محكم من باب المقطورة. وعثرت عليه الشرطة الالمانية مهشماً مقطع الأوصال.

وأفادت بتقريرها الى السفارة العراقية أنه خلط بين باب الحمام والباب الخارجي. وقد كلفته خطيئته بتخويف الاسرائيليين بإعلام المخابرات العراقية، حياته، وهذه هي طريقتهم بالتخلص ممن يرفض التعاون معهم.

بقي في يد المخابرات الإسرائيلية النقيب منير روفا.. اتصلوا به بحذر وكتمان، فوافق شريطة تأمين سحب عائلته من بغداد مسبقاً من بين يدي السلطات. وقد وجد أحد أطباء المخابرات الاسرائيلية المخرج، حيث سلم منير روفا حبة طبية أحضرت من تل أبيب خصيصاً، وعاد الى بغداد بانتهاء دورته التدريبية.

في منزل روفا في إحدى ضواحي بغداد يبتلع ابنه الحبة الطبية فيصاب في اليوم التالي بأعراض حادة. وحصل أبوه على إذن فوري من المخابرات العراقية والقيادة الجوية لإرساله الى لندن للعلاج برفقة والدته ومعها الابن الثاني، لأن الوالد لا يتمكن بطبيعة الحال من العناية بالطفل، خاصة بعد أن استحصل على تصريح من وزارة الصحة العراقية باستحالة علاج ولده في العراق..

وصلته برقية بوصول زوجته والأولاد الى لندن. فأخذ يتحين الفرص للتنفيذ لأنه أرسل مع زوجته خطاباً الى صديق في لندن ليساعدهم (هو ضابط اتصال اسرائيلي)، أعلمهم في الخطاب أن حضوره سيكون ما بين ١٦ و٢٤ أغسطس حسب جدول الدوريات التي ينطلق بها. وكان الأشخاص الذين يعرفون ذلك لا يتعدون أصابع اليد، وهم:

١ ـ ليفي اشكول بالذات الذي أصدر أمره من ثلاث سنوات للحصول على هذه الطائرة.

٢ ـ وزير الدفاع الاسرائيلي.

٣ ـ الجنرال اسحق رابين رئيس الأركان في حينه.

٤ ـ أيسر هرئيل رئيس المخابرات ومنفذ العملية.

٥ ـ رئيس مخابرات الجيش «الأمان».

٦ ـ قائد سلاح الجو ـ موتي هود ـ.

وكان الأخير ـ موتي هود ـ أشدهم حيطة ومسؤولية. حيث أمضى حوالي أسبوع قبل هروب منير روفا بالطائرة اليهم، وهو يواظب في مكتبه ويتدخل في شبكات الرادار واللاسلكي ليتعرف جميع الطيارين على صوته. لأنه كان يخشى من أن يقوم أحد الطيارين الاسرائيليين (العصبيين) بإطلاق رشّة من طائرته على (الميغ ٢١) أثناء قدومها فيحطم كل تلك الجهود. . .

هروب منير روفا بطائرته الميغ ٢١ الى اسرائيل

وبتاريخ ١٦/٨/١٩٦٦، خرج سرب من طائرات سلاح الجو العراقي (ميغ ٢١)، للقيام بأعمال الدورية في المجال الجوي العراقي، ابتداء من الساعة ٧,٤٥، وكان من تعداد هذا السرب النقيب الطيار منير روفا، الذي تأخر بطائرته عن السرب. ولم يلبِّ نداء رئيسه الذي غاب عن نظره مع البقية نظراً لسرعة الميغ.

وهنا تحول منير الى الحدود الاسرائيلية متخطياً الحدود الأردنية بعد أن حاولت طائرتان أردنيتان من نوع «هنتر» اعتراضه، فلم تتمكنا بسبب ضعف سرعتهما، وفي الساعة ٧,٥٢ كان يدخل الأجواء الاسرائيلية.

ثلاث رادارات اكتشفته بوقت واحد، وتحركت شبكة الانذار، أقلع النقيب الاسرائيلي «ران» وهو بطل الطيران البهلواني في أثناء احتفالات «عيد الاستقلال» في الكيان الصهيوني، مع سرب من طائرات الميراج الاسرائيلية. وبلحظات كان «ران» أعلى من الطائرة القادمة، بحماية سربه. عند ذلك تلقى مع سربه أمراً قاطعاً باللاسلكي من الجنرال «موتي هود»: «لا تطلقوا النار بأي ثمن. القضية قضية دولة وبأمر من رئيس الوزراء. إياك أن تلعب دور البطولة. . هذا الميغ سيتبعك بلطف، ويرسو عندنا». بعد أن اطمأن «ران» اقترب قليلاً من طائرة العدو التي طالما تأمل صورها أو نماذج مصغرة عنها.

إنها تحمل على جناحيها «الشارة العراقية» وقائدها لا تبدو عليه أية نية عدائية. وما أن اقترب «ران» بطائرته الميراج منه حتى خفف سرعته بشكل محسوس وترنّح على اليمين واليسار ليدلل على نيته بالهبوط ومسالمته، اقترب «ران» أكثر حتى شاهد الطيار العراقي واضحاً من خلال قفص البلاستيك، وهو يرتدي لباس الطيران الأزرق وقد أشار له بيده اليمنى وابهامه الى الأسفل معبراً عن عزمه على الهبوط، عند ذلك بادره «ران» الاشارة بأن يتبعه، اتجه الجميع الى النقيب، وموتي هود بنفسه يضبط عملية الهبوط. وما أن خرج منير روفا من طائرته بعد أن استقرت على أرض المطار الاسرائيلي حتى رحب به الجنرال هود قائلاً بالانكليزية: «طيران جيد يا سيدي، وأجابه الخائن منير روفا: ليس رديئاً، بعد أن قدّم له نفسه بقوله: الرئيس منير روفا». أدخل الى صالون خاص ليتمكن من تبديل ملابس الطيران، ثم أركب طائرة هليوكوبتر باتجاه الشمال. أما الطائرة الحزينة فقد غطّيت من أعين الفضوليين، وأحيطت بشريط من الشرطة العسكرية.

وفي نفس اليوم وجهت الدعوة الى الملحقين العسكريين الأجانب لمشاهدة (الميغ ٢١)، وهي محاطة بجديلة حمراء غليظة وكأنها تحفة في متحف، بهرت أنظار الملحقين العسكريين. الكولونيل «كاترو» الفرنسي لم يستطع وصفها لروعتها، وراح يردد: «مثير. مثير..»، أما الكولونيل الأميركي «فدنه»، قهقه فرحاً وهو يلمسها لأنه أول أميركي في العالم يلمس ويرى بأم العين هذه الطائرة السوفياتية التي كانت بالأمس القريب لغزاً محيراً لهم. أما الميجر الانكليزي تومبسون.. حاول الدخول الى قربها، فمنع بأدب من قبل الشرطة العسكرية.

هذا وقد اتفقت المخابرات الاسرائيلية مع قيادة الجيش على إذاعة قصة وصول الميغ ٢١ بالشكل التالي: «بنفس الوقت الذي كان فيه الملحقون العسكريون يتفحصون طائرة الميغ، كان النقيب منير روفا مستسلماً لفضول الصحافيين الاسرائيليين الذين ينطقون العربية، والأجانب ومراسلي

وكالات الأنباء العالمية. ثم انسحب الى قاعة خلفية بعد أن توترت أعصابه، خرج بعد ذلك اليهم الكولونيل «سهيل بن زفي» الناطق الرسمي بلسان الجيش الاسرائيلي، وقرأ عليهم رسالة كتبت على ورق أزرق ادعى أنها وصلته من صندوق بريد خاص في قبرص. وإن الطيار القادم أخذ رقم الصندوق من مجلة القوات المسلحة الاسرائيلية.. بيد أن هذه الرسالة هي من فبركة المخابرات الصهيونية ذاتها، حيث تقول:

سيدي.. أرجو أن تصلك هذه الرسالة شخصياً اذ أن ذلك مهم جداً لسلامتي الشخصية، وأرجو أن تتفضل بتصديقي في كل ما أكتب رغم القلق الذي أشعر به فإني مصمم على التنفيذ..

أنا طيار ميغ ٢١ في السلاح الجوي العراقي، قررت الحضور بطائرتي الى بلدكم. لقد توصلت الى ذلك بعد تفكير طويل، سأحدثكم عنه شفهياً عند حضوري. إنني أقدر بلدكم وأجزم بأنكم لن تعيدوني الى نقطة انطلاقي. وسيكون حضوري من الآن وخلال ثلاثة أسابيع على ارتفاع عال بين الساعة السابعة والعاشرة صباحاً قادماً من جهة الشرق مجتازاً الأراضي الأردنية عند شمال البحر الميت بمشيئة الله. آمل أن أهبط في إحدى قواعدكم. أرجو أن تعطي الأمر الى طياريكم ألا يفتحوا النار عليّ. اذ أني قادم بنوايا مسالمة.

يا سيدي... أريد أن أكرر عليكم مرة أخرى، أن نواياي صادقة وأرجوكم أن.. تصدروا، وبإلحاح وتأكيد، أوامركم الى رجال طيرانكم ليضمنوا سلامتي. يمكنكم التأكد أني لن أخيب ظنكم.

بإخلاص... التوقيع: طيار ميغ ٢١

ملاحظة: أرجو قبول اعتذاري لأني لم أوقع باسمي الصريح».
(انتهت الرسالة).

بعد انتهاء الناطق بلسان الجيش الاسرائيلي من قراءة «رسالة طيار

ميغ ٢١» الذي نفذ ما كتب برسالته (حسب ادّعاء السلطات الاسرائيلية) عـاد «الـرئيس» منير روفـا من القاعـة الخلفية بعـد أن استعاد هـدوءه وأجـاب على أسئلة منـدوب الاذاعة الاسـرائيليـة وبـاقي الصحفيين بـأنـه «تـرك. . بـلاده، العراق، بسبب التمييز المـذهبي الذي يشعـر به، ومعـارضته للقمـع الوحشي الـذي تتبعه السلطات العـراقيـة ضـد الأكـراد». (في حينـه)، انتهى المؤتمر الصحفي، وانتهت مهمة منير روفا. . . استقبل بعد ذلك في مطار اللد زوجته ولـديـه القـادمين من لنـدن، وانتقلوا الى مسكن فخم أُعـدّ لهم في احـدى ضواحي «تل أبيب» تحت اسم جديد. وفي اليـوم التالي قبض منيـر روفا ثمن خيانته ووضعه في بنك «هاتسوفيـه» وعاد الى منـزله ليعيش ذليـلاً بقية حيـاته. بينما يخرج أولاده للعب مع أولاد اليهود الذين قتلوا النساء والأطفـال والشيوخ في فلسطين وجوارها، وقد تعلموا اللغة العبرية بطلاقة.

وبعد المؤتمر الصحفي عن الميـغ ٢١، وضعت تحت تصرف خمسين خبيراً أميركياً، حضروا على متن طائرة بـالاضافـة الى مهندسي وتقنّيي سـلاح الجو الاسرائيلي. فجرى فحص أجزائها بدقة متناهية.

م) هذه القصة اختصار مخل واخطاء روائية فاحشة -
أولاً: الجاسوس كان يهودياً
ثانياً: الطائرة هبطت الطائرة في احدى مطارات أمريكا على اراضي التركية لتزويدها بالوقود / من قاعدة أنجرليك / لأن الحكومة العراقية لم تكن تزودها بالوقود الكافي خوف من خطفها.
ثالثاً: المبلغ كان مليون دولار، وليس ٥٠٠ الف دولار فقط

ومن الحقيقة بدأ قيمة الكتاب يقل عندي للأخطاء الفاحشة فيها، حيث يقول المؤلف في معرض حديثه عن الاشتباك السوفيتي في كوبا انها كانت لصالح الكوبيين وعن معركة كاسترو، والصحيح عكس ذلك تماماً.

المراجع

١ ـ سعيد الجزائري. «المخابرات والعالم». مطابع دار الحياة. الطبعة الثانية. بيروت. دون تاريخ.

٢ ـ نزار عمار. «الاستخبارات الاسرائيلية». المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الطبعة الأولى. بيروت ١٩٧٦.

٣ ـ دينيس أيزنبرغ وآخرون. «الموساد جهاز المخابرات الاسرائيلية السري». المؤسسة العربية للدراسات والنشر ودار الجليل للنشر. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٨١.

أسرار حرب الخامس
من حزيران/ يونيو ١٩٦٧

انطلاقاً من المبدأ الصهيوني الأميركي القائل بـ «أن الأحذية الثقيلة هي التي تصنع التاريخ»، قامت حرب الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ بين العرب واسرائيل.

فما هو سر هذه الحرب؟ وكيف خطط لها؟.

ففي وقت مبكر من صباح الأول من يونيو ١٩٦٧، رن جرس الهاتف في منزل ريتشارد هيلمز، مدير الاستخبارات المركزية الأميركية (سي. أي. ايه.) ودهش هيلمز لذلك لأن الاتصال به كان عبر خط الهاتف الشخصي غير المدرج في القوائم المعروفة. وتناول هيلمز سماعة الهاتف، فعرف على الفور الصوت القادم من الطرف الآخر، وهو صوت «مئير عميت» رئيس الاستخبارات الاسرائيلية، ورفيقه منذ أيام الدراسة في جامعة كولومبيا، والذي بقي رئيساً للموساد منذ سنة ١٩٦٢.

وعرف هيلمز من نغمة الصوت أن المحادثة لم تكن حواراً ودّياً وعادياً.

قال عميت: أنا مضطر لرؤيتك يا ديك، أتحدث اليك من حجرة للهاتف من المطار، لا يدري أحد أنني هنا، فقد دخلت بالطائرة وانتهى الأمر. والأمر ملح للغاية.. وبالرغم من المفاجأة، استعاد هيلمز رباطة جأشه بسرعة وأجاب بقوله: انني مشغول بإجراء بعض المقابلات في هذا الصباح، ولكني سألتقي بك في وقت متأخر من هذا النهار، واذا تمكنت أنت

في أثناء ذلك من السفر الى مقرنـا في ـ لانغلي ـ فسوف أجعـل بعض رجالنـا يقابلونك، وسيبلغونني خلاصة الموضوع الذي يـدور في خلدك قبل وصـولي اليك اذا أخبرتهم به.

وأجاب مئير: سأكون هناك.

كـانت هـذه الـزيـارة لمئيـر عميت غيـر عـاديـة، وتمثـل الـذروة في الاضطرابات التي دامت عدة أسابيع في تل أبيب، خاصة بعد أن أقدم الرئيس المصري عبد الناصر على إغلاق مضائق تيران في وجه الملاحة الاسـرائيلية. وقـد فسّر قـادة اسرائيـل من عِسكريين ورجـال استخبارات هـذه الخـطوة بـأن «فـرصة اسـرائيل الـوحيدة في التغلب على خصمهـا الذي يفـوقها في العـدد والعدّة تكمن في أن تكون البادئة بالهجوم».

عـرض مئيـر عميت وجهـة نـظره بكـل مـا لـديـه من قـوة، على رئيس الوزراء، ولكن ليفي اشكول، الحذر، تعرض لحملة انتقادات عنيفة قـامت بها الصحف، وقام بها مستشاروه العسكريون الأكثر ميـلاً الى العنف. ومن دلائل الاحباط في أوساط مستشاري اشكول، ذلـك الحادث المثيـر الذي وقـع أثناء مؤتمر عقد في آخر مايو في مكتب رئيس الوزراء عندما وصل الجنـرال أرييل شـارون الى المؤتمر ومسـدسه مشـدود الى خـاصـرتـه، وعنـدمـا لفت رئيس المجلس نـظره الى أن الوزراء لا يحملون السـلاح في أثناء الاجتمـاعات في العادة، رمى شارون مسدسه على المقعد وصاح بصوت عالٍ، لابـد أن يكون ليفي اشكول قد سمعه: «ان كنت تظن أن من الضـروري استعمال المسـدس لإيقاف رئيس الوزراء، فأنت أحمق، ما عليك إلاّ أن تصيح وسيولي الادبار». وأدخـل هذا الهيـاج العارم الكـآبة الى قلب اشكـول، لكن الأوضاع تـردّت، وسـارت من سيّء الى أسـوأ، وممـا زاد الـطين بلّة بـالقيـاس الى اسـرائيـل، التحذير الذي وجهه الجنرال ديغول لهـا بألا تقـوم بمهاجمـة العرب.. وكـان صدور هذا التحذير عن أكبر أصدقاء إسرائيـل في السنوات العشـر الماضيـة، وعن مورد... تسليحها الوحيد، مدعاة لإثارة القلق البالغ لها.

وفي ضوء هذه الخلفية، قرر مئير عميت القيام بزيارته السرية الى واشنطن. فقد كان متأكداً من أن مفتاح النصر في الحرب القادمة هو في يد الولايات المتحدة، وكان متأكداً كذلك من أن أبا ايبان قد عجز عن اقناع الرئيس جونسون بخطورة الموقف. وكان يعتقد، كما قال من بعد أن إبقاء اسرائيل رهن بنتائج محادثاته مع موظفي وكالة الاستخبارات المركزية - بلانغلي - في فرجينيا..

وفي غرفة لإعداد المعلومات في - لانغلي - واجه مئير عميت جماعة من كبار خبراء وكالة الاستخبارات المركزية لشؤون الشرق الأوسط، من بينهم «جيمس انغلتون» الذي كان على اتصال وثيق بـ «روبرت كلايتون ايمز» مندوب الوكالة في السفارة الأميركية في بيروت، والذي قضى بحادث تفجير السفارة في ابريل ١٩٨٣، وقال لهم باقتضاب: «ستقوم حرب عما قريب وجيشنا الآن مجند في حالة تعبئة عامة.

ليس في وسعنا البقاء على هذه الحال أمداً طويلاً، في حين يتردّى اقتصادنا لأن جيشنا من المدنيين، بل ليس لدينا الآن قوة بشرية لجني الغلال وقد أخذ الشمندر يتعفن في باطن التربة.

علينا أن نتخذ قرارات سريعة، واذا لم نقم بضرب المصريين فسيقضون علينا...».

وانتقل عميت بعدئذٍ الى تقديم تفصيلي للتحليل الذي يتصوره الموساد للوضع العسكري. وفي كل مناسبة، كان الأميركيون المقابلون له يسألونه ويستجيبونه بدقة.. وكانوا يبدون هادئين تماماً، وكأنهم كانوا يسألون بتلطف عن صحة عائلته، حين طلبوا منه أن ينبئهم عدد الخسائر من الموتى الذي تتكبده اسرائيل اذا قامت بالهجوم أولاً والعدد المقابل له اذا أطلق المصريون الطلقات الأولى.

وردّ عميت: اذا تمكنا من توجيه الضربة أولاً فستكون اصاباتنا خفيفة

نسبياً، أي بضع مئات من القتلى لا أكثر، أما اذا جلسنا ننتظر أن يبدأوا هم بالهجوم فسنكسب الحرب بالرغم من ذلك، ولكن خسائرنا ستقارب عشرة آلاف قتيل عندئذ. ولم يتمالك رجال الاستخبارات المركزية أنفسهم من التأثر بالدليل المنطقي الهادىء الذي قدمه مئير عميت، وهم لم يكونوا في حاجة الى من يخبرهم بفداحة الكارثة التي ستحل باسرائيل ان هي خسرت عشرة آلاف رجل، ولكنهم واصلوا توجيه الضغط عليه، ولما أنهى عميت عرض موقفه أخرجوا ما عندهم من خرائط ومعلومات قدمتها لهم شبكة عملائهم ودبلوماسييهم.

وارتاح عميت لأن كل شيء في معطيات وكالة سي. اي. ايه. كان يعزز ما قدمه هو من معطيات، وعرفوا أنه لم يكن يمكر بهم. وفي واقع الأمر، وجد عميت أنهم تقبلوا كل ما أدلى به من حجج ما عدا واحدة منها. وقال المتحدث الأساسي باسمهم لعميت: نعتقد نحن ان. . . المصريين منتشرون في الصحراء، للقيام بدور دفاعي، وقد وافق خبراؤنا العسكريون على هذا التفسير بعد دراسة جميع الصور الجوية التي أخذت لجحافلهم وقواتهم العسكرية الأخرى، ولا. . نرى أنهم سيقومون بالهجوم. ورد عميت على ذلك مهتاجاً: «وأنا أقول لكم أن خبراءنا نحن يرون أن دور المصريين هو دور هجومي، فلماذا يزحفون في صحراء سيناء فجأة للدفاع عن أنفسهم؟» ورد رجال السي. اي. ايه. على ذلك رداً منطقياً هادئاً: وذلك لأنهم مقتنعون بأنكم أنتم ستقومون بمهاجمتهم هم.

وكانت حدّة الحوار تشتد أحياناً، ولكن مئير عميت تمكن في النهاية من كسبهم الى جانبه. وقال عميت مدافعاً عن وجهة نظره:

«لا أهمية للفروق التي تتحدث عنها الكتب بين الموقف الدفاعي والموقف الهجومي، ونحن مجبرون على التعبئة مهما كانت طبيعة نواياهم، وليس في وسعنا أن ندع الجيش المصري يستقر على حدودنا، ونحن نمنّي أنفسنا بأنه ربّما يمثل بعض أدوارَ اللعب والتمثيل، لقد اضطررنا الى استدعاء

الاحتياط بعد أن زحفوا داخل سيناء، وأنتم تعلمون صحة هذا القول من مصادركم الخاصة: فهم بدأوا العمل ونحن استجبنا له. والأمر سواء لدينا، مهما كانت المناورات التي يمارسها المصريون، فسيمنى اقتصادنا بالدمار اذا بقي البلد بأسره في حالة حرب الى أمد ما...

بيد أنكم تعرفون، بدون تصريح مني، (يضيف مئير عميت) ان القوات التي تمثل دوراً دفاعياً تستطيع الانتقال الى دور هجومي في غضون دقائق معدودات، ومهما يكن شأن المشروع الذي خطط له المصريون أولاً، فهم يعتقدون أن في وسعهم الحاق الهزيمة بنا، وذلك ما دأب الروس على قوله لهم منذ أسابيع، ولن يغير هؤلاء أفكارهم فجأة ويبلغوا دمشق والقاهرة بضرورة سحب القوات. ان موسكو تريد الحرب، وهي قد أقنعت العرب بأن الوقت المناسب لها قد آن أوانه». (انتهى كلام مئير عميت).

كان الوقت بعد الظهر انذاك، وكانت الجلسة المرهقة ما زالت معقودة منذ الساعة التاسعة صباحاً. فقرر المجتمعون الاستراحة قليلاً لتناول القهوة والشطائر. وعندما استأنفوا المباحثات أحس مئير عميت بأن خبراء وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية (سي. اي. ايه.) ميالون للإتفاق معه. وكان له من معرفته المهنية ما أفهمه أن رؤيتهم للأمور على هذا النحو انما تنطلق من تقييمهم لها في ضوء مصالح الولايات المتحدة الأميركية، ولم يكونوا ممن يعدلون عن رأيهم للحجج المتصلة بأمن اسرائيل.

بيد أن رئيس الموساد كان عاجزاً عن ضبط انفعالاته عندما وصل هيلمز فقال: انظر يا ديك، لسنا قادرين على احتمال الوضع بعد الآن، فاسرائيل بلد صغير، والموضوع هو موضوع بقائنا، وأنا أحدثك الآن عن عائلتي وعن زوجتي وبناتي الثلاث. وعن عائلات جميع من يرتدون البزات العسكرية من الرجال الآن. ولم يكن هيلمز في حاجة الى الاقناع. ففي الوقت القصير الذي انقضى بين وصوله الى المقر العام، وبين مقابلته لعميت كان أحد معاونيه قد نقل اليه خلاصة الموضوع، ووافق هيلمز على وجهة نظر زميله

القديم في الدراسة، وقال عميت: أريد منك مقابلة مكنمارا، وزير الدفاع الأميركي. وفي الساعة السادسة من بعد ظهر ذلك اليوم أدخل مئير عميت الى مكتب روبرت مكنمارا. وللمرة الثالثة ذلك النهار اضطر رئيس الموساد للدفاع عن وجهة نظره. وبالرغم من تعرضه للحقائق في هدوء ظاهر إلا أنه كان يعي أهمية الانطباع الذي يتركه في نفس مكنمارا. وفي بعض الأحيان لم يتمالك نفسه من البوح بما يختلج في نفسه من توتر.

وعندما أوشك مئير أن يفرغ من دفاعه، سرت رعدة الخوف في جسمه، فقد بقي مكنمارا جالساً طوال الوقت دون أن ينبس ببنت شفة، ولم تصدر عنه أية إشارة، حتى بتحريك حاجبيه، تدل على أنه تأثر أو اقتنع بأقوال زائره.

وفي تلك اللحظة، فتح أحد المساعدين الباب، معتذراً، وسلم مكنمارا برقية عاجلة ففتحها وقرأها بعناية، ثم نظر الى مئير عميت وقال بهدوء: لقد تم تعيين موشيه دايان وزيراً للدفاع في اسرائيل.

وفهم رئيس الموساد على الفور ما يترتب على هذا القرار من نتائج. فقد كان دايان نصيراً مطلقاً لفكرة الهجوم، ويعني ادخاله في مجلس الوزراء أنه سيلقي كل ثقله وراء ذلك العمل، وإذن فقد أذنت أسابيع التردد في اسرائيل بالانتهاء.

وما كادت تلك الخواطر تمر كالبرق في ذهن عميت حتى قال مكنمارا: «انني أعرف دايان حق المعرفة. فقد التقيت به عندما كان في واشنطن وأنا مسرور لتعيينه في منصبه، أرجو أن تبلغه تمنياتي له بالنجاح».

كانت الكلمات التي تفوه بها مكنمارا تتصف بالبراعة والمواربة، ولكن عميت أدرك فحواها تماماً: ان الولايات المتحدة ستقف الى جانب اسرائيل اذا قامت بتوجيه ضربة مسبقة الى سوريا ومصر.

وتوجه رئيس الموساد على عجل من البنتاغون الى السفارة الاسرائيلية،

حيث كتب مع «يوسف غيفا» ملحق اسرائيل العسكري محضراً طويلاً عن نشاطات يومه ذاك ثم أرسل الى تل أبيب برقية بالشيفرة هذا نصها:

«إن الاميركيين يعتبروننا دولة ذات سيادة. ويعتقدون أن لنا الحق في اتخاذ أي قرار نراه ضرورياً لبقائنا، ولن يوجهوا الينا اللوم اذا نحن قمنا بالهجوم أولاً، وهم يتفهمون دوافعنا. وأنا على ثقة من أنهم سيقومون بردع ايجابي للروس اذا فكر هؤلاء في التدخل المباشر».

وكان عميت متلهفاً للعودة الى اسرائيل. فانطلق الى المطار، ودس نفسه في احدى طائرات شحن «العال»، وكانت تحمل شحنة من أقنعة الغاز التي طلبها القادة العسكريون بإلحاح خشية أن يستخدم المصريون حرب الغازات التي يزودهم الروس بأدواتها. وكان الراكب الوحيد في الطائرة هو «ابي هرامان» سفير اسرائيل في واشنطن.

وصباح الخامس من يونيو ١٩٦٧، كان العدوان الصهيوني الغادر على الدول العربية مفاجئاً ومباغتاً، تمشياً مع المبدأ القائل «الضربة لمن سبق». وقد استطاع الاسرائيليون فعلاً تحديد أهدافهم بدقة متناهية ووجهوا اليها ضربتهم المميتة، خاصة وأن كثيراً من المعلومات التي ضمنت نجاح هذه الهجمات الخاطفة، انما حصل عليها الاسرائيليون من قبل جاسوسهم الكبير في مصر «ولفغانج لوتز» مروّض الخيول، والذي كان يقبع يومذاك في سجن ليمان طره، بعد إلقاء القبض عليه من قبل المخابرات المصرية، حيث أطلق سراحه عام ١٩٦٨، بعد مبادلته بأسرى مصريين اعتقلتهم اسرائيل في حرب يونيو. ولولا الدعم الأميركي الدائم والمتواصل، لما استطاعت اسرائيل تحقيق نجاحاتها في هذه الحرب الخاطفة. فهي التي تعتبر احدى ولايات أميركا خارج الحدود، والأكثر أهمية بينها جميعها، في الداخل والخارج، كما تعتبر في الوقت نفسه خنجراً مغروزاً في قلب الوطن العربي، يمعن به تقطيعاً وتمزيقاً. واليد التي تمسك قبضة هذا الخنجر هي اليد الأميركية ذاتها.

المراجع

١ ـ دينيس أيزنبرغ وآخرون «الموساد جهاز المخابرات الاسرائيلية السري» المؤسسة العربية للدراسات والنشر ودار الجليل للنشر. الطبعة الأولى بيروت ١٩٨١.

٢ ـ سعيد الجزائري «المخابرات والعالم» منشورات دار الحياة. الطبعة الثانية. بيروت. دون تاريخ.

٣ ـ نزار عمار «الاستخبارات الاسرائيلية». المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الطبعة الأولى. بيروت ١٩٧٦.

الرهائن الأميركيون في طهران
وأسرار عملية مخلب النسر

عندما قامت الثورة الايرانية في عام ١٩٧٩، اهتزت على أثرها عروش كثيرة، وخافت من انعكاساتها نظم عديدة، اذ أنها لم تكن ثورة على الشاه فحسب، بل وعلى من يقفون وراءه ويدعمونه بكل آلات الحرب المتطورة أيضاً. وكان من الطبيعي أن ترتجف أكبر دولة امبريالية في العالم تعتبر الشاه رجلها الأول «ووكيلها المعتمد» في هذه المنطقة الاستراتيجية.

فبعد نجاح آية الله الخميني في إسقاط الشاه محمد رضا بهلوي عن عرشه، غادر الشاه المخلوع بلاده الى المنفى... تمشياً مع المبدأ القائل بأن «كل وليف على ولفه يلفي» حيث لم يجد بلداً واحداً في العالم يسمح له بالإقامة هو وعائلته (باستثناء مصر..)... حتى الولايات المتحدة لم تتمكن من حماية الشاه الذي كانت تسانده حتى سقط عن العرش تحت وطأة الثورة الايرانية. وطالب النظام الجديد بتسلم الشاه لمحاكمته على الجرائم التي ارتكبها في حق الشعب، وخصوصاً على أيدي رجال مخابراته المعروفة بـ «السافاك» والمدربة على أحدث وسائل القمع والتعذيب الأميركية والاسرائيلية والغربية. كما طالب النظام الجديد أن تعترف الولايات المتحدة بأخطائها وبالجرائم التي ارتكبتها في حق الشعب الايراني كذلك.

وظل الشاه حائراً في بلاد الله الواسعة يتنقل خلسة من بلد الى بلد. فجأة سمحت الولايات المتحدة الأميركية للشاه وعائلته بالدخول إليها لمعالجته من مرض خطير ألم به. واعتبر النظام الجديد في طهران أن هذا

العمل فيه كل التحدي لمشاعر الشعب الايراني مما دفع بالطلبة الايرانيين الى احتلال السفارة الأميركية في طهران واعتقلوا (٥٣) من الرهائن. خمسون منهم تم اعتقالهم داخل مبنى السفارة التي كانت تتحكم في ايران وأحوالها، أما الثلاثة الباقون فقد تم اعتقالهم في مبنى وزارة الخارجية الايرانية.

وبدأت المحاولات الأميركية للإفراج عن الرهائن. فأخذت تفعل تماماً مثل ما تفعله البلاد العربية مع اسرائيل. فأخذت تطرق أبواب مجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية، وترسل الوسطاء وتمسك جزرة ضخمة في يدها اليمنى وعصا صغيرة في يدها اليسرى. وإيران لا تريد أن تأكل من الجزرة وكأنها فاكهة محرمة، وفي الوقت نفسه لا تخاف من العصا، اذ في المقدور مواجهتها.

وظهر للعالم أجمع مبدأ جديد من مبادىء الصراع الدولي، أخذ يستفز ويتفاعل على مسرح السياسة العالمية، هو مبدأ «عجز القوة وقوة العجز». . وهو تطبيق عملي لحرب العصابات في مجال السياسة الدولية. ووجد الرئيس الأميركي «جيمي كارتر» أن «الخيارات» المتاحة أمامه استنفدت أغراضها. . . فلا التهديد بأنواعه يجدي، ولا الهيئات الدولية وقراراتها تنفع، ولا طرد الشاه من الأميركيتين ليحل ضيفاً على مصر فيه ارضاء للطرف الآخر.

ولم يعد أمامه إلا تنفيذ الغارة العسكرية على طهران لفك الرهائن.

إذ أن «جيمي كارتر» كان منذ ٩ نوفمبر ١٩٧٩، أي بعد خمسة أيام من القبض على الرهائن قد أعطى تعليماته لوضع الخطط لإجراءات عسكرية، لاستخدامها في حالة فشل الجهود الأخرى لفك الرهائن.

وهكذا عمدت القيادة الأميركية، بإشراف الرئيس جيمي كارتر ذاته، الى وضع خطة لعملية عسكرية ضد طهران لتحرير الرهائن الأميركيين المحتجزين لديها. وقد سميت هذه الغارة باسم «مخلب النسر» وهو الاسم الحركي لهذه العملية الفاشلة.

كيف تمت هذه الغارة؟ وما هي أسرارها؟ .

جاءت عملية «مخلب النسر» بعد جهود أميركية مضنية ومتواصلة شارك فيها مباشرة رئيس الولايات المتحدة الأميركية - كارتر - محاولاً أن يبرز عضلاته خارج حدود أميركا، بقصد افهام العالم ان باع زعيمة الامبريالية العالمية طويل وفاعل، وحتى لا تجرؤ أية قوة في المعمورة أن ترفع راسها في وجه أميركا بعد اليوم. . . متناسياً سلسلة هزائمها في وجه إرادة الشعوب وقادتها الثوريين.

لقد نوقشت تفاصيل هذه العملية أكثر من مرة في مجلس الأمن القومي برئاسة كارتر نفسه ووافق عليها. وأخيراً أعطى تعليماته بالتنفيذ يوم ٢٤ ابريل ١٩٨٠، بعد شهور عديدة من التدريب والتجهيز وإجراء التجارب، على أرض تماثل الأرض التي ستجري عليها العمليات الفعلية.

وتعتبر هذه الغارة بمثابة درس لنا نحن الشعوب النامية التي تحاول جهدها أن تفك الشباك التي تلقى عليها في كل وقت وحين. وقد تمثل غرضها بما يلي:

أولاً: انقاذ الرهائن الأميركيين الموجودين بالسفارة الأميركية بطهران (وعددهم ٥٠) والموجودين بالخارجية الايرانية (وعددهم ٣) والذين تم احتجازهم منذ ٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٩.

ثانياً: هز هيبة الحكم الثوري في ايران.

ثالثاً: اذا تطورت العمليات بعد ذلك يمكن العمل على نقل الشاه المخلوع من مصر الى طهران لتكرار ما حدث أيام الدكتور محمد مصدق.

والاعتقاد الأكبر أن الغرض الأخير كان بيت القصيد، بالرغم من أنه لم يعلن عن ذلك حتى الآن. ويؤيد ذلك ما تسرب من أنباء عن أن قنبلة سياسية سوف تحدث، وذلك قبل شن الغارة بأيام قليلة.

ولتحقيق ذلـك، تشكلت القوة التي أنيط إليهـا تنفيـذ هـذه العمليـة من الآتي:

(أ) ٣ طـائرات س ـ ١٣٠، تحمـل ٩٠ فـرداً من الصـاعقـة من وحـدة «النور الأزرق» الموجودة في كارولينـا الشماليـة في «فورت بـراج» وهي وحدة شكلت لمكافحة الارهاب منذ عام ١٩٧٧ (وذلك بعـد اتمام العمليـة لأن نقل الأفراد الى منطقة الهبوط كان سيتم بالهليكوبتر).

(ب) ٣ طـائرات س ـ١٣٠، للتمـوين بالـوقود في الجـو، وعند منـطقة الهبوط في صحراء طوباز على بعد ٢٥٠ ميلاً شرق طهران.

(جـ) ٨ طـائرات هليكـوبتر طـراز سوكـورسكي (المـدى ١٠٠٠ ميـل ـ حمـولة كـل واحدة ٣٧ فـرداً وبهـا خـزانـات وقـود اضـافيـة) من على حـاملة الطائرات نيميتز الموجودة في بحر العرب، وتحمل ٩٠ فرداً لتنفيذ العملية.

كـان قائـد العملية هـو الكولـونيل «تشـارلس بيكويت» ويتصـل مباشـرة بالجنرال «دافيد جونز» رئيس أركان حرب الجيش الأميركي الموجود في غـرفة عمليات البنتاغون. أما فيما يتعلق بخطة الغارة، فكان المفـروض أن تتم على مرحلتين:

المرحلة الأولى: وتتم يوم ٢٤ ابريل ١٩٨٠ حيث تبدأ بعد آخر ضوء.

ـ تتحرك ٦ طائرات نقل س ـ ١٣٠ من أحد المطارات المصرية، وتقوم ٣ طـائرات نقـل بإعـادة التموين بـالوقـود في الجو، وتنـزل في أرض الهبـوط «صحراء رقم ١» في منطقة طوباز على بعد ٢٥٠ ميلاً شرق طهران.

ـ تتحرك ٨ طائـرات هليكوبتـر وعليها قـوة العملية (٩٠ فـرداً) من على سطح حاملة الطائرات نيميتـز الموجـودة في بحر العـرب الى منطقـة «صحراء رقم ١» ثم تعيد التموين بالوقود من طائرات الوقود الثلاث.

ـ ترجع طائرات النقل س ـ ١٣٠ الى أحد مطارات عمان.

ـ تتحرك طائرات الهليكوبتر ليلاً بقوة العملية الى أحد المخابىء المعد من قبل في أحد الجبال الموجودة شرق طهران، وتبقى هناك في مخبئها طوال نهار ٢٥ نيسان ١٩٨٠.

المرحلة الثانية: وتتم يوم ٢٥ ابريل ١٩٨٠ حيث تبدأ بعد آخر ضوء.

ـ عربات معدة بواسطة المخابرات الأميركية تنقل أفراد الهليكوبتر الى طهران ليلاً. وتدخل العربات فرادى الى المدينة لتتقابل في أحد الأماكن التي أعدتها المخابرات الأميركية.

ـ تقسم القوة الى مجموعتين: المجموعة الأولى تتجه الى وزارة الخارجية الايرانية لفك الرهائن حيث يوجد ثلاثة أفراد، وتتجه المجموعة الثانية الى السفارة الأميركية لتحرير الرهائن الخمسين فيها.

ـ تعتمد العملية بعد ذلك على المفاجأة والسرعة فيتم تسلق الأسوار والقضاء على الحراس الايرانيين وفك أسر الرهائن.

ـ تتجه المجموعة الأولى بعد تحرير الرهائن من الخارجية الايرانية الى السفارة لتتقابل مع المجموعة الثانية.

ـ تتحرك طائرات الهليكوبتر من مخبئها الى حديقة السفارة لتحمل الرهائن وأفراد العملية.

ـ تتحرك طائرات النقل بتنسيق ذلك مع باقي العملية من عمان الى أرض نزول شرق طهران تسمى «صحراء رقم ٢» لتحميل الرهائن وأطقم العملية.

ـ تعود طائرات س ـ ١٣٠ الى قاعدتها في مصر. وتعود طائرات الهليكوبتر الى حاملة الطائرات نيميتز. وكانت حاملة الطائرات نيميتز ستمد العملية بالتغطية الجوية بالمقاتلات التي ستطير منها للتدخل في حالة تورط القوة في أي عمليات فجائية، معتمدة على ضعف القوات الجوية الايرانية

وعدم قدرتها على الطيران الليلي، علاوة على أنه كان يمكن تدميرها على الأرض لأن أماكنها كانت معروفة بدقة.

هذا هو الذي قيل بوضوح عن الخطة، وفي الاعتقاد أن مرحلة ثالثة كانت تدبر في الخفاء وهي مرحلة ينقل فيها الشاه المخلوع الى ايران مرة أخرى لمحاولة السيطرة على الأوضاع لو نجحت العملية وتطورت الأوضاع الى حالة من الفوضى، كما حدث أيام سقوط حكومة الدكتور محمد مصدق.

ويبقى السؤال الكبير: كيف نفذت العملية وما هي نتائجها؟.

- بدأت العملية بعد شهور طويلة من الإعداد والتجهيز والتدريب.

- غادرت طائرات س - ١٣٠ من قاعدتها المصرية الى البحر الأحمر ثم في بحر العرب ووصلت الى منطقة «صحراء رقم ١» بطوباز على بعد ٢٥٠ ميلاً من طهران العاصمة.

- غادرت ٨ طائرات هليكوبتر سطح حاملة الطائرات نيميتز، ولكن تعطلت احدى الطائرات لأسباب فنية واضطرت للهبوط على الأرض الايرانية، واستعيد طاقمها بطائرة أخرى عادت بهم الى سطح حاملة الطائرات. وأصيبت طائرة ثانية بعطل فني آخر وهي في الجو، ولكن تمكنت هذه الطائرة من العودة ثانية الى سطح حاملة الطائرات نيميتز. . . ومعنى ذلك أن ٦ طائرات هليكوبتر بقيت لاستكمال العملية، وهو العدد الذي كان مقدراً من قبل للتنفيذ، وأضيفت طائرتان احتياطاً، وهما الطائرتان المعطلتان.

- وصلت الطائرات الست الى منطقة «صحراء رقم ١» مع ست طائرات س - ١٣٠ ولكن تعطلت طائرة ثالثة من طائرات الهليكوبتر. فيكون الباقي خمس طائرات وهو أقل من المطلوب لتنفيذ العملية.

- طلب قائد العملية إلغاء التنفيذ ووافق كارتر بعد مشاوراته مع المختصين.

- أثناء إجراء عملية الانسحاب اصطدمت طائرة هليكوبتر بطائرة نقل

س ـ ١٣٠ واشتعلتا بالنيران.

ـ ركب الجميع طائرات النقل س ـ ١٣٠ واتجهوا الى القاهرة، تاركين وراءهم أربع طائرات هليكوبتر سليمة، طائرتان هليكوبتر معطلة، هليكوبتر محروقة. وكانت طائرة قد عادت الى «نيميتز». وعلاوة على ذلك تركت القوة وراءها طائرة س ـ ١٣٠ محروقة وكذلك ثماني جثث للجنود الذين احترقوا بعد تصادم الطائرتين.

ـ تم نقل الجرحى الى «لاند ستوهل» بألمانيا للعلاج الأولي، ثم أعيد نقلهم الى المركز الطبي الدائم في «سان انطونيو» بولاية تكساس لإتمام العلاج.

أما لماذا أمر جيمي كارتر بالتنفيذ في ذلك الوقت؟ فالسبب في ذلك لا يرجع الى أنه فقد صبره بعد محاولاته المتكررة لفك أسر الرهائن، وإنما يرجع الى أسباب أخرى أهمها:

١ ـ ازدياد حملة النقد ضده، خاصة وهو يخوض حملته الانتخابية، وارتفاع أصوات الذين يتهمونه بالضعف وعدم قدرته على مواجهة الأمور.

٢ ـ خوفه على الرهائن لتوزع السلطة في طهران بين الإمام الخميني ومجلس الثورة والطلاب.

٣ ـ حدة المواجهة بين العراق وإيران، والتي كان يخشى كارتر أن تتطور الى حرب حقيقية بين البلدين.

٤ ـ تحقيق نصر يوازي به النصر السوفياتي الذي تحقق في أفغانستان لإعادة شيء من التوازن للنفوذ الأميركي في المنطقة.

٥ ـ قرب موعد موسم الصيف، حيث تشتد سرعة الرياح وترتفع درجة الحرارة وتقصر أوقات الظلام. وهذا عامل حيوي في إتمام العملية كلها تحت جنح الظلام.

أما لماذا فشلت العملية؟ فذلك يعود للأسباب التالية:

كان قائد العملية قد فقد أعصابه أمام الصعوبات الفجائية التي واكبت التنفيذ. فتكرار الأعطال التي حدثت في الطائرات، ثم مرور بعض الايرانيين فجأة في «صحراء رقم ١»، واضطراره للقبض عليهم، جعله يفقد أعصابه وينهي العملية.

والدليل على ذلك ما تسبّب من اضطراب في المنطقة مما أدى الى تصادم الطائرتين. كذلك فإنه غادر المنطقة دون أن يدمر الطائرات الأربع وتركها سالمة لتقع في أيدي الجيش الايراني. بل قيل أيضاً أنه ترك وراءه بعض الخرائط... وهذا لا يحدث إلا من قائد فقد أعصابه...

كما كانت الخطة معقدة أيضاً وعلى مراحل، بينها فواصل زمنية طويلة تسمح بكشفها في أي وقت. فمثلاً لم يكن هناك ضرورة لطائرات النقل الضخمة مع الاكتفاء بازدواج عدد طائرات الهليكوبتر وبتخصيص النصف للعملية ونقل الأفراد، والنصف الآخر لنقل الوقود. أو كان يمكن تأمين الوقود اللازم من مكان الهبوط بواسطة أفراد موجودين في داخل طهران، وتصبح حاملة الطائرات «نيميتز» هي قاعدة العمليات، أو كان يمكن تنفيذ العملية من تركيا أو البحر المتوسط، فالمسافة من هناك تعتبر نصف المسافة بين حاملة الطائرات نيميتز وطهران.

يضاف الى ذلك أن دولاً عديدة في المنطقة تورطت في العملية مما سوف يكون له ردود فعل سلبية في المستقبل، وهو خطأ دائماً ما تقع فيه السياسة الأميركية. ولا شك أن تعدد القواعد في مصر وعمان ومن حاملة الطائرات «نيميتز» ثم «صحراء ١» «وصحراء ٢» جعل السيطرة على العمليات في غاية الصعوبة.

هذا بالإضافة الى سوء صيانة المعدات وعدم الدقة في إجراء التجارب. وربما يرجع ذلك الى زيادة الثقة بالنفس، وهو أمر قاتل بالنسبة

لمن يقومون بمثل هذه العمليات، لأن الثقة الزائدة تقود الى التهلكة، والإقلال من شأن العدو يؤدي الى الفشل. ورغم أن الظواهر تؤكد فشل العملية من الناحية العسكرية، إلا أن رد الفعل السياسي سيكون حاسماً بالطبع. إذ أن العملية نفسها بالرغم من أنها عملية عسكرية إلا أنها ذات هدف سياسي. في واقع الحال ممارسة للدبلوماسية ولكن بطريقة أخرى. . . حتى بالأغراض نفسها والأهداف نفسها، ولكن ربما تكون لغة التخاطب قد اختلفت بعض الشيء. وترتب على فشلها النتائج التالية:

- أنها أقنعت الجانب الأميركي أن العمليات المحدودة، كما حدث في عملية «مخلب النسر»، ربما لا تؤدي الى تحقيق النتائج المأمولة. وعلى ذلك فإنها إن اضطرت لاستخدام وسائل القوة مرة أخرى فإن هذا قد يكون على نطاق أوسع.

- وأقنعت أميركا بأنه لولا التسهيلات التي منحتها لها بعض الدول كمصر وعمان وربما اسرائيل، فإن تنفيذ العملية كان سيصبح متعذراً. وإذاً فإننا نتوقع عودة الولايات المتحدة الى تطبيق سياسة الاحتواء التي كانت تمارسها في الخمسينات والستينات أيام كانت تحاول جاهدة الحصول على قواعد عسكرية هنا وهناك لتتخذها كنقاط وثوب عند الحاجة.

- إن هذا الاتجاه سوف يزيد من عدم الاستقرار الذي تعاني منه المنطقة. وسوف تتزايد الحركات المناهضة لتقاوم عودة القواعد الى المنطقة مما لا يعد في صالح الولايات المتحدة وسياستها أو في صالح الحكام الذين يشجعون مثل هذه السياسات.

- كما أن تفكك المعسكر الغربي ظهر واضحاً بعد أن كان مستتراً. فكل الدول الغربية لم توافق على الخطوة التي اتبعت وعدتها خطوة جامحة ستزيد الأمر تعقيداً، بل جعلت أوروبا ولأول مرَة تعلن عن سياستها المستقلة سواء في الاتجاه نحو «احياء سياسة الوفاق» مع الشرق، أو في تبني مبادرة مستقلة في معالجة أزمة الشرق الأوسط، بعد أن ابتعدت عنها لمدة طويلة،

وبعد أن اقتنعت بأن مبادرة كامب ديفيد فقدت قوتها الدافعة.

- من جانب آخر فإن العملية كان لها رد فعل ايجابي - من وجهة النظر الأميركية - على طهران. فقد كان رد الفعل يتسم بالاعتدال وعدم التطرف، بل بدأت اتصالات سرية لمحاولة ايجاد مخرج للأزمة تنتهي بمحاكمات يقررها مجلس الشعب الايراني المنتخب. وبعد أن تثبت الادانات المطلوبة يمكن أن يعد ذلك كافياً لحل الموضوع على طريقة الحلول الوسط. . . لا نجاح كامل لطرف ولا فشل كامل لطرف آخر. فالحل يقع في نقطة وسط بين النجاح الكامل والفشل الكامل.

- لا يمنع التفاوض لحل المشكلة من حدوث عمليات عسكرية في حالة الفشل على طريقة التفاوض والقتال. فهذه هي الطريقة المتبقية في الحوار السياسي. اختلاف لغة التخاطب حينما يصعب التفاهم بلغة معينة. كما لا يمنع ذلك من تفجير مواقف في مناطق أخرى تصطدم فيها المصالح على طريقة «الارتباط» أو الترابط كوسيلة من وسائل المساومة.

وهكذا فشل كارتر في عملية «مخلب النسر» كما فشل قبله كينيدي في عملية «خليج الخنازير» و«عملية النمس»، وفشل غيرهم من رؤساء أميركا في عمليات مماثلة ولا مجال لتعدادها، حيث تزيد عن عدد الرؤساء الذين تقلدوا المنصب الأول في الولايات المتحدة الأميركية. لقد عشش الفشل والهزائم في شرايين هذه الدولة وأدمنت على ذلك، وأصبحت كأنها لا تتنفس إلا الهزيمة تلو الهزيمة في عملية شهيق وزفير.

هذا ولقد أثبت الشاه محمد رضا بهلوي عبر تاريخه الطويل أنه من أكبر المخلصين للولايات المتحدة الأميركية، ومن أهم عملائها في منطقة الشرق الأوسط كلها، لذلك كان ابنها المدلل الذي حول بلاده الى أكبر ترسانة عسكرية في المنطقة.

وعندما عصفت في وجهه رياح الثورة الشعبية العاتية، لم يعجز بمفرده

عن مواجهتها، بل عجز أيضاً عن ذلك كل حماته، وعلى رأسهم عدوة الشعوب رقم ١. حتى وصل بها الأمر الى عدم تجرؤها على استقباله في أراضيها.

والى القاموس الدولي أضيفت عبارة واحدة اهتز لها الغرب بأجمعه من أقصاه الى أقصاه مفادها: «الويل لأعداء الشعب عندما يطفح الكيل... وللصبر حدود».

المراجع

١ ـ أمين هويدي «في السياسة والأمن» معهد الانماء العربي (برنامج الدراسات الاستراتيجية). الطبعة الأولى. بيروت ١٩٨٢. ص ١١٩ ـ ١٣١.

٢ ـ اندرو تولي «حقيقة الجاسوسية الأميركية». ترجمة د. فؤاد أيوب. دار دمشق. دون تاريخ. ص ١١٨ ـ ١٣١.

٣ ـ العقيد جون ويكس «كتاب جينز العسكري السنوي ١٩٨١ ـ ١٩٨٢». منشورات دار «جينز» البريطانية للنشر (متخصصة بالشؤون العسكرية والاسرائيلية) ١٩٨٢. (نقلاً عن نشرة برنامج الدراسات الاستراتيجية في معهد الانماء العربي. بيروت. المجلد الأول. العدد الثاني عشر. تاريخ ١٥ كانون الثاني/يناير ١٩٨٢. ص ٤٣.

أسرار في حياة هنري كيسنجر

طويلة جداً هي القائمة التي ارتبط أسماء أصحابها بمنطقة الشرق الأوسط. إلا أن القليل من هذه الأسماء أثرت فيها، وتركت بصماتها على خرائطها، فغيرت الحدود ولعبت بالمصائر وأقامت العروش على انقاض عروش هدمت وأزيلت، لقيام دول لم يكن لها وجود. وقد لمع بين هذه الأسماء، نجم السياسة الخارجية الأميركية ووزيرها الأسبق «العزيز» هنري كيسنجر.

فمن هو كيسنجر هذا؟ وما هي أسرار حياته السياسية وأثرها على منطقتنا العربية خاصة ومنطقة الشرق الأوسط بشكل عام؟.

ولد هنري كيسنجر في المانيا من أسرة يهودية متوسطة،اكما عاصر استيلاء النازية تحت قيادة أدولف هتلر على السلطة بعد سقوط جمهورية ويمار. لكنه رحل صبياً مع أسرته الصغيرة الى الولايات المتحدة الأميركية ليعيش لاجئاً في البدء لا يعرف كلمة واحدة من لغة البلاد. ثم أصبح مواطناً أميركياً بكل ما يترتب عليه من حقوق وواجبات. وما لبث أن قفز الى «البيت الأبيض» ليحتل الطابق الأرضي في الجناح الغربي منه كمستشار لرئيس الولايات المتحدة الأميركية لشؤون الأمن القومي. ثم يصعد درجات السلطة الى قمتها فيصل الى الطابق السابع من مبنى «فوجي بوتوم» وهو مبنى وزارة الخارجية الأميركية ليعمل وزيراً لها الى جانب منصبه كمستشار للأمن القومي. وتفوق على جميع من سبقه من رجال في حجم السلطة التي تجمعت بين يديه، حتى أصبح الرجل الثاني في أقوى دولة في العالم..

ومنذ دخل «البيت الأبيض» وراء «ريتشارد نيكسون» لم يتحمس كثيراً لكي «يلعب في مشكلة الشرق الأوسط أو على الأصح يلعب بها»، كما يحلو له عند إدارته للصراع.

ونظراً لتأثر «العزيز هنري» بالداهية النمساوي مترنيخ مهندس التقسيمات الدولية في العالم فإنه «لا يتصدى للمشاكل وهي باردة ولا يتدخل إلا في المواقف الساخنة. كما هو الحال مع مشكلة الشرق الأوسط. فقرار ٢٤٢ الخاص بالقضية الفلسطينية مثلاً ليس هو في نظره مفتاحاً لحل المشكلة، فهو لا يتعدى مجموعة متعارضة من العبارات صيغت في حذق ومهارة». وهذه عبقرية الانكليز في الصياغات... فبعد أن فقدوا القدرة على حل الأزمات استعاضوا عن ذلك بلعبة الصياغات التي تصور لكل طرف أنه حصل على شيء ما. وفي الحقيقة بأن أحداً من الأطراف لم يحصل على شيء قط.

وربما يرجع ذلك الى تعليمات «نيكسون» له بأن يترك شيئاً لصديقه «وليم روجرز» وجهازه الضخم في «فوجي بوتوم» ليلهو به مع غيره من «الفتات» ليتفرغ هو وجهاز «الأمن القومي» لمشاكل أهم مثل فيتنام وكمبوديا وأوروبا، ومفاوضات الحد من الأسلحة الذرية، ومد «الجسور» الى بكين وموسكو في وقت واحد... وربما يرجع ذلك الى ثلاثيته المشهورة: فهو يهودي الديانة والماني المولد والنشأة واميركي الجنسية... هذه الثلاثية الشهيرة التي جعلته يصرح بعد ذلك «كانت أزمة الشرق الأوسط هي الأزمة التي تمنيت دواماً أن أجرب حظي فيها. ومن لا يتطلع خياله الى إعادة السلام الى الأرض المقدسة؟ ولكنني ترددت في الاقتراب من الأزمة لأسباب مفهومة. ولكنني حينما اقتربت منها بعد ذلك كان هذا الاقتراب بناء على اقتناعي بأن الزعماء العرب كانوا على استعداد لقبول دوري دون تحفظات أو حساسيات ترجع الى كوني يهودياً»...

ومعنى ذلك أنه كان يشتهي الاقتراب منها لأنه يهودي. وفي الوقت نفسه كان يتحرج من الدنو منها للسبب نفسه... شعوره ووجدانه يجذبانه اليها،

وعقله وحساباته يبعدانه عن الاقتراب منها. كانت كالفاكهة المحرمة. . . اللذة والخطيئة في الوقت نفسه.

ولا نقصد بذلك أن الرجل كان بعيداً عن «المشكلة». فإن هذا أمر غير معقول بالنسبة لسياسي يلقي بثقله في معالجة المشاكل الدوليه والتعامل معها، بل ويعيش على «إدارة الصراع الدولي». كان هنري كيسنجر يتدخل في إطار مفهومه عن المشاكل الباردة والأزمات الساخنة. . . النوع الأول لا يثير اهتمامه والنوع الثاني يحركه ويجذبه. . . وسخونة الأزمة معناها القرب أو البعد عما يمس العلاقات بين القوتين العظميين أو التأثير على «توازن القوى» بينهما. . . ان حدث ذلك فالأزمة خطيرة لابد من تطويقها، أما اذا كانت دون ذلك فهي مأساة من المآسي التي تملأ الكوكب الذي نعيش فيه، والتي ربما يتابعها بمشاعر حزينة، خاصة ـ وعلى حد قوله في كتابه «سنوات البيت الأبيض» ـ وأنه لم يكن «يملك حلاً للمشكلة في ظل التواجد السوفياتي في المنطقة وفي ظل قيادة عبد الناصر الراديكالية وفي ظل نشاط الفدائيين. وحتى يتم ذلك فإن من واجبي أن أقلل من مخاطر هذا الصراع بالنسبة لأميركا».

فالقول اذن بأنه كان متباعداً عن الشرق الأوسط وما يحدث فيه لا يشكل إلا نصف الحقيقة. اذ كان النصف الآخرُ يوضح تدخله الثقيل، بل تحيّزه الكامل الى جانب اسرائيل بعواطفه وعقله. وحتى لا نتجنى على «العزيز هنري» بنقل اعترافاته التي كتب بعضها في فصول كتابه المعنون: «سنوات البيت الأبيض». . .

فقد كان ضد قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢. فهو مجموعة من العبارات المتناقضة تختلط فيها مفاهيم «الأمن» وضروراته مع استعادة الأراضي. أي تتعارض فيه «الشرعية» مع «العدالة». والأمرَ في نظره شديد التعقيد لأنه صدام بين حقين.

وكان وراء نسف «المباحثات الثنائية» التي اقترحها «الكسي كوسيغين»

رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي في كتابه إلى «الرئيس نيكسون» في ٣٠ كانون أول/ديسمبر ١٩٦٩ لأنه لا يجوز أن يُعطى «السوفيات» أي «فضل» في حل سلمي للمشكلة. فهذا ـ لو تم ـ يقوي ويعمق التواجد السوفياتي من جانب، ويقوي «الراديكالية العربية» من جانب آخر... إن فضل الحل لابد وأن يكون لأميركا و«المعتدلين العرب».

وكان وراء القضاء على «المباحثات الرباعية» التي اقترحها الرئيس الفرنسي «جورج بومبيدو» بين واشنطن وموسكو ولندن وباريس،اوذلك في السادس عشر من كانون الثاني/يناير ١٩٧٠. لأن مثل هذه المباحثات «نوع من التكتل الأوروبي» ضد الاستراتيجية الأميركية.

وكان وراء تمييع مبادرة «وليم روجرز» في صيف عام ١٩٧٠ «فأسلوب روجرز لا يؤدي الى نتيجة... إنه يقدم للأطراف مشروعات تنبع من فراغ... وليس هذا هو أسلوبي». وروجرز دائماً يقضم أكثر كثيراً مما يمكنه أن يمضغ. «وكان روجرز حينما يسمع ذلك يعلق قائلاً: ليس في استطاعة هنري كيسنجر حل المشاكل، فكل اهتماماته تنحصر في اللعب بها».

وقف كيسنجر بكل ثقله في مواجهة البنتاغون «ووزارة الخارجية» في محاولاتهما للضغط على اسرائيل للوصول الى حل سلمي خوفاً من زيادة ثقل التواجد السوفياتي في المنطقة، واحتمال حدوث «مواجهة» بين الطرفين نتيجة لذلك، فأغرق «نيكسون» بمذكراته التي تفند تلك المبررات ذاكراً أنه على العكس من ذلك فإن مرور الوقت سوف يجعل العرب يلفظون «السوفيات» ويعودون الى «واشنطن». علاوة على أنه سيضعف الحركات الثورية ويتيح الفرصة أمام واشنطن لتنفيذ سياسة «الترابط» بين الشرق الأوسط وفيتنام. «فالروس يحترمون القوة ويفهمونها فهماً جيداً. وليس معنى هذا أنهم يسعون الى التصادم ولكنهم يترجمون التنازلات على أنها نوع من الضعف والاستسلام».

بل وحينما نجح عبد الناصر في اقناع السوفيات بالتمركز بالصواريخ

«سام ٣» بأطقمها بصفة مؤقتة وحتى اتمام تدريب الأطقم المصرية، وذلك في لعبته البارعة التي كان ينفذها في ذلك الوقت في دهاء وذكاء، تراس كيسنجر حملة تنادي بضرورة تصعيد الموقف. فهذه أول مرة في التاريخ يجازف الاتحاد السوفياتي بتمركز بعض قواته على أرض غير شوعية. بينما ألقى كل من «روجرز» و«ميلفن ليرد» وزير الدفاع اللوم على اسرائيل. فتعنتها هو الذي تسبب في هذا الموقف. وأخذ كيسنجر ينتقد بشدة الاجراءات التي أمر بها نيكسون في ذلك الوقت رداً على تلك الخطوة بمنع إرسال الأسلحة الى اسرائيل بصفة مؤقتة. وإيفاد جوزف سيسكو الى تل أبيب كنوع من أنواع الضغط. وطلب عقد مؤتمر قمة بين واشنطن وموسكو.

ثم هو الذي أدار أزمة «أيلول الأسود» عام ١٩٧٠ بين الأردن والمقاومة الفلسطينية. فهو مهندس عملية إشراك اسرائيل لردع القوات السورية التي توغلت داخل الحدود الأردنية لمساعدة القوات الفلسطينية.

وفوق كل ذلك مساعداته الصامتة لإسرائيل. اذ كان يؤمن بضرورة تفوقها عسكرياً على الدول العربية. «فبقاؤها يعتمد على قدرتها الدائمة على توجيه ضربة وقائية سريعة. اذ أن الحرب الطويلة معناها تدمير اسرائيل، وعلى ذلك فإن التوازن التقليدي فيه قضاء على اسرائيل، الأمر الذي يجعل من المحتم أن تحتفظ اسرائيل دائماً بتفوقها على العرب». لقد كانت اجراءاته تلك نابعة من استراتيجية تمسك بها وحاول جهده فرضها رغماً عن المحاذير الكثيرة التي كانت تحويها. . .

فاسرائيل هي نقطة الارتكاز للسياسة الأميركية في المنطقة، ومن حقها ضمان أمنها ولو على حساب أرض غيرها. فالسيادة عمل يتعلق «بالعدالة» التي تتعلق بدورها بالتاريخ.

أما الأمن الاسرائيلي فيتعلق «بالشرعية». وهذه بدورها تتعلق بالجغرافيا والأمر الواقع.

الوقت مناسب لتدخل أميركي جاد طالما ظل الاتحاد السوفياتي على

تـواجده الكثيف. وطالما استمـر تأثيـر قيادة نـاصر الثـوريـة. وطـالمـا استمـر الفدائيون في نشاطهم.

لا حاجة الى حل سريع للمشكلة. فاستمرار احتلال اسـرائيل لـلأرض سـوف يجعـل العـرب يعـودون الى واشنـطن. فـإن كـان في مقـدور الاتحـاد السـوفياتي تـزويدهم بـالسلاح فـإن واشنطن هي الجهـة الوحيـدة القادرة على إعـادة الأرض اليهم. ثم علاوة على ذلـك فـإن مـرور الـوقت سـوف يقـوّض الأنـظمة الثـورية ويـزيد من تحكم النـظم المعتدلـة في سير الأمـور. والشيء الغريب إن ما كان يتطلع اليه ـ ولو من الناحية التكتيكية ـ قد تحقق. . .

قسم منه حققه القدر فمات عبد الناصر الذي كان يمثل الاتجـاه الثوري أو الراديكالي على حد تعبيره. والقسم الآخـر حققه العـرب أنفسهم. . . ففي مـذبحـة أيلول الأسـود عـام ١٩٧٠ قضي على قـواعـد الفدائيين في الأردن، وانحصـر نشاطهم في لبنـان. ثم في عام ١٩٧٢ طـرد الخبراء السـوفيـات من مصر وأخذ البعض بعد عملية «الطرد» يقوم بـ : «المطاردة».

ووسط اختــلال المــوازين قــامت حــرب اكتــوبسر ـ تشرين الأول ـ المجيدة. . . وكان «العزيز هنري» في الساعات الأولى للمعركة يتوقـع «سحق عظامنا». وما إن هدأت أصوات المدافع حتى دخل كيسنجر الى المنطقـة من «الباب الملكي المغربي» في المغرب، وأخذ يتنقل فيها بطائرته الخاصة وسط بـريق عـدسـات التلفـزيـون وتهليـل الصحـافـة العـربيـة وقبـلات المسؤولين وأحضانهم، بعد أن غفروا له كل ما تقدم من ذنوبه وما تـأخر منهـا، وأصدروا «قرار العفو العام والشامل» عما سلف، فما فات مات وخير للجميع أن ينظروا الى ما هو آت. لقد كان ذلك بمثابة «صك الغفران» الذي عملت بـه البابـوية وأوروبا قبل عمليـة الاصلاح الـديني فيها والـذي يحمل في جـوهره تشجيعـاً على اقتراف المزيد من الخطايا والذنوب والجرائم. وسجل كيسنجر حافل بها حتى قبل حصوله على هذا الصك. وعندما حقق العرب انتصارهم الكاسح في الأيام الخمسة الأولى من حرب رمضان كتب الجنرال موشيه دايان قائلاً: «لقد

أصبح العرب أقوى وأكبر مما كانوا عليه في الماضي».

وجاءت الرحلات المكوكية «للعزيز هنري» الى المنطقة لتنزع معظم الأوراق الرابحة من يد العرب وتجييرها صهيونياً، بعد أن هبط بطائرته البوينغ ٧٠٧ ليبدأ عملية «فك الاشتباك» أو على الأصح «فك الشباك». وعندما كان يشعر بالحرج في الأوقات الأولى لهبوطه من كثرة ما فعل ضد شعوب المنطقة، سرعان ما اختفى حرجه وسط الاستقبالات والقبلات والأحضان، لدرجة أنه حينما وصل مطار الرياض كان في استقباله عمر السقاف وزير الخارجية السعودية في ذلك الوقت، وكان السقاف حريصاً أن يحتفظ بيد «العزيز هنري» في يده طول الوقت لإظهار مشاعر الصداقة المتناهية.

وعلق كيسنجر على ذلك «بدأت أشك في نفسي.. في كامب ديفيد قبلني بريجينف في فمي. وفي الرياض كان وزير الخارجية السعودي يمسك بيدي طول الوقت»...

وحتى لا يكون ضيفاً ثقيلاً ملأ أحد جيوبه بالسلام المرغوب فيه، وملأ الجيب الآخر بالأرض السليبة... فالروس قادرون على إعطاء السلاح، فهذه حقيقة لا مراء فيها، ولكن الأميركيين وحدهم هم القادرون على إعطاء التأييد السياسي في المحافل الدولية. وهم وحدهم القادرون على إعطاء الأرض.

لقد كان كيسنجر يقوم بدور «شرطي المرور» ومهندس الخرائط والتصاميم التفتيتية. وفي لحظة التقاط الأنفاس نظر الجميع فوجدوا في أيديهم خريطة جديدة للمنطقة فدهشوا وتعجبوا، متناسين بأنه تلميذ الداهية النمساوي مترنيخ مهندس التقسيمات في العالم. وبعد أن نظروا حولهم وجدوا كيسنجر قد ترك المنطقة وغادرها كلها، بل وترك المنصب أو تركه المنصب الى حين. واكتشفوا أيضاً أنه اختفى وهو ما زال محتفظاً بالسلام في جيبه الأيمن وبالأرض في جيبه الأيسر. لكنه لم ينس وهو يغادر المنطقة أن يترك وراءه حرباً أهلية في البلد الصغير المسالم لبنان، ويحول اهتمام العرب

من الهموم التي يعيشون فيها الى همّ جديد، لأنه رأى أن الخريطة هناك تحتاج أيضاً الى تعديل... وتعديل الخرائط لا يتم هذه الأيام إلا بالبنادق والمدافع والصواريخ والطائرات.

وأصبحت الخرائط التي في أيدينا والتي ورثناها أمانة غالية عن الآباء والأجداد تختلف تماماً عما جرى ويجري على الأرض. ولم يعد أمامنا إلا طريقان: إما أن نكتفي بتصحيح الخرائط لتتلاءم مع التعديلات التي حدثت في الطبيعة، أو نقدم على تصحيح التغييرات التي حدثت في الطبيعة لتتلاءم مع ما بأيدينا من خرائط.

والواقع أن كيسنجر فعل بالمنطقة كثيراً من الأعاجيب والألاعيب جرياً على عادة مناحيم بيغن، الذي قال بأن الأحذية الثقيلة هي التي تصنع التاريخ. وعلى هذا الأساس يتحرك الأميركيون في منطقة الشرق الأوسط، والمنطقة العربية على الأخص، فيضربون الأرض بأقدامهم الثقيلة من أجل صناعة تاريخها حسب مشيئتهم ومصالحهم، متناسين بأن الذين يتنقلون على رؤوس أصابعهم غير الذين يضربون الأرض بأحذيتهم الثقيلة ومشاريعهم المشبوهة. ولولا الحاجز الايديولوجي بين الاتحاد السوفياتي والشرق الأوسط لكنا بحاجة الى ميكروسكوب لمشاهدة رجل أميركي في الشرق.

المراجع

١ ـ أمين هـويـدي «في السيـاسـة والأمن» منشـورات معهـد الإنمـاء العـربي (برنامج الدراسات الستراتيجية). الطبعة الأولى بيروت ١٩٨٢.

٢ ـ أمين هـويدي «كيسنجـر وإدارة الصراع الـدولي». دار الطليعـة للطبـاعـة والنشر. الطبعة الأولى. بيروت آب/أغسطس ١٩٧٩.

٣ ـ نشأت التغلبي «وثائق كيسنجر السرّية» مجلة «الحوادث» البيـروتية بتـاريخ ٣ أيلول/ سبتمبر ١٩٧٦.

٤ ـ الملف الشهري «لوكالة مختارات الأخبار العربية والعالمية» العدد السادس والسابع والثامن. من سنة ١٩٧٦. ص ٤٩ ـ ٦٣.

٥ ـ هنـري كيسنجـر «درب السـلام الصعب» تـرجمـة الـدكتـور علي مقلّد. منشورات الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. الطبعة الثانية ١٩٨٤. ص ٥ ـ ١٢.

٦ ـ محمـد حسنين هيكل «بصراحة». جـريدة «الأنـوار» البيروتيـة بتاريـخ ٢٨ كانون الثاني/يناير ١٩٧٧. ص ٦.



غانا الافريقية

بين السندان الامريكي والمطرقة الصهيونية

عندما يضرب الغرور رأس أحد من الناس في أي عصر من العصور، يشعر وكأن الأرض كلها أصبحت في متناول يده. هذا هو الحال بالنسبة لشخص، فكيف اذا كان ملازماً لقوة عظمى نخر الغرور رأسها، وتغلغلت العنصرية في شرايينها ودمها ولازمت العظم؟.

تلك هي حقيقة الولايات المتحدة الاميركية التي احترفت «التمييز العنصري» حيث كان الزنوج الاميركيون من أكبر ضحاياها، في الوقت الذي عمل فيه الرئيس ابراهام لنكولن كل جهده ونجح في تحرير العبيد من كل المظالم التي كانوا يرزحون تحتها، ولقب بعدها بـ «محرّر العبيد». إلا أن ذلك لم يرق لرؤساء أميركا ونظامها الرأسمالي، الذي تتوالد فيه الأزمات يومياً، وبعد أن تسلطن على دول هذا المعسكر بأجمعه، واحتل مرتبة «عدو الشعوب رقم واحد». ولم يكتف بتمييزه العنصري داخل حدوده، بل عمل ـ وما زال يعمل جاهداً ـ على تعميم هذه الظاهرة، وعلى الصعيد الكوني، وبصورة خاصة في القارة الافريقية. وعندما أصبح نظام «غانا» نظاماً آمن فيه الشعب والتف حول «مجلس الخلاص الثوري» برئاسة الملازم «جيري رولنغز» بدأت المخابرات الاميركية، بالتعاون مع المخابرات الصهيونية ومخابرات جنوب أفريقيا تنشط للإطاحة بالنظام الجديد، بعد أن وضعته وزارة الخارجية الاميركية أثناء فترة الجنرال الكسندر هيغ على قائمة «الأنظمة غير الصديقة»..

على هـذا الأساس تفجـرت الأزمة بين الـولايـات المتحـدة الاميـركيـة وحكومة غانا الأفريقية في شهر يوليو ١٩٨٥، كنموذج جديد علـى الأزمات المتعددة التي وقعت فيها الدبلوماسية الاميركية نتيجة لتورط وكالة المخابـرات المركزية في أعمال معادية للحكومات المختلفة. والملاحظ أن الإعلان الغربي قد فرض نوعاً من التعتيم على أخبـار هذه الأزمـة وتطوراتهـا. ومنذ أن بـدأت بـوادر الأزمة تنعكس داخـل غانـا نفسها بـدأ في الهرب عـدد من قادة الجيش والبحـرية في غـانا نتيجـة تورطهم في عمليـات تجسس يعاقب عليهـا قانـون البلاد...

وفي الـوقت الذي اتجهت فيـه أجهزة الإعـلام نحو مستشفى «بـانيسدا» البحري حيث كان يرقد الرئيس الاميركي ريغـان في أواخر شهـر يوليو ١٩٨٥ بعـد استئصال ورم سـرطاني من أمعـائه، دارت في واشنـطن محاكمـة قررت الصحافة الاميركية والأوروبية تجاهلها..

وتطرقت مجلة «العالم» الى هذا الموضـوع مؤكدة أن المحـاكمة تتعلق بمتهمة واحدة هي الآنسة «شارون سكراناج» بـدأت بعد القبض عليهـا بعشرة أيـام. والتهمة المـوجهة اليهـا هي «التجسس لصالح جهات أخـرى أثناء دفـع أجرها كعميلة لوكالة المخابرات المركـزية في غـانا». كمـا تساءل المـراقبون حول التعتيم الاعلامي، وهل هو مسألة مقصودة هدفها التستر على بقيـة أفراد الشبكة التجسسية التي كونتها وكالة المخابرات المركزية الاميركية في غانا؟.

افتتحت المحاكمة يوم الاربعاء في العاشر من يوليو ١٩٨٥. وقد نقلت إذاعـة أكرا (عـاصمة غـانا) أخبـارها في عـدد من النشرات الاخبـارية ليـومين متتـاليين. وتبـع ذلـك عـدد من التعليقـات التحليليـة تعيـد الى الأذهـان تلك الاتهامات التي وجهتها غانا الى واشنطن طوال الأعوام الثلاثة الماضية..

ومنذ نهاية العام ١٩٨٢، وحكومة أكرا تتهم وكالة المخابرات المركـزية

الاميركية والموساد الصهيونية بتدبير محاولات الانقلاب والتجسس. ومنذ إلقاء القبض على الآنسة «شارون سكراناج» لاحظت حكومة غانا إسراع عدد من كبار شخصيات الحكومة وقادة الجيش والبحرية والطيران وعدد من كبار موظفي وزارة الدفاع، بالهرب من البلاد، وترك كل ممتلكاتهم وراءهم. كما لاحظ الدبلوماسيون الأجانب أن عدداً من موظفي وزارة الخارجية في أكرا، لم يتواجدوا في مكاتبهم منذ بدء المحاكمة في واشنطن، مما يدل دلالة واضحة على انكشاف أطراف شبكة المخابرات المركزية ونشاطها في غانا.

وأشارت جريدة السفير «البيروتية» الى القول على لسان مسؤول في وزارة العدل الاميركية أنه تقرر إطلاق سراح أحد الغانيين المتهمين بالتجسس على الولايات المتحدة ويدعى «ميكائيل سوسودي»، مقابل إطلاق السلطات الغانية سراح (١٠) غانيين متهمين بالعمل لحساب وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية. وذكر المسؤول أن «سوسودي» البالغ من العمر (٣٩) عاماً كان قد اعتقل في ١٠ تموز/يوليو ١٩٨٥ أيضاً، وصدر بحقه حكم بالسجن لمدة (٢٠) عاماً.

من ناحية أخرى يتساءل المراقبون عما اذا كانت الآنسة سكراناج هي نفسها المرأة الأميركية التي اتهمت حكومة غانا السفارة الأميركية بتهريبها سراً من أكرا في ٢٧ شباط/فبراير من العام ١٩٨٣.

وكان شهر فبراير ١٩٨٣ قد شهد محاولة انقلاب فاشلة اتهمت غانا وقتها وكالة المخابرات المركزية الأميركية بتدبيرها. وأشارت وكالة الأنباء الرسمية وعدد من صحف غانا الى أن تورط السفارة الاميركية في غانا في محاولة الانقلاب كان مكشوفاً. كما لوحظ وقتها أيضاً أن كلاً من السفارة الأميركية ووزارة الخارجية الاميركية التزمتا الصمت ولم تكذّبا الاتهامات..

وكانت صحف غانا قد نشرت وقتها أن الشرطة وجدت امرأة أميركية في المنزل الذي ألقي القبض فيه على مدبّري محاولة الانقلاب. وفي الغرفة نفسها التي وجدت المرأة مختبئة فيها، تمّ العثور على أسلحة وبيان إذاعي

باللغة الانكليزية به أسماء أعضاء حكومة الانقلاب . .

وحتى الآن ليس هناك ما يؤكد ما اذا كانت المرأة الاميركية التي اختفت بطريقة غامضة عقب لجوئها الى السفارة الاميركية في فبراير ١٩٨٣، هي نفسها الآنسة شارون سكراناج . . .

وأن ما يدعو الى التساؤل أيضاً هو ما اذا كان لمحاكمة الآنسة سكراناج علاقة بالأزمة الدبلوماسية السابقة التي تفجرت بين أكرا وواشنطن في شهر مايو ١٩٨٥ ، حيث شهد ذلك الشهر استدعاء واشنطن لرئيس عمليات وكالة المخابرات المركزية في أكرا، وأعادته على وجه السرعة الى أميركا. وكان قد تردد في الأوساط الدبلوماسية أن استدعاء واشنطن لرجل المخابرات جاء بناء على طلب حكومة غانا بترحيله، بعد أن انكشف نشاطه في التجسس. ويأخذ المراقبون من هذه الظواهر والملابسات الى جانب العدد الكبير نسبياً من المسؤولين الغانيين الذين هربوا من البلاد أو ألقي القبض عليهم دليلاً على مدى تغلغل وكالة المخابرات المركزية في غانا. ويبدو أن الشبكة التي نجحت مخابرات أميركا واسرائيل في تكوينها داخل غانا كانت مترامية الأطراف ومتغلغلة في كل أجهزة الدولة تقريباً . .

ومنذ مجيء النظام الجديد الى الحكم بقيادة الملازم «جيري رولنغز» في آخر ليلة من العام ١٩٨١ ، وقوى كثيرة تتربص به وتريد القضاء عليه . .

وانقلاب ليلة العام الجديد ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ هو الانقلاب الثاني الذي جاء برولنغز. الانقلاب الأول كان في مايو ١٩٧٩ ولم يمكث رولنغز في الحكم إلا بضعة أشهر ليعود الجيش بعد ذلك الى الثكنات، ويفسح المجال أمام حكومة مدنيّة منتخبة من الشعب . .

ولكن الحكومة المدنية جاءت لتكرس الفساد والرشوة وتزداد نسبة البطالة ويتعفن محصول الكاكو (المصدر الأساسي لاقتصاد غانا) بسبب عدم وجود جهاز نقل ينظمه. وفي النهاية قرر الملازم طيار «جيري رولنغز» العودة بانقلاب ثان أحسن الشعب استقباله. وأثبتت الأشهر التالية إخلاص رولنغز

ورفاقه (مجلس الخلاص الثوري) في العمل، والتف حولهم الشعب، وقد كان ينزل بنفسه ليقود حملات تعبئة المحاصيل ونقلها. واتجه رولنغز لضرب الفئات الطفيلية والسماسرة وإعادة صياغة الأنماط الاقتصادية في البلاد لتحقيق العدالة الاجتماعية. .

وبدأت ـ بالطبع ـ مصالح الفئات المرتبطة بالشركات الأجنبية ـ وأغلبها أميركي وبريطاني يهودي ـ تتضرر من تشريعات النظام الجديد. وبدأت غانا تنهج خطاً جديداً في السياسة الخارجية يذكر بأيام الزعيم الراحل «كوامي نكروما»، فأخذت تؤيد حركات الاستقلال الوطني، وتتخذ خطوات فعالة في منظمة الوحدة الافريقية لتأكيد عزل اتحاد جنوب أفريقيا العنصري. واستضافت ودعمت أجنحة مختلفة من منظمة المؤتمر الوطني الافريقي .وكانت المواجهة الدبلوماسية الأولى التي يخوضها النظام الجديد في منظمة الوحدة الافريقية هي شجب التدخل الفرنسي في تشاد. وبالنسبة لقضية الشرق الأوسط اتخذت غانا ـ خاصة بالنسبة للتصويت في الأمم المتحدة ـ موقفاً مؤيداً للعرب وضد «اسرائيل» في جميع القرارات الصادرة.

وبالطبع لم تكن مواقف النظام الجديد بلا ثمن. فتواجد مكاتب لحركات التحرير وخاصة عناصر من المؤتمر الوطني الافريقي في غانا، جعل مخابرات جنوب أفريقيا والموساد الاسرائيلية ينشطان في مدنها. ونتيجة تنسيق الجهازين مع المخابرات المركزية التي تشرف عليها، بدأت المخابرات الاميركية تنشط للإطاحة بالنظام الجديد المدرج على قائمة «الانظمة غير الصديقة».

ومنذ ربيع العام ١٩٨٢ بدأت المعارضة للنظام الجديد ـ وكلها من رموز النظام السابق الذي لم يأسف الشعب على ذهابه ـ تشكل خلايا من مواطني غانا الهاربين منها بعد أن طلب النظام الجديد محاكمتهم. . .

واشترك موظفو الشركات السابقة ـ خاصة شركة التجارة العالمية التي طردها رولنغز عام ١٩٨٢ بعد أن ثبت أنها واجهة للمخابرات الاسرائيلية

«الموساد» ـ اشتركوا في الخلايا التي بدأت تتشكل في لندن ولاغوس ونيروبي والخرطوم. كما تم تجنيد عدد من المرتزقة البريطانيين والبلجيكيين لها. . واختير قائد مخابرات غانا السابق الجنرال «جوشوا هاميدو» الذي طرد من منصبه لارتباطه بواشنطن، قائداً لجبهة المعارضة الجديدة للنظام. وكانت المخابرات الاميركية تتولى دفع الاجور وتمويل محطة إذاعة المعارضة من لاغوس. .

وفي مطلع العام ١٩٨٣، اتهم سفراء غانا في واشنطن وباريس والمندوب السامي لغانا في بريطانيا، مخابرات أميركا واسرائيل بتمويل حركات معارضة، وإعداد انقلاب، وتكوين خلايا معادية للنظام في لندن وكينيا ونيجيريا وتوغو وليبيريا وساحل العاج وأميركا. وقد عقد هؤلاء السفراء مؤتمرات صحفية لتوجيه هذه الاتهامات. .

وشهد مارس ١٩٨٣ عراكاً دبلوماسياً بين واشنطن وأكرا، بعد أن كشفت حكومة غانا بطريق الصدفة تورط السفارة الاميركية والسفير الاميركي في محاولة الانقلاب في ٢٧ شباط/فبراير١٩٨٣.

فقد وقع في أيدي مصادر من غانا تقرير سري، كانت سفارة المانيا الغربية قد أرسلته من أكرا الى بون، وكان التقرير يخوض في تفاصيل علاقات المستر «توماس سميث» ـ سفير أميركا وقتها في غانا ـ مع جبهة المعارضة التي تعد لإنقلاب بقيادة الجنرال «جوشوا هاميدو» في لاغوس. ومضى التقرير ليصف استراتيجية المخابرات الاميركية لاختراق القوات المسلحة والنقابات العمالية في غانا. وتطورت الأزمة الدبلوماسية خلال الأشهر الثلاثة التي تلت ذلك لتنتهي برحيل «توماس سميث» من البلاد وتأزم العلاقة بين غانا وأميركا. . .

وقضت وزارة الخارجية الاميركية بقية العام ١٩٨٣ ومعظم العام ١٩٨٤ في محاولة تكذيب تقرير السفارة الالمانية في أكرا. بل وقادت المخابرات الاميركية حملة منظمة لتلطيخ سمعة الكابتن «كوجو تسيكاتا» المستشار

الخاص لمجلس الدفاع الغاني، الذي كان قد أذاع في أكرا محتويات التقرير في مؤتمر صحفي عقد في آذار/مارس عام ١٩٨٣ . . .

وخلال الشهرين الثامن والتاسع عام ١٩٨٣ سافر مساعد وزير الخارجية الاميركي لشؤون أوروبا الشرقية، «دينيس كاكس» المتخصص في شؤون اعلام الحرب الباردة في جولة في أوروبا، وزار كاكس عدداً من العواصم الأوروبية. وفي كل منها كان يحرص على أن تكون النقطة الأولى في جدول أعماله هي اتهام الاتحاد السوفياتي بتدبير حكاية تقرير السفارة الالمانية في غانا. وادّعى أن تقرير السفارة الالمانية مزوّر. وأن حكومة غانا اعترفت له بهذا في لقاء سري. ولاحظ المراقبون أن السفارة الالمانية في أكرا التزمت الصمت، ولم تؤكد أو تنفي وجود التقرير، ولم يصدر عنها ما يشير الى أنه مزوّر أو حقيقي. • بالطبع لو كان الدبلوماسي الاميركي كاكس صادقاً فيما يدّعيه، لكانت واشنطن قد طلبت من حكومة غانا تكذيباً رسمياً لما صدر عنها من اتهام السفير الاميركي بالتجسس والتورط في محاولة انقلاب. ولكن الكابتن «تسيكاتا» لم يكذب أبداً البيان السابق الذي نشر فيه محتويات التقرير. كما أن الملازم رولنغز نفسه كرر في أكثر من مناسبة الاتهام، ووجه المزيد من الاتهامات دون أن يصدر من واشنطن أي تكذيب رسمي أو تحدٍّ لاتهامات غانا لها. .

وفي اليوم الرابع من المحاكمة في واشنطن، صدر مرسوم رسمي في غانا ووزعته سفاراتها في العالم، جاء فيه أن محاكمة الآنسة «شارون سكراناج» يقدم أدلّة جديدة تثبت أن معظم ما ورد في تقرير السفارة الالمانية العام ١٩٨٣ كان صادقاً. ويقول المرسوم أن اعترافات الشهود واعترافات سكراناج نفسها أثناء المحاكمة تضيف أدلة جديدة للإتهامات التي ذكرها الكابتن تسيكاتا في مؤتمره الصحفي الشهير في آذار/مارس ١٩٨٣ . .

وأعاد المرسوم للأذهان مرة أخرى الاتهامات التي وجهتها حكومة غانا للسفارة الاميركية بتورطها في محاولة الانقلاب الفاشلة في فبراير ١٩٨٣،

وحكاية المرأة الاميركية التي ضبطت في منزل مدبّري الانقلاب. وقامت السفارة الاميركية بتهريبها خارج غانا . .

وهكذا منيت المخابرات الاميركية بخسارة كبرى في هذه العملية. إذْ أنها فقدت قاعدة للعمل ولنشاطها في غانا. وكذلك الحال بالنسبة لكل من المخابرات الصهيونية ومخابرات جنوب أفريقيا في أكرا. ومخابرات اسرائيل تنشط هناك بسبب وجود قطاع مسلم كبير من السكان، ووجود رأسمال يهودي الى جانب وجود مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية . . .

ومخابرات جنوب أفريقيا تنشط هناك أيضاً بسبب مواقف غانا المناهضة للعنصرية، ودعمها للمؤتمر الوطني الافريقي الذي توجد له هناك مكاتب وهيئة سياسية. وبسبب ارتباط الجهازين بالمخابرات الاميركية، فإن الضرر سيلحق بنشاطهما بدون شك . .

أما الذي تلقى الضربة بعد تقطيع أوصال شبكة المخابرات المركزية الاميركية فهو الجنرال «جوشوا هاميدو» وجبهته، لأن ضرب الشبكة سيؤثر كثيراً على نشاط جبهته التي تتلقى دعماً مالياً كبيراً من المخابرات الاميركية، وهي نشطة جداً في لندن، وتحاول الحصول على دعم عدد من العواصم الافريقية للإطاحة بنظام جيري رولنغز الذي يبدو أن سياساته خارجياً وداخلياً أصبحت عسيرة الهضم على المعدة الاميركية.

المراجع

١ ـ مجلة «العالم». العدد ٧٧. السبت ١٩٨٥/٨/٣. ص ٢٤ ـ ٢٥.

٢ ـ جريدة «السفير». العدد ٤١٣٦. الاربعاء ٢٧ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٥. ص ٩.



الغواصات الاميركية وعائلة الجواسيس

يوماً بعد يوم، ينقشع الضباب عن «اسطورة» تدّعي بأنها «أم الأساطير»، تلك المسمّاة «بالأمن القـومي الاميركي». وقـد برع القيمـون على هذا الأمن في تصويرها كامبراطورية مليئة بالألغاز والأسرار، في محاولـة لتخويف العـالم وترهيبه بغية ابقائه في هاجس الخوف والتبعية لدولة كبرى اسمها: «أميـركا». إلا أن ما يجري على الأرض بين فترة وأخرى يكشف هذا الزيف ويحطم تلك الاسـطورة رغم كل ادعـاءات العظمة والغطرسـة والعنجهيـة. وليست قضيـة «عـائلة الجواسيس» الاميـركيـة التي اكتشفت خـلال شهـر يـونيــو من عـام ١٩٨٥، إلا دليلاً ساطعاً على الدعاية الكاذبة التي تحيكها أميركـا حول قـوتها وجبروتها وتفوقها.

فما هو سر «عائلة الجواسيس» الأميركية هذه؟ ومن هم أبطالها؟.

- ففي صباح يوم صحا الاميركيون على نبأ عن جـاسوس أميـركي اسمه «جون ووكر» كان حتى العام ١٩٧٦ يعمل في البحريـة الاميركيـة وتقاعـد في ذلـك العام، وكـان متخصصاً في سـلاح الغواصـات، وتخصصه الـدقيق هـو الحـرب المضادة للغـواصات. وقـد ألقي القبض عليه فجـأة بتهمة بيـع أسرار الغواصات الاميركية للسوفيات. وبعد أيام، بدأت تكر السبحة.

- «مـايكل ووكـر» - ابن جون - ضـابط في البحريـة، ووجوده على متن حـاملة الطائـرات «نيميتز» المـرابطة أمـام ميناء حيفـا في فلسطين المحتلة في زيارة ودية، ألقي القبض عليـه ونقل الى أميـركا لمـواجهة المحققين... هـو أيضاً يمارس الجاسوسية مع والده لحساب السوفيات.

ـ «ارثر ووكر» ـ «شقيق جون وعم مايكل» ألقي القبض عليه في منطقة سكنه في ميناء «نور فولك» في ولاية فرجينيا، حيث تقوم أكبر قاعدة للبحرية الاميركية على الاطلاق، وحيث يقوم أكبر حوض أميركي لبناء السفن. وبدوره يشغل موقعاً مهماً: انه يملك احدى الشركات الصغيرة التي تتعاقد مع «البنتاغون». ولديه ـ مثل جون ومايكل ـ تصريح أمني يفتح أمامه الأبواب المغلقة على أسرار «البنتاغون»، خصوصاً أسرار البحرية الاميركية وأسرار الغواصات بصورة خاصة.

وهكذا عرف الاميركيون إزاء ذلك، أنهم أمام «كارثة معلومات»، حيث الأبواب المغلقة على أعز أسرار اميركا العسكرية كانت مفتوحة أمام أعين السوفيات وآذانهم وحواسهم البشرية والتكنولوجية على مدى ١٨ سنة. . . وربما أكثر، بواسطة «عائلة ووكر» التي اكتسبت خلال أيام قليلة لقب «عائلة الجواسيس»، قبل أن تبدأ أي محاكمة، وقبل أن تتضح أدلة الإدانة. هذا ما عرفه الاميركيون وهو عام وغامض، على الرغم من كل ما يدل عليه من خطورة. لكن ما عرفته البحرية الاميركية نفسها كان أكثر من كارثة.

فماذا عرفت بحرية الامريكان التي يفتخر هؤلاء «الجواسيس» بانتمائهم لها؟.

ان سلاح. . . الغواصات الاميركية هو «الضلع الثالث» في مثلث الردع الاستراتيجي الاميركي في مواجهة الاتحاد السوفياتي. بل انه الضلع الأكثر أهمية، لأن الضلعين الاخيرين ـ قاذفات القنابل الاستراتيجية «ب ـ ٥٢» والصواريخ الموجهة عابرة القارات ـ مستهدفان للأسلحة السوفياتية المماثلة وغير المماثلة. فهم ـ على الأقل من الناحية النظرية ـ يعرفون أين هي القاذفات «ب ـ ٥٢»، وأين هي الصواريخ الاستراتيجية. لكن الغواصات هي السلاح الخفي. هي الدرع الأقوى في المثلث. . . انها قوة جبارة ليس لها عنوان معروف. . . أو على الأقل ليس لها عنوان ثابت ومحدد. انها مخبأة في أعماق المحيطات. وكل غواصة منها مسلحة بعدد يتراوح بين ١٦ و٢٤ من

الرؤوس النووية. . والأحدث بين هذه الغواصات الأميركية، /٣٥/ غواصة من طراز «بوزايدون» و«ترايدنت» تستطيع وحدها أن تدمر الاتحاد السوفياتي عدة مرات ـ حسب اعتقاد الاميركان ـ.

وكانت البحرية الاميركية فخورة بأنها تحرس أسرار غواصاتها بإجراءات أمنية تصل الى حد الجنون. فإن أمن أميركا كله يعتمد بالمعنى الحقيقي للكلمة على لعبة «الغميضة» ـ طرف يختبىء والطرف الآخر يبحث عنه ـ تلك اللعبة تجري بلا انقطاع بين الغواصات الاميركية في أعماق المحيط وكل وسائل السوفيات للبحث عنها ومعرفة مخابئها. ويعتز رجال البحرية الاميركية كثيراً بما حققته. . . التكنولوجيا من دقة «سلاح الصمت». فالغواصات الاميركية لا تكاد تصدر حتى الهمس في حركتها في أعماق المياه.

وفجأة، مع انكشاف دور «عائلة الجواسيس الاميركية» يتبين أن السوفيات كانوا يبحثون عن مخابىء الغواصات الاميركية، لا في قاع المحيط، ولا بواسطة الطائرات أو الغواصات. . . انما داخل غرف القيادة والتحكم، ووسط الرسوم السرية التي ترسم كل حركة لهذه الغواصات. . . وتصور كيف تختبىء وأين، في كل ساعة من ساعات النهار، وفي كل يوم من أيام الشهر، وكل شهر من شهور السنة. . . أكثر من هذا، فإن البحرية الاميركية عرفت أن بإمكان «عائلة ووكر» أن تزود السوفيات بالمعلومات الضرورية لتمكينهم هم أنفسهم ـ أي السوفيات ـ من اخفاء غواصاتهم عن الاميركيين، لأنهم يعرفون مفاتيح الأساليب التكنولوجية الاميركية لمراقبة وتتبّع الغواصات السوفياتية في أنحاء العالم.

أحد خبراء الأمن الامريكيين علق على هذا كله بقوله: «الآن أصبحت المهمة أن تمنع تسرب هذه المعلومات، التي عرفها السوفيات، الى الشعب الامريكي». وبهذا المعنى رد المتحدث الرسمي باسم وزارة الدفاع الاميركية، «مايكل بيرش» على سؤال لمراسل أمريكي في مؤتمر صحافي في قاعة المراسلين في «البنتاغون»، قال فيه: «ربما لا تكون لدى السوفيات دراية

بكيفية تقويم المعلومات والوثائق التي حصلوا عليها. كما اننا لا نعرف حتى الآن وعلى وجه التحديد مقدار ما حصلوا عليه. فما الداعي لأن ندخل في تخمينات حول ما يملكون، فنقدم لهم بأنفسنا الطريقة التي يستطيعون بها أن يملأوا فراغات اللغز الباقية؟ اننا نقوم بعمل خطير اذا فعلنا هذا».

ويرد عدد من المراسلين الاميركيين على بيرش: «ان أفراد الشعب الاميركي هم وحدهم الباقون في الظلام بالنسبة الى هذا الموضوع. أما السوفيات فإن الوثائق بين أيديهم».

هذا، والذين سمحوا لأنفسهم بأن يصدروا تقديرات عامة عن هذا الضرر الذي ألحق بالأمن القومي الاميركي من جراء هذه القضية، فقد أجمعوا على أن نشاط «أسرة ووكر» قد ألحق ضرراً جسيماً للغاية، وأنه «ينبغي اطباق الشفاه تماماً حول ما يمكن أن يكون أفراد هذه العائلة قد قدموه للسوفيات». . . وإن الضرر جسيم للغاية.

وقد أكد «مايكل بيرش» الناطق الرسمي باسم «البنتاغون» ـ رغم رفضه الدخول في أي تفاصيل ـ أن آخر تقديرات وزارة الدفاع للضرر الأمني الناتج عن مبيعات الأسرار البحرية للسوفيات تظهر «ان المشكلة أشد خطورة مما كان يظن من قبل».

أما السلطات المدنية التي تتولى التحقيقات في القضية وهي «مكتب التحقيقات الفيدرالي» (اف. بي. آي)، فإنها لا تزال تواصل جهودها للكشف عما اذا كانت هناك عناصر أخرى في الشبكة لم يكشف عنها بعد. ويقول المسؤولون في هذا المكتب انهم يعتقدون أن نشاطات «اسرة ووكر» في بيع أسرار البحرية الاميركية للسوفيات «قد شلت مقدرة الغواصات الاميركية على تنظيم دوريات للغواصات تحت الماء، وشلت مقدرة الولايات المتحدة على تعقب الغواصات السوفياتية».

وقد كان من أغرب التفسيرات التي قدمها المتحدث الرسمي باسم

«البنتاغون» لقضية الجاسوسية الجديدة الخطيرة قوله «ان جانباً من المشكلة في كيفية مراقبة المعلومات السرية، يكمن في وجود وثائق سرية كثيرة للغاية، ونسخ كثيرة منها... ربما تكون المصيبة التي تعرض لها الأمن القومي بسبب آلات النسخ الحديثة (الفوتوكوبي)، وهو تفسير يكشف من اللحظة الأولى عن تبسيط شديد لمشكلة بالغة التعقيد».

ولا يقل تبسيطاً عن ذلك ما قاله «جون هيوز» الناطق الرسمي السابق باسم وزارة الخارجية الاميركية بأن «قضية ووكر» تكشف عن أن السوفيات أعطوا الأولوية القصوى للتجسس، وأن هناك جهازاً بالغ الدقة في الاتحاد السوفياتي مهمته الحصول على أكثر المعلومات سرية من الولايات المتحدة أو من الحلفاء الذين تشاركهم أميركا في أسرارها... ويمضي «هيوز» محذراً من أن السفارة السوفياتية الجديدة في واشنطن ستتيح للسوفيات الحصول على أكوام من المعلومات السرية. وبينما السفارة الاميركية في موسكو تقع في قلب المدينة، محاطة بأبنية معوقة للإتصالات، فإن السفارة السوفياتية في واشنطن تقع فوق تل يشرف على العاصمة الاميركية بأسرها.

أما «جون دوناللي» الذي يشغل مركز «مدير مكافحة التجسس وبرامج التحقيقات» فإنه اعتبر أن مهمته الأساسية في مواجهة حالة الهستيريا التي أصيب بها الاميركيون نتيجة ما أذيع عن قضية ووكر، هي تهدئة مشاعر الرأي العام الامريكي بالتأكيد للناس أن الجواسيس لا يزالون يشكلون أقلية ضئيلة في المجتمع «... وإن الغالبية العظمى - يضيف دوناللي - من رجال قواتنا المسلحة شرفاء ومخلصون». وقد اعترف دوناللي بأن ميزانيات الأجهزة العسكرية الثلاثة المسؤولة عن مكافحة التجسس في الولايات المتحدة قد زادت بنسبة /٦٠/ بالمئة خلال السنوات الخمس الأخيرة. وهذه الأجهزة هي: مركز الاستخبارات والأمن في الجيش، وإدارة التحقيقات البحرية، ومكتب التحقيقات الخاصة في السلاح الجوي. مع ذلك فإن هذه الزيادة الهائلة في ميزانية مكافحة التجسس لم تحل دون ارتفاع عدد المتهمين

بالتجسس (فضلاً عن غير المتهمين) الى ثلاثة أمثال خلال سنتين فقط. لكن خلف التفسيرات المبسطة الى حد الخلل لفضيحة الجاسوسية الكبرى... لا توجد محاولة لفهم سبب ما جرى فهماً يصل «الى العمق».

لقد كشف انكشاف «عائلة الجواسيس» عن انقسامات حادة داخل الحكومة الاميركية تجري منذ وقت طويل حول «أفضل السبل للتدقيق في إصدار التراخيص الأمنية التي تسمح لأفراد بعينهم بأن يطلعوا على أخطر أسرار أميركا العسكرية وأكثر دقة وتأثيراً على الأمن القومي. وتبين أن جيوشاً بأكملها من الأفراد ـ عسكريين ومدنيين، تقنيين ومقاولين ـ يملكون تراخيص أمنية تفتح لهم أبواب معابد الأسرار المقدسة للتكنولوجيا والخطط العسكرية الاميركية. ثلاثة ملايين ونصف مليون شخص في أميركا يحملون هذه التراخيص من درجات مختلفة... وأكثر من نصف مليون منهم يستطيعون أن يدلفوا من أبواب الأسرار العليا التي تصنف على أنها «على أعلى درجة من السرية». وتبين أن هذه التراخيص يفترض ـ طبقاً للإجراءات العادية ـ أن تراجع ويراجع حاملوها مرة كل خمس سنوات. ولم يكن ذلك يتم مع معظم الذين يحملون التراخيص الأمنية ولا يتعرضون لأي مراجعة على مدى السنين. بل ان معظمهم ينقل من موقعه أو وظيفته الى مكان آخر ووظيفة أخرى، ويظل محتفظاً بالتصريح الأمني، وكأنه حق مكتسب له لا يجوز تجريده منه.

ومن المؤكد أن السناتور «باتريك ليهي» نائب رئيس لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ الاميركي، محق في قوله: «أعتقد أنه قد لحق بنا ضرر جسيم اذا كان السوفيات قد تمكنوا من تتبع نوع الرمز الذي نستخدمه، خصوصاً اذا كانت لديهم تسجيلات بكل اتصالاتنا. وأعتقد اننا لم نر حتى الآن إلا الجانب الظاهر من جبل الجليد، لأن السوفيات قادرون على أن يعودوا الى ما لديهم ويعيدوا تكوين الكثير. ولا أظن أنه سيكون بإمكاننا أبداً أن نحسب مقدار الدمار الهائل الذي لحق بنا». ومن الواضح من مجريات التحقيق ومن ردود الفعل المختلفة لجهات رسمية وغير رسمية إزاء قضية

«عائلة الجواسيس» ان الجميع يتناول القضية وكأنها قصة بوليسية: البحث عن الجاني وأدلة الجريمة والضرر الواقع على المجني عليه، ولا محاولة بعد ذلك لطرح السؤال الأكثر أهمية: لماذا يفرخ المجتمع الامريكي مثل هذا النوع من البشر، وما هي العوامل التي تؤدي الى نتاج عائلة جواسيس مثل عائلة ووكر، تبيع الأسرار العسكرية لبلادها الى بلد آخر؟ وما هي العلاقة بين سلوك خبير البحرية الذي تحول الى جاسوس... وسلوك الجنرال الذي تحول الى رئيس مجلس إدارة، يكبد «البنتاغون» مليارات الدولارات في عقود لصناعة الأسلحة لا تكلف شركته إلا أقل من ربع ما تحصل عليه الميزانية العسكرية؟ ان قضية «عائلة ووكر» واحدة من أخطر قضايا الجاسوسية في أميركا خلال أكثر من نصف قرن... لكنها بالتأكيد ليست الأولى ولا الأخيرة... وإن ظاهرة عائلة الجواسيس ليست جديدة، وليست «عائلة ووكر» أول عائلة أميركية تضبط متورطة في التجسس. أشهر عائلة جواسيس سابقة في التاريخ الاميركي الحديث كانت عائلة «روزنبرغ» - الزوج جوليوس والزوجة ايتيل - اللذين أعدما في العام ١٩٥١ بتهمة إفشاء أسرار نووية للسوفيات.

وكما أن فرداً من عائلة ووكر هو الذي أفشى سرها (الزوجة)، فإن فرداً من عائلة روزنبرغ أيضاً هو الذي أفشى سرها (شقيق الزوجة)، وكان متورطاً هو الآخر في التجسس، وساوم السلطات على ما لديه من معلومات عن نشاط أسرته في مقابل ألا يعدم.

يضاف الى هذا كله، أن مفاجأة مثيرة للدهشة، اكتشفها المسؤولون الاميركيون، حدثت في خضم الذهول الذي أثارته ملابسات قضية عائلة الجواسيس الاميركية. اذ تبين أن «جون ووكر» العضو الرئيسي في هذه الشبكة، شديد الحماسة لمنظمة «كوكلوكس كلان» الارهابية البيضاء المعادية للسود، والتي تمثل أقصى اليمين المتطرف في أميركا، وأنه كان يجند أعضاء جدد للمنظمة، وأن بينه وبين «العراب الأكبر» للمنظمة في العام ١٩٨٠ «بيل

ويلكسون» مراسلات تتعلق بنشاطه في تجنيد العناصر الصالحة لمنظمة «كوكلوكس كلان». وقد قيل على الفور أنه كان يحاول بذلك التغطية على نشاطاته في التجسس لحساب الدولة الشيوعية الأولى، العدو الأول في نظر هذه المنظمة. لكن ويلكسون نفسه يقول: «كان ووكر في نظري وطنياً الى درجة هائلة. كان زميلاً من طرَازي أنا. . . وإني لأتذكر في مناسبات عديدة كيف كنا نجلس سوياً نلعن الشيوعيين معاً».

ومهما قيل أخيراً في «عائلة الجواسيس» الأميركية، ومهما ألصق بها من نعوت واتهامات، تبقى نواة أساسية لعائلة كبرى هي الانسانية. ولا يمكن أن يكون عملها التجسسي هذا إلا في خدمة الانسانية ذاتها جمعاء. . .

فالولايات المتحدة الاميركية هي عدوة الشعوب رقم (١) وهدفها القضاء على الانسان والانسانية أينما كان تكريساً لعنصريتها وتحقيقاً لاستراتيجيتها التسلطية التدميرية. . . وقلما تبغي من اختراعاتها واكتشافاتها العملاقة تطوراً وتقدماً للبشرية، بقدر ما يكمن هدفها في إبادة البشر وسحق الشعوب الضعيفة بآلتها التدميرية، والسيطرة على العالم. . .

انها في الواقع نازية النصف الثاني من القرن العشرين وفاشيته ودكتاتوريته. . . ومن. . . استطاع من بني البشر فضح سر من أسرار هذه السياسة الإبادية، يحقق فعلاً انتماءه الحقيقي لعالم الانسان ويوفر على البشرية الكثير من الآلام والمآسي.

جوناثان بولارد وفضائح التجسس الصهيوني في الولايات المتحدة

عندما أطلق المفكّر كمال جنبلاط جملته الشهيرة بأن «السياسة أخلاق ومبادىء، ومتى خرجت عن هذا الإطار فقدت معناها وجوهرها»، فإنه كان يدرك تماماً أن أرباب السياسة في مختلف العصور، لا يختلفون عن تجار السلع الخاضعة لمبدأ العرض والطلب والاستهلاك؛ بل أكثر من ذلك، فإنها تعتبر السلعة الأكثر رواجاً في أسواق الدول الكبيرة والصغيرة على السواء. ولكن المؤكد أيضاً أنه «ليس في السياسة عاطفة دائمة، بل هناك مصلحة دائمة».

هذا ما ينطبق بكل صدق على دولة الاحتلال الصهيوني التي قامت على الدم والمجازر والارهاب والجثث، والتي لا تقيم وزناً إلا لمصلحتها أولاً وقبل كل شيء مهما كانت تحالفاتها قوية ومتينة وراسخة، حتى ولو كانت حليفتها بالتحديد: الولايات المتحدة الأميركية... وما زالت قضية الجاسوس الاسرائيلي «جوناثان بولارد» ـ محلّل المعلومات في البحرية الأميركية ـ تتفاعل على أكثر من صعيد ومستوى.

فما هو الجديد في هذه القضية؟ وما هي أسرارها الأكثر خطورة؟.

منذ اللحظة التي تم فيها القبض على الجاسوس الاسرائيلي «بولارد» في ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٥ خارج السفارة الاسرائيلية في واشنطن برز سؤال رئيسي: هل تمت هذه العملية بتكليف من الحكومة الاسرائيلية أم أنها

كانت خيانة حدثت من وراء ظهرها؟ حكومة شيمون بيريز تقول أن قضية بولارد كانت مجرد «انحراف» عن السياسة الاسرائيلية الثابتة بعدم التجسس على الولايات المتحدة، وأن هذه العملية تمت بدون علم أي مسؤول اسرائيلي.

ولكن التحقيقات تقول شيئاً آخر أكدتها مجلة «روز اليوسف» المصرية ذاتها. أن هذه القضية كان مخططاً لها أن تستمر لمدة عشر سنوات وتكلّف (٣٠٠) ألف دولار. فكيف يمكن لعملية تجسس ـ بهذا الحجم ـ أن تتم بدون علم القيادة الاسرائيلية؟.

التحقيقات الأولية تؤكد أن هذه العملية تمت بمعرفة أعلى السلطات الاسرائيلية.

كما كشفت هذه التحقيقات أن اسرائيل دفعت لبولارد أكثر من ٤٥ ألف دولار، وأودعت له ٣٠ ألف دولار أخرى في أحد البنوك السويسرية، وتعهدت بأن تودع له نفس المبلغ كل عام لمدة عشر سنوات. هذا بالإضافة الى منحه جواز سفر اسرائيلي باسم مستعار.

وتؤكد التحقيقات أيضاً أن هناك أشخاصاً آخرين اشتركوا مع بولارد في تصوير الوثائق والمستندات، وهذا يدل على أن العملية أكبر من كونها مجرد «حالة فردية» أو «انحراف» عن السياسة الراسخة تجاه الولايات المتحدة.

أسئلة أخرى تلقي بظلالها على سير التحقيقات: اذا كانت اسرائيل تدّعي عدم معرفتها بالعملية، فلماذا تعاون ضابط الأمن في السفارة الاسرائيلية في واشنطن مع بولارد وطلب منه اللجوء الى السفارة قبيل القبض عليه؟.

ولماذا قامت «اسرائيل» بتمويل رحلتين لبولارد وزوجته الى فرنسا و«اسرائيل» ودفعت له في كل رحلة عشرة آلاف دولار تغطية للنفقات؟ ولماذا دفعت له «اسرائيل» أيضاً راتباً شهرياً قدره ألف وخمس مائة دولار ارتفع بعد

عدة شهور الى ألفين وخمس مائة دولار؟.

واحد من «حلقات الاتصال» بين بولارد و«اسرائيل» هو «جوزيف ياجور» الملحق العلمي السابق بالقنصلية الاسرائيلية في نيويورك، الذي طلب منه الحصول على وثائق معينة من جهات محددة تستفيد بها الأفرع المختلفة للجيش الصهيوني.

واعتذاراً للولايات المتحدة عن هذه القضية «وعدت» حكومة شيمون بيريز بأن «اسرائيل» سوف تكشف كل الحقائق بغضّ النظر عما يسفر عنه ذلك، وأن المسؤولين لن يفلتوا من العقاب.

ومما أثار غضب الامريكيين أن ضابط المخابرات الصهيوني «روفائيل ايتان» ـ المخطط الأولّ لعملية التجسس ـ قد تمّ تعيينه رئيساً لمجلس إدارة إحدى الشركات الكيميائية في «اسرائيل»؛ وهنا سأل مسؤول أميركي: هل تشجّعون رجلاً شريراً أم تكافئون قائد الفريق؟.

هذا وقد كشفت عملية بولارد النقاب عن عمليات تجسس اسرائيلية داخل الولايات المتحدة طوال السنوات السابقة. كما كشفت النقاب عن أن المخابرات الاسرائيلية كانت أنشط مخابرات داخل الولايات المتحدة بعد المخابرات السوفياتية. وأن المخابرات الاسرائيلية قد انحصر عملها بين الولايات المتحدة والدول العربية.

وقال مسؤول في وزارة العدل الأمريكية أنه طوال الثلاثين عاماً التي قضاها في عمله أدين دبلوماسيون صهاينة بالتجسس، وطلب منهم مغادرة البلاد.

وكشفت احدى الوثائق السرّية للمخابرات الأمريكية عام ١٩٧٩ أن أولويات المخابرات الاسرائيلية الخارجية الثلاث هي بالترتيب:

١ ـ الدول العربية.

٢ ـ جمع المعلومات حول السياسات أو القرارات الأمريكية السرّية التي تتعلق «باسرائيل».

٣ ـ جمع الوثائق العلمية من الولايات المتحدة ودول متقدمة أخرى.

ويؤكد مسؤولون آخرون في المخابرات الأمريكية أن هناك حالات تجسس اسرائيلية عديدة داخل الولايات المتحدة قام بها أمريكيون متعاطفون مع «اسرائيل» ولم يكونوا مدفوعي الأجر مثل بولارد.

وإزاء هذه الحقائق الدامغة لا يكفّ «يوسي غال» المتحدث الرسمي للسفارة الاسرائيلية عن التصريح ـ بشكل ممل ـ بأن سياسة «اسرائيل» واضحة في عدم القيام بعمليات تجسس داخل الولايات المتحدة... وبين أوراق القضية يظهر اسم «روفائيل إيتان» المسؤول الأول عن المخابرات الصهيونية باعتباره المخطط الأول لعملية التجسس.

وليست هذه أول مرة يبرز فيها اسم «إيتان» في قضايا التجسس.

ففي الستّينات ورد اسمه في قضية تهريب اليورانيوم من ولاية بنسلفانيا الى «اسرائيل» لاستخدامه في صنع القنبلة الذرّية... وتقول ملفات قضية اليورانيوم أن «روفائيل ايتان» يعمل كيميائياً في وزارة الدفاع الصهيونية من مواليد ٢٣ نوفمبر ١٩٢٦، وكان أحد أربعة صهاينة سافروا الى أحد مصانع اليورانيوم في مدينة أبوللو بولاية بنسلفانيا الأميركية في شهر أيلول/سبتمبر ١٩٦٨.

وقالت ملفات قضية بولارد أن اسم «إيتان» الذي ورد فيها يحمل نفس تاريخ الميلاد وأنه اشترك في خطف النازي «أدولف ايخمان» من أحد شوارع بينوس ايرس في الأرجنتين عام ١٩٦٠. وفي عام ١٩٦٨ عمل ضابطاً في «الموساد»، ثم أخيراً مستشاراً لاثنين من رؤساء الوزارة الصهيونية لشؤون الارهاب.

وقد كشفت التحقيقات في قضية اليورانيوم اختفاء ٢٠٠ رطل من

اليورانيوم، وهي تكفي لصنع ٦ قنابل ذرية ولم يتم التوصل الى الجاني، وتم حفظ القضية كغيرها.

وآخر قضايا التجسس الصهيوني داخل الولايات المتحدة حدثت في شهر مايو ١٩٨٥ عندما قام رجل أعمال أميركي يدعى «ريتشارد سميث» بشحن ٨١٠ أجهزة الكترونية تستخدم في صناعة الأسلحة النووية الى «اسرائيل». وبعد أن تكشف أمره هرب الى خارج البلاد.

ونشرت جريدة «نيويورك تايمز» أن قضية التجسس الاسرائيلية داخل الولايات المتحدة تؤكد أنه اذا اختلفت الدولتان الصديقتان ظهر «التجسس»... وأضافت الجريدة أن هناك اتجاهاً قوياً داخل الولايات المتحدة يميل الى «حفظ» القضية والعفو عن المتهمين باعتبارها حادثاً فردياً لا يجب أن يؤثر على العلاقات الأمريكية الصهيونية طوال الثلاثين عاماً في المجالات العسكرية والتعاون الوثيق بين مخابرات البلدين، خاصة في مجال الإرهاب والنشاط السوفياتي في الشرق الأوسط. كما أن الاسرائيليين قدموا هدية ثمينة للولايات المتحدة عندما أعطتها الأسلحة السوفياتية التي حصلت عليها في حرب ١٩٦٧، وكذلك بعد عملية الاجتياح الصهيوني للبنان عام ١٩٨٢.

وبصدد قضية «جوناثان بولارد» لابد من الإشارة الى نص تقرير المدعي العام الأميركي حول هذه القضية، والذي يكشف الكثير من أسرارها.

فبتاريخ ١٩ سبتمبر ١٩٧٩ تم تجنيد «جوناثان بولارد» الذي يعمل في مكتب المخابرات بالبحرية الأميركية. ومنذ ذلك التاريخ وحتى يونيو ١٩٨٤ كان بولارد يعمل أخصائياً في أبحاث التخابر في البحرية الأمريكية حتى تم تعيينه ضابطاً في مركز مكافحة الارهاب في البحرية الأمريكية... وفي شهر اكتوبر من نفس السنة تم تعيينه أخصائياً في أبحاث التخابر في البحرية الأمريكية حتى ألقي القبض عليه في ٢١ نوفمبر ١٩٨٥. وقد عهد اليه أثناء عمله ببحث وتحليل معلومات المخابرات حول الارهاب

في دول الكاريبي والولايات المتحدة. وبهذا المنصب كان بولارد يحصل على أسرار هامة.

وفي ربيع عام ١٩٨٤ تقابل بولارد مع ضابط صهيوني كبير في القوات الجوية يدعى «أفييم سيللا» ثم قام شخص ثالث بترتيب اجتماع بينهما. وكان الضابط الاسرائيلي آنذاك حديث التخرج من جامعة ولاية نيويورك. ثم اجتمعا مرة أخرى في واشنطن.

وفي هذا الاجتماع أفصح له بولارد عن رغبته في أن يكون عميلاً «لاسرائيل» وأنه على استعداد لأن يقدم لها معلومات ووثائق أمريكية هامة تفيد «اسرائيل» في تدعيم قوتها الدفاعية. ثم طلب منه سيللا «عيّنة» من هذه المعلومات والوثائق. وبعد ذلك اتفقا على «شيفرة» تتكون من الحروف لعبرية يستخدمها كل منهما في الاتصالات التليفونية بالآخر.

وفي لقاء تم بينهما في واشنطن، أعطى بولارد «سيللا» العيّنة المطلوبة من الوثائق الأمريكية، وقد وعده الأخير بتوسطه لدى الحكومة الصهيونية لمنحه مقابلاً مجزياً نظير الوثائق أو المعلومات التي سوف يقدمها فيما بعد. ثم درس كيفية «تغطية» هذه المبالغ الضخمة حتى لا يكتشف أمره.

وفي لقاء ثالث بينهما في صيف ١٩٨٤، عقد في مقر إقامة دبلوماسي صهيوني في «ميريلاند» قدم بولارد عدة وثائق. وقد حضر هذا اللقاء عدّة أشخاص قاموا بتصوير الوثائق. وفي أواخر صيف ١٩٨٤ التقى بولارد مع سيللا مرة أخرى في واشنطن حيث أخبره سيللا أنه قد صدر أمر بعودته الى «اسرائيل»، ولذلك فإنه سوف يواصل المهمة مع شخص آخر.

وبالفعل عاد سيللا الى «اسرائيل» في أيلول/سبتمبر ١٩٨٤. ثم طلب من بولارد السفر الى باريس في خريف العام نفسه لمقابلة هذا الشخص الجديد وترتيب كيفية الحصول على الوثائق وقبض الثمن... وقد طلب سيللا من الحكومة الاسرائيلية دفع نفقات هذه الرحلة ذهاباً وإياباً والإقامة في فندق فخم.

وطبقاً لتعليمات «أفييم سيللا» قام بولارد بالسفر الى باريس وبصحبته زوجته «آن هندرسون» في شهر نوفمبر ١٩٨٤. وطوال مدة اقامتهما في باريس التي استغرقت أسبوعاً اجتمع بولارد لمدة يومين تقريبا مع سيللا وروفائيل ايتان وجوزيف ياجور. وكان روفائيل ايتان هو ذلك الشخص الجديد الذي سوف يكمل معه بولارد مهمته.

أما جوزيف ياجور فكان يعمل ملحقاً علمياً في السفارة الاسرائيلية في واشنطن، وهو المنصب الذي كان يشغله حتى اليوم التالي للقبض على بولارد.

وأثناء هذه الاجتماعات قدم كل من سيللا وإيتان وياجور الى بولارد كشفاً بالمهام المطلوب منه القيام بها عبارة عن وثائق أمريكية «محدّدة».

وفي أحد هذه الاجتماعات ادعى ايتان أن الحكومة الصهيونية تسعى للحصول على هذه الوثائق من أجل حماية أمنها، ثم وعد بولارد بإعطائه ١٥٠٠ دولار شهرياً بالإضافة الى عشرة آلاف دولار عند نهاية رحلته في فرنسا، ثم اشترى سيللا خاتماً ثميناً من الماس وأعطاه الى بولارد لكي يقدمه الى زوجته.

وبعد أن عاد بولارد وزوجته الى الولايات المتحدة تقابل مع ياجور في «ميريلاند» مقر إقامة الدبلوماسي الاسرائيلي. وفي هذا اللقاء الذي حضره شخص ثالث يدعى «عوزي» أحضر بولارد معه حقيبة مليئة بالوثائق وقدمها الى سيللا الذي طلب منه الآتي:

(أ) أن تتم العملية الروتينية لتسليم الوثائق في شقة موظف بالسفارة الاسرائيلية في واشنطن.

(ب) أن يتبع بولارد إجراءات معينة في حالة حدوث أية تطورات غير متوقعة أثناء عملية التجسس.

(ج) أن يحصل بولارد على وثائق أخرى معينة.

ووفقاً لهذه التعليمات التي تلقاها بولارد عن طريق ياجور فإن العمل الروتيني سوف يتم طبقاً للآتي:

١ - يقوم بولارد بنقل وثائق أمريكية خاصة بالدفاع الوطني في البحرية الأمريكية ثلاث مرات اسبوعياً، ثم يضع هذه الوثائق في سيارته ويتوجه بها الى مكان أمين مثل محطة غسيل السيارات. وأثناء عملية غسيل السيارة يقوم بوضع الوثائق في حقيبة. وكل أسبوعين ينقل الحقيبة الى شقة «إيريت إيرب» الموظف السابق بالسفارة الاسرائيلية في واشنطن.

٢ - يقوم بولارد بنفس الطريقة بنقل الوثائق الى شقة «إيرب» في واشنطن مساء يوم الجمعة على أن تصوّر، ثم يعيدها بولارد الى مكانها. أما الوثائق التي يحصل عليها بولارد من جهات أخرى لا تقع تحت مسؤوليته فيمكن له أن يتركها عند «إيرب» ثم يعود يوم الأحد التالي لأخذ الوثائق المسؤول عنها.

٣ - بالإضافة الى هذا العمل الروتيني الاسبوعي يقوم بولارد في السبت الأخير من كل شهر بمقابلة ياجور في شقة أخرى في نفس العمارة التي يسكن فيها «إيرب» والتي كانت مركزاً لتصوير الوثائق وذلك لمراجعة الوثائق التي أحضرها بولارد طوال الشهر. وأثناء ذلك يقوم أشخاص آخرون بتصوير الوثائق التي أحضرها بولارد معه في نفس اليوم... وفي هذا الاجتماع الشهري يدفع ياجور مرتّب بولارد ثمناً لأتعابه. وتم الاتفاق على أن يزيد هذا المرتب من ١٥٠٠ الى ٢٥٠٠ دولار.

٤ - أثناء المراجعة الشهرية التفصيلية للوثائق سوف يطلب ياجور من بولارد كشفاً بالوثائق المطلوبة.

وقد استمر هذا العمل الروتيني من شهر كانون الثاني/يناير ١٩٨٥ الى أن ألقي القبض على بولارد في شهر نوفمبر من نفس السنة. وأثناء عملية التجسس هذه قدم جوناثان بولارد الى سيللا وإيرب وياجور ملفات ضخمة تضم وثائق علمية وعسكرية هامة.

وفي يوليو ١٩٨٥ طلب ياجور من بولارد وزوجته السفر الى «اسرائيل» حيث اجتمع بولارد مع كل من روفائيل ايتان وجوزيف ياجور وأفييم سيللا و«عوزي» (الشخص المجهول) حيث ناقشوا طلب الحكومة الاسرائيلية في الحصول على وثائق أكثر مقابل زيادة راتبه الشهري ثم حصل بولارد على عشرة آلاف دولار أخرى مقابل تغطية نفقات رحلته مع زوجته الى «اسرائيل».

وفي خريف عام ١٩٨٥، أعطى ياجور الى بولارد جواز سفر اسرائيلي يحمل صورته ولكن باسم: «داني كوهين»، وهو الاسم الجديد له الذي يستخدمه عند سفره الى «اسرائيل». والى جانب جواز السفر تسلم بولارد رقم حسابه في أحد بنوك سويسرا باسم داني كوهين والذي تم فيه إيداع مبلغ ٣٠ ألف دولار. وتم الاتفاق على أن يودع مبلغ مماثل كل عام لمدة تسع سنوات قادمة، بمعنى أنهم كانوا يعتقدون أن عملية التجسس سوف تستمر عشر سنوات. وقد بلغ مجموع المبالغ التي حصل عليها بولارد نقداً ٤٥ ألف دولار.

وفي يوم الجمعة ١٥ نوفمبر ١٩٨٥ قدم بولارد حقيبة تحتوي على وثائق أخرى الى «إيرب» لتصويرها، ثم عاد يوم الأحد١٧/١١/لأخذ الوثائق وإعادتها الى مكانها. ولكنه عندما طرق الباب أكثر من مرة لم يفتح له إيرب الأمر الذي أثار ثائرته.

وفي اليوم التالي الاثنين١٨/١١/كشف مكتب التحقيقات الفيدرالي الأميركي قضية بولارد وألقي عليه القبض وهو يحمل مجموعة من الوثائق الأمريكية أثناء ركوبه السيارة. وعلى الفور بدأ استجوابه عن نقل وثائق أمريكية. وأثناء عملية الاستجواب طلب بولارد مرتين الاتصال بزوجته، وقد سمح له المحققون بذلك. وأثناء هاتين المكالمتين استخدم بولارد كلمة «صبار» وهي الشيفرة المتفق عليها.

وفي تلك الليلة، وبعد المكالمة التليفونية أخذت زوجته آن حقيبة تحوي وثائق أمريكية من شقة بولارد ووضعتها في بير السلّم في العمارة التي

بهـا الشقة، ثم طلبت من أحـد الجيران تـوصيل الحقيبـة الى أحـد الفنـادق. وبالفعل أخذ جارها الحقيبة، لكنـه لم يقم بتوصيلهـا الى الفندق. وبعـد عدة مكالمات تليفونية بين زوجة بولارد وجارها اتصلت زوجة بولارد بـ «سيللا».

وعندما فشل الجار في تسليم الحقيبـة لزوجـة بولارد تقـابلت مع سيللا وأخبـرتـه أن زوجهـا في ورطـة، ثم طلب سيللا من زوجـة بـولارد أن يتصـل زوجها بـ «ياجور». وفي هذه المكالمة أخبره بولارد أنـه وقع في ورطـة فسألـه ياجور: هل علمت السلطات بتورط «اسرائيل» في هذه العملية؟ وعندما أجابه بالنفي طلب منه الانتظار بعض الوقت.

وفي اليـومين التـاليين قـام مكتب التحقيقـات الفيـدرالي الأميـركي باستجواب بولارد. وفي هذا الاستجواب لم يكشف بولارد شيئاً عن اشتراكـه مـع الاسـرائيليـين بـل ادعّـى أنـه أعطى وثـائق أمريكيـة الـى أحد أصـدقائـه الأميركيين!!.

وأثناء هذه الفترة حاول بولارد وزوجته اللجوء الى السفارة الاسرائيلية.

وفي يوم الاربعاء ٢٠ تشرين ثاني/نوفمبر اتصل بولارد بضابط الأمن في السفارة الاسرائيلية تليفونياً وذكر أسماء الأشخاص الذين يتعامـل معهم وطلب اللجوء الى السفارة هو وزوجته.

وفي صبـاح اليـوم التـالي اتصـل بـولارد مـرة أخـرى بضـابط الأمن في السفـارة الاسرائيليـة الذي طلب من بـولارد الحضور الى السفـارة اذا استطاع الهروب من المراقبة.

وعندما تـوجه بـولارد وزوجته الى السفـارة الاسرائيليـة لم يسمح لهمـا ضابط الأمن بالدخول وطلب منهما الانتظار خارج السفارة، حيث ألقى رجال مكتب التحقيقات الفيدرالي القبض عليهما.

ومن ناحية أخرى قام الجار بتسليم الحقيبة الى مكتب التحقيقات الفيدرالي، حيث تم فتحها وفحص محتوياتها بعد الحصول على إذن الجهات المعنية.

وبفحص الحقيبة وجد أنها تحوي وثائق أميركية تتعلق بالدفاع الوطني في البحرية الأميركية. وقد اتضح أن معظم هذه الوثائق قد تم تصويرها من قبل، وإرسال الصور الى «اسرائيل». كما عثر أيضاً على خطاب موجّه من بولارد الى ياجور يتعلق بأنظمة الصواريخ التي يتم تصميمها وتصنيعها في دول غير شيوعية، من بينها نظام يعرف باسم «صبار».

وجدير بالذكر أن «إيريت إيرب» قد غادر الولايات المتحدة يوم الاربعاء ٢٠ نوفمبر وهو اليوم السابق للقبض على بولارد. أما جوزيف ياجور فقد غادر الولايات المتحدة يوم الجمعة ٢٢ نوفمبر بعد اعتقال بولارد بيوم واحد، حسب تقرير المدعي العام الأمريكي «جوزيف ديجينوفا».

رغم كل ذلك، فسيلمس العالم أن قضية بولارد لم تكن الأولى من نوعها في أمريكا ولن تكون الأخيرة. وكما طويت القضايا السابقة المماثلة، فإن هذه القضية لن تكون أفضل من سابقاتها. والملفات الجديدة على رفوف أميركية جديدة في انتظارها.

ولن يحاكم لصٌ لصاً آخر في هذا القرن، طالما أن الهدف واحد والعدو واحد، والشعوب الضعيفة في النهاية هي الضحية في شريعة أهل الغاب... ولكل ظالم نهاية.

المراجع

١ ـ ليديا مجريان «الصهيونية في خدمة الرجعية» مجلة «المدار» (مجلة شهرية تصدرها وكالة أنباء نوفوستي السوفياتية). العدد ١٠. سنة ١٩٨٥. ص ٤٥.

٢ ـ مجلة «بيروت المساء» العدد ١٧٦. تاريخ ١٩٨٥/١٢/٩. ص ١١ ـ ١٢.

٣ ـ أحمد بهاء الدين «متى بدأت اسرائيل التجسس على أميركا» مجلة «المستقبل» الباريسية. العدد ٤٦١. السبت ٢١ ديسمبر ١٩٨٥. ص ٨ ـ ٩.

٤ ـ باسم المعلم «التجسس الاسرائيلي على أميركا ـ جريمة دون عقاب». مجلة «المستقبل» العدد السابق نفسه (٤٦١). ص ١٩.

٥ ـ مجلة «الاسبوع العربي» البيروتية. العدد ١٣٦٥. الاثنين ٩ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٥. ص ٣٢.

٦ ـ عادل مالك «فضيحة التجسس الاسرائيلي أطاحت بماكفرلين». محلة «الحوادث» اللندنية. العدد ١٥٢٠. الجمعة ٢٠ ديسمبر ١٩٨٥. ص ٣٩ ـ ٤٠.

٧ ـ راغدة درغام «فضيحة بلا ثمن» مجلة «الحوادث» العدد ١٥١٨. الجمعة ٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٥. ص ١٠.

٨ ـ داڤيد بيشاي «واشنطن تكشف احتيال اسرائيل». «مجلة الحوادث» العدد ١٥١٨. ص ٤٥.

٩ ـ «نشرة أخبار» (يصدرها المكتب الصحفي بالسفارة السوفياتية في بيروت) تاريخ ١٣ و١٧ و١٨ و٢٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٥.

١٠ ـ مجلة «الشراع» البيروتية. العدد ١٩٧. الاثنين ٢٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٥. ص ١٠.

١١ ـ مجلة «الكفاح العربي». العدد ٣٨٦ ـ ١٠٦٩. الاثنين ٢ ـ ٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٥. ص ٦ ـ ٩. والعدد ٣٨٧ ـ ١٠٧٠. ص ٢٧ ـ ٢٩.

١٢ ـ «السفير» بتاريخ ٦ و٧/١٢/١٩٨٥ نقلاً عن وكالة يونايتدبرس والأسوشيتدبرس بتاريخ ٥/١٢/١٩٨٥.

١٣ ـ «الأنباء» (الناطقة بلسان الحزب التقدمي الاشتراكي) بتاريخ الاثنين ٥/١٢/١٩٨٥.

١٤ ـ اذاعة «صوت الجبل» في نشرتها الاخبارية الثانية والثالثة بتاريخ ٥/١٢/١٩٨٥.

١٥ ـ مجلة «روز اليوسف» المصرية. الاثنين ٣٠ حزيران/يونيو ١٩٨٦. العدد ٣٠٢٩. السنة الحادية والستون. ص ٢٠ ـ ٢٣.



وثيقة هامة جداً

الطغيان الخفي(*)

الصادرة التي تصغر أمامها كل صادرة أخرى.

هذه المخطوطة هي الأكثر استثاره من نوعها.

في مقابلة على سوية عالية من الخصوصية والثقة الحميمة مع يهودي هو المساعد الإداري لواحد من الشيوخ المرموقين لهذه الأمة (اميركانيا) قال: «من العجب أن لا يثور الشعب الاميركاني ويطرد كل يهودي خارج هذه البلاد».

إنه اليهودي السيد هارولد والاس روزنتال، الذي أدلى بهذا التصريح بعد إقراره بهيمنة اليهود في كل البرامج القومية الهامة. وقال أيضاً: «نحن اليهود لا زالت تأخذنا الدهشة من السهولة التي وقع فيها مسيحيو اميركانيا في قبضتنا وفي حين ينتظر الأميركان السذج خروتشيف ليدفنهم، قمنا نحن بتعليمهم الخضوع لكل طلباتنا».

وعندما سئل كيف لأمة أن تقع في مثل هذا الأسر دون أن تدري، عزا السيد روزنتال هذا النصر الى السيطرة المطلقة على وسائل الإعلام. فكل جريدة ترفض الإنصياع للإعلام الموجّه يجري تركيعها بحجب الإعلانات عنها، وإذا فشلت هذه الطريقة يوقف اليهود عنها أدوات الطباعة والحبر. وقال

مستطرداً: «إنه أمر في غاية البساطة».

وحين سئل عن المسؤولين في المراكز السياسية العليا، قال السيد روزنتال بأنه ما من أحد منهم، وخلال العقود الثلاثة المنصرمة، تمكن من تحقيق أي نفوذ سياسي دون موافقة اليهود. لم يكن للاميركان أن يختاوروا الرؤساء منذ العام ١٩٣٢. «روزفلت كان رجلنا وكذلك كل رئيس جاء بعده».

وفي نقاش حول جورج والاس ابتسم السيد روزنتال ولفتنا الى مكان جورج والاس الآن.

وعند ذكر السياسة الخارجية الأميركانية طرحت السرية جانباً. وباحتقار وسخرية، تهكم على غباء الاميركان لعجزهم عن الرؤية الشاملة لسياسة كيسنجر الخارجية. «إنها سياسة صهيونية شيوعية من بدايتها الى النهاية. ومع هذا يظن المواطنون الاميركان أن السياسة اليهودية سوف تفيد اميركانيا». وذكر على سبيل المثال «ديتانتي» و«انغولا» كشواهد على الدبلوماسية اليهودية. والاميركان بطبيعتهم الساذجة لم يحصلوا من كيسنجر إلا على الترضية.

واستمرت المقابلة على نفس السوية تقريباً من سعة الإطلاع فقال: «نحن اليهود كنا نضع للشعب الاميركاني النظرية تلو الأخرى ونعمد بعدها الى دعم وجهي كل نظرية ليستحكم التشويش. وبتركيزهم على النظريات يخفقون في رؤية من يقف وراء كل مشهد. نحن اليهود نلاعب الجمهور الاميركاني كما تلاعب القطة الفأر».

ومع امتداد المحادثة لساعة متأخرة من الليل يشعر الواحد أن اميركانيا ربما استحقت حكم الإرهاب الذي خطط لها. الفكر اليهودي يحرض كل مجموعة اثنية ضد الأخرى. «إن دم الجماهير سيتدفق في حين ننتظر نحن يومنا العالمي في الإنتصار»،هذا ما قاله روزنتال ببرود.

لساعات عديدة بعد هذا النقاش غير المعقول سيطر علينا شعور

الإستغراب. هل من الممكن أن تكون لمجموعة من «الكائنات البشرية» هذه الروح الغادرة وهذا القدر من النوايا الشرّيرة؟ إن الكلمات التي سمعناها والأدلة التي بين أيدينا تثبت حقيقة وجودها. هل من الممكن أن يبقى الشعب الاميركاني منقاداً رغم استنزاف دم الحياة منه؟ هذا ما يبدو حتى الآن.

ماذا يعني كل هذا لنا؟

بعد حصولنا على ما قرأته بالإضافة الى المقابلة الطويلة التي تلت فإن السيد هارولد روزنتال إبن التاسعة والعشرين عاماً، المساعد الإداري للشيخ (سناتور) يعقوب جافيتس من ولاية نيويورك، لقي حتفه في عملية قرصنة جوية استهدفت طائرة اسرائيلية في اسطنبول/ تركيا في ١٢ أغسطس ١٩٧٦.

من الواضح أن السيد روزنتال ربما كان قد تكلم بحرية زائدة، لأنه وبالرغم من أن أربعة أشخاص قد قتلوا وحوالي الثلاثين جرحوا خلال عملية القرصنة، فإن السيد روزنتال لم يقتل برصاصة طائشة كالآخرين. من التقارير التي أحيطت بالسرية في حينه يبدو أنه من المدهش والمستغرب أنه كل الأشخاص الذين شملتهم هذه العملية، كان السيد روزنتال الوحيد الذي أصيب إصابة قاتلة. هذا يؤكد ببساطة، الحقيقة التي جاءت فى هذه المقابلة المثيرة. أن قسماً من هذه المقابلة الحميمة قد نشر في عدد أغسطس ١٩٨٦ لمجلة «باتل اكس» مع العلم أنه لا توجد علاقة بين مقابلتنا ومقابلة المجلة المذكورة.

لم تكن لنا الرغبة في إيذاء أحد وخاصة عائلة روزنتال التي نالت كفايتها من هذه المأساة. لقد راسلنا والديه في فيلادلفيا وشقيقه مارك دايفيد روزنتال الذي يتابع دراسته في إحدى كليات شمالي كاليفورنيا. وهو في الواقع الذي أعلمني بأن اصدقاء هارولد روزنتال في واشنطن أسسوا منحة تذكارية بإسمه وأُرسل لنا نسخة عن بطاقة «عضوية هارولد والاس روزنتال في العلاقات الدولية»، لجنة اميركانية يهودية عنوانها: واشنطن تشبتر ٨١٨ - الشارع الثامن عشر - واشنطن دي. سي. ٢٠٠٠٦. في لوائحها بعض مِن «مَنْ هو» ورئيسا الشرف هما نائب الرئيس والتر مونديل والسناتور يعقوب جافيتس.

بداعي الإحترام قررنا انتظار مرور سنة على وفاة هارولد روزنتال، فأرجأنا نشر كل ما أعطانا إياه في ذينك النهار والمساء المشهودين. وكما أشرنا سابقاً فإن المقابلة كانت طويلة، كما أن روزنتال بدا متلذذاً بإفراغ هذه المعلومات. ولقد قوطعت المقابلة مراراً مما جعلها تستمر حتى المساء.

هذا الكاتب والناشر ليس من السهل أن يصدم. ولكن عندما تابع هذا الأناني المغرور هارولد روزنتال هجومه المسعور وجدت في قوله ما هو مرعب حقاً. إنها الخيانة الفعلية التي تبجح بضلوعه فيها. وبدا واضحاً ارتياحه الخبيث للنجاح البارز الذي تحرزه المؤامرة اليهودية العالمية. تصور أن هذا يصدر عن المساعد الإداري لواحد من شيوخنا المرموقين ـ جاكوب جافيتس ـ عن ولاية نيويورك.

ما أنت بصدد قراءته يجب أن يكون إنذاراً لكل من ليسوا يهوداً في العالم. ونأمل أن يكون حافزاً لفتح عيون الكثيرين ممن عرفوه في الدوائر الحكومية في واشنطن.

لقد أصبح واضحاً بالفعل أن ما صرح به لم يكن نسج خيال ولا تصوّر. انه لم يكن يدعي بل أنه تكلم بمعرفة وذكاء. لقد قيل وكتب الكثير عن المؤامرة اليهودية العالمية، ولكنه لم يسبق لها أن وصفت بهذا الشكل المكشوف. إنها تصعق الخيال. كثيرون ستدهشهم محتويات هذه الوثيقة لأنه لم يعلن عن مثلها من قبل.

نفضل عدم التأثير فيكم ونترك لكم إصدار الحكم.

بالعودة الى موعد هذه المقابلة، وبعد أن كان لنا الوقت الكافي لتحليل صراحة السيد هارولد روزنتال، نحن مجبرون على الظن بأنه مغرور مدّعي مع أنه رجل معرفة. إنني أصنفه كمغرور وأناني. إن فظاظته مغلفة بالسم في بعض الأحيان خاصة في وصفه للمسيحيين الأغبياء أو «الغويز» (العجماوات)

كما كان يقول لنا تكراراً. لقد أدهشني هذا لأن كلمة «غـويز» ليست في لغتنا، وكان عليه أن يعلم ذلك. كان عقله غـائصاً كلياً في الخطة العـالمية الواحدة للعالم اليهودي . وبغطرسة كان يتباهى بـأن غزو اليهـود للعالم أصبـح كامـلاً تقريباً بفضل الغباء المسيحي.

وحين سئل عما إذا كان صهيونياً أجاب السيد روزنتال: .

«هـذا سؤال جهنمي! ففي أسـاس المشـروع تجـد المفهـوم التقليـدي للصهيـونية «الإيـاه» وهـو تعبيـر يهـودي يعني «التجمـع» في الـداخـل وعـودة الدياسبورا اليهودية (اليهود المشتتـون) الى فلسطين أرض الوطن. فمنـذ خلق دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ أصبحت الإيـاه (aliyah) قاعـدة أساسيـة في سياسـة الحكومة الإسرائيلية».

مـا هي «الإياه»؟ أتسمـح بتهجئتها لنـا؟ وبعد أن فعـل استوضحنـاه عن المعنى الحقيقي لكلمة «الإياه» فقال:

«إنها العودة الجسدية الدائمة الى فلسطين وليس مجرد زيارة».

وسألناه: ما هي الصهيونية؟ لقد سمعت يهوداً يعطونها تفسيرات عـديدة من العودة الدائمـة الى الدعم المـادي والروحي لإسـرائيل من أنحـاء العالم، فأجاب السيد روزنتال:

«قـال قـائـدنـا الأول، رئيس الـوزراء السـابق دافيـد بن غـوريـون بـأن الصهيونية بدون «العودة الى صهيون» هي زيف ودجل. لم يهـاجر الكثيـر من يهـود اميركـانيا الى اسـرائيل هجـرة نهائيـة. ففي حين يقـول البعض أن كـل يهودي هوصهيوني، يقول البعض الآخر بأن اليهودي لا يصبح صهيـونياً إلا إذا كـان عضوا ويـدفع مـا يتـوجب عليـه لتنـظيم صهيـوني عـامـل. لقـد اطلقت التحـديدات عشـوائياً في كـل مكان منـذ أن أصبحت أرض الميعاد اليهـوديـة حقيقة قائمة».

إن ملايين الدولارات المعفـاة من الضرائب تـرسل سنـوياً الى اسـرائيل

ونحن الأميركان الحقيقيون لا نستسيغ ذلك. فعلق السيد روزنتال قائلاً:

«إن السياسيين السذج في واشنطن يخدعون بسهولة. إن معظمهم ينقصهم الذكاء. وهكذا تمكن اللوبي اليهودي القوي من حملهم على تطبيق هذا الأمر منذ سنوات، وليس هناك من له القوة الكافية لإيقافه. إن بعضاً من هذا المال يعاد الى الولايات المتحدة ويصرف على المجهود الدعائي الصهيوني، ومعظمه عبر «بناي بريت» ومؤتمرات التنظيمات اليهودية ومجلس الشيوخ اليهودي العالمي. إن الوكالة اليهودية هي الذراع المموّلة، إنها الى حد ما مجموعة موظفي «بناي بريت». ليس هناك من خطأ في إرسال الدولارات الاميركانية المعفاة من الضرائب الى اسرائيل ما دمنا أذكياء كفاية للفرار بها. دعنا الآن نعكس مجرى النقاش، فلقد بدا واضحاً وبصراحة تامة أنك لا تحب اليهود. لماذا تكرهنا؟».

سيد روزنتال، أنا لا أكره أحداً ولكنني أقول بأنني أكره ما يفعله اليهود بنا، وخاصة الذي يتصل بكل من وما له علاقة بالمسيحية. إنني أكره خداعهم واحتيالهم ومكرهم وقلة شرفهم المقيتة. إذا كان هذا الأمر يعني معاداة السامية فأنا معادٍ لها.

أجاب روزنتال: «اللاسامية لا تعني بالضرورة مقاومة السامية. إذ ليس هناك شيء كهذا بل هي عبارة وسخة دونية نستعملها نحن اليهود كتعبير يصم المتعصبين أمثالكم وكل من يوجه نقداً لليهود أو يصعّد الكره لهم».

أوضحت له احتقاري للتأثير اليهودي على ثقافتنا المسيحية وعلى طريقة حياتنا الاميركانية الخاصة في التوجه المسيحي. وعلى هذا أجاب السيد روزنتال:

«في زمن المسيح كان اليهود يسعون لإقامة مملكة أرضية حسية؛ في حين أن المسيح عرض عليهم مملكة روحية رفضها اليهود ورفضوا المسيح وعملوا على صلبه؟».

ماذا تعني بقولك عملوا على صلبه؟ ألا يثبت التاريخ أن اليهود هم الذين صلبوا المسيح؟

أجاب: «أعتقد ذلك غير أنني لا أريد أن أدخل في هذه المتاهة. ولكن ألا تعتقد أن شعبكم كان فعل نفس الشيء منذ الفي سنة مع رجل أساء معاملتهم كما فعل المسيح باليهود؟».

أنت تتحدث عن المسيح وكأنه مجرد رجل.

«هذا كل ما كانه، رجل مشى على هذه الأرض كأي رجل آخر. وتلك الخرافة عن قيامة المسيح من الموت وعودته الى الأرض لزيارة أتباعه هو قول فارغ. إن اليهود الذين طردوا العرب من فلسطين إنما فعلوا ذلك لتسفيه رسالة المسيح التبشيرية بملكوت روحي. وكما ترى، فبدلاً من قائد يعمل على إقامة امبراطورية لليهود، فإن نوعية شعبكم أعطت اليهود مبشراً مسالماً يدعى المسيح الذي استبدل العين بالعين بأدر له الخد الآخر. كلام هراء! نحن نبني أو بالأحرى بنينا امبراطورية أرضية بدون أمثالكم وبدون مسيحكم المخيب».

إنني أراك وأمثالك تحاولون إخراج المسيح من الميلاد المسيحي. إنني اشعر بالأسى من أجلكم. فأجاب بسرعة:

«لا تقدم لي هذا ال سي . . . (كلمة استبدلها الكاتب بنقاط ربما لبذاءتها وترفعه عن تدوينها) أنا لا أطلب شفقتك. أنا لا أحتاجها. كثير من اليهود ليست لهم الشجاعة لكي يقولوا لكم كيف نعيش نحن اليهود وكيف نخطط. أما أنا فلا أرهب أحداً ولا أخاف شيئاً. أنا مدرك طريقي».

وعندما سئل لماذا يغير اليهود اسماءهم اكثر الأحيان أجاب:

«اليهود أذكى شعوب العالم فإذا كان هذا التغيير يفيدهم فإنهم يفعلون ذلك. هذا كل ما في الأمر. إنهم يختلطون بأوساطكم المليئة بالفساد، وفي حين ينتفع اليهود بذلك فإن «الغوييم» الأغبياء لا يلاحظون أن هؤلاء الذين لا

يحملون أسماء يهودية هم من اليهود بـالفعل. أنـا أعرف مـاذا تفكرون بشـأن اليهـود في الإدارة الحكوميـة والذين لا يحملون أسمـاء يهـوديـة. حسنـاً لا تشغل نفسك بهذا الأمر، ففي المستقبل المنظور لن تكون هناك سلطة رئاسية في الـولايات المتحـدة، فالحكـومة الخفيـة تسير بخـطى حثيثة وقـويـة بهـذا الإتجاه».

حسب علمـك هل اليهـود في الحقيقة مضـطهـدون في روسيـا أم أنهم منحوا نوعاً من الحرية؟ أجاب:

«إن معـظم اليهود في العـالم ويمكنني القول أن ٩٠٪ منهم يعلمـون ما يحصـل لشعبنـا بـالفعـل. إن لنـا إتصـالات لا مثيـل لهـا في أي مكـان. فـالمهـزوزون والجهـال والمضللون والمتخلفـون هم فقط الـذين يمكنهم أن يجدوا السلام في مجتمعكم. أما أنتم يا أولاد الزنا فتخفون خطاياكم بتدثركم بثيـاب الحملان. أنتم الخبثـاء وليس اليهود. ولـلإجابـة على سؤالك: تـوجد حكـومتان متمـايزتـان في روسيا واحـدة منظورة والأخـرى خفية. وبينما تتكون الأولى من مختلف الجنسيات فإن الثانية تتكـون من اليهود فقط. إن البـوليس السري القوي في الإتحاد السوفياتي يتلقى أوامره من الحكومة الخفيـة. هناك حوالي ستة أو سبعـة ملايين شيـوعي في روسيا السـوفياتيـة نصفهم من اليهود والنصف الآخر من العلوج (غير اليهود) ولكن هؤلاء العلوج ليسوا أهلاً للثقة. إن الشيوعيين اليهود متحـدون ويتبادلـون الثقة التـامة بينمـا الآخرون يتجسس واحـدهم على الآخر. ويتنـادى المجلس السري اليهـودي كل خمس أو ست سنوات لإجراء عملية تطهير في الحزب يصفي بنتيجتها العديدين».

وحين سئل لماذا؟ أجاب:

«لأنهم يبـدأون في فهم أكثر ممـا يجب عن السلطة السريـة اليهـوديـة: فـالشيوعيـون السوفيـات عندهم تـنـظيم سـري مؤلف من اليهـود فقط. وهؤلاء يتحكمون بكل ما يختص بالحكومة المنظورة. وهذا التنـظيم القوي هـو الذي كان مسؤولاً عن الإنتقال السري لمركز الشيوعية الى تل أبيب، حيث تصدر كل

التعليمات الآن».

هل حكومتنا والأمم المتحدة على علم بذلك؟ أجاب:

«الأمم المتحدة ليست إلا باب الفخ الى معسكر الإعتقال الفسيح للعالم الأحمر. فنحن نسيطر تقريباً على الأمم المتحدة».

وحين سئل لماذا يدمر الشيوعيون الطبقة الوسطى والمثقفين وكل عائلاتهم عندما يغزون بلداً؟ أجاب السيد روزنتال:

«إنها قاعدة ثابتة تقضي بتدمير كل أعضاء الحكومة السابقة مع عائلاتهم وأقربائهم باستثناء اليهود. يفتكون بكل أفراد البوليس، البوليس المدني وضباط الجيش وعائلاتهم باستثناء اليهود، وكما ترى فنحن نعلم أنه عندما تبدأ حكومة ما بالبحث عن الشيوعيين داخل حدودها فإنما هي تسعى في الواقع الى كشف اليهود في مواقعهم. فنحن لا نخدع. إن للحكام الخفيين في البلدان الشيوعية سيطرة عالمية على وسائل الإعلام والحكومات في البلدان الحرة. إننا نسيطر على جميع وسائل التعبير بما فيها الصحف والمجلات والإذاعة والتلفزيون، حتى على موسيقاكم. نحن نراقب الأغاني المعدة للنشر قبل وصولها الى الناشرين بوقت طويل. ولن يمضي وقت طويل حتى تكون لنا السيطرة التامة على تفكيركم».

إن طريقة تبجحك، إذا كان ما تقوله حقيقة، تبعث على الرعب حين نفكر بمستقبلنا وبمستقبل المسيحية أيضاً، وعلى هذا أجاب السيد روزنتال:

«سوف ينشب صراع طبقي قسري هنا في الولايات المتحدة يصفى فيه الكثيرون. وستكون واحداً منهم دون أدنى شك. ولن ينال اليهود أي أذى. إنني لا أتبجح. إنني أعطيك الوقائع. لقد تأخر اتباع مسيحيتك بوضع خطة للدفاع. لقد فات الأوان. كان علينا أن نكون البادئين منذ وقت طويل. هذه كانت دون شك أعظم غاياتنا في الحياة. نحن البادئون لأنكم سرقتم معتقداتكم الدينية التي تدعونها من تلمودنا».

بعد تنبيه بأننا إذ كنا نعتقد بأنه ذكي تبين لنا الآن أنه لا يعي ماذا يقول فأجاب السيد روزنتال:

«اليهودية هي الثقافة التي لا مثيل لها، حيث لا شيء في أي مكان من العالم يمكن أن يقارن بها. إن مسيحيتكم كما تسمونها هي نتوء غير طبيعي عن اليهودية (متفرعة منها). إن التأثير الثقافي والفكري لليهودية هو أمر محسوس في العالم كله. أجل أنه كذلك في مجمل الحضارة».

وبسؤاله عما إذا كان يعتقد بأننا سنواجه في نهاية المطاف معضلة مع السود بسبب تكاثرهم بشكل مذهل، أجاب بأن السود يساعدون في خدمة «أهدافنا» (أهداف اليهود) التي قد تعني أموراً كثيرة.

ناقشنا معه غزو السود للوظائف في المدينة والمقاطعة والولاية وبروزهم حالياً في التلفزيون كما ناقشنا أيضاً سخافة تحولهم الى اليهودية كسامي ديفيس على سبيل المثال وعلى هذا أجاب السيد روزنتال:

«إن هذا لا يعني شيئاً. ونحن نعلم بأن الأسود لا يمكن أن يصبح يهودياً، وبأن سامي ديفيس لا يزال أسوداً. ربما كان لمصلحته أن يصبح مهتدياً (يهودياً) ولكنه بقي في الحقيقة عبداً وليس يهودياً».

أخبرته عن تعمقي في دراسة اليهود، وأن القليلين قاموا بأبحاث عن اليهودية أكثر مني. كما أخبرته عن اكتشافاتي غير السارة من خلال هذه الدراسة مذكّراً إياه بأنه لا توجد أخلاقية بين اليهود. أجاب:

«المال أكثر أهمية من الأخلاق. فبإمكاننا إنجاز أي شيء بواسطته. إن شعبنا يثبت هذا في اسرائيل حيث قوته في صد الهجمات تكمن في استعداده الدائم للحرب. فاسرائيل يمكنها الآن الإنتصار في أي صدام. فالمثقفون الذين ينشئون المستوطنات (كيبوتز) سيحولون هذا الموطن الصغير الى بلد العجائب في الشرق الأوسط، وستكون أيضاً، في النهاية، قاعدة القيادة للحكومة العالمية».

بحثت معه مأساة «ووترغيت» وفساد الحكم على كل المستويات واقترحت بأن يكون ممثلو الحكومة أكثر انفتاحاً وصراحة في تعاملهم مع الشعب. فقال السيد روزنتال:

«أي نفع يرجى من ذلك؟ وبحق جهنم ماذا يعرف الجمهور عن تسيير الحكم وسير الحكومة؟ إن الأغلبية الساحقة هم حمير ـ أحصنة حمير!!».

أتسمح بأن ننقل عنك حرفياً هذا القول؟ أجاب:

«لا أهتم لما تفعله. وكما سبق وقلت فإن القليلين يملكون الجرأة على إعلان رأيهم الصريح. كان من الممكن أن يكون التفاهم بيننا أفضل ـ يهوداً وأجانب ـ لو أننا تصارحنا بانفتاح أكثر. شعبكم ليس فيه شجعان. نحن نضع أسس تفكيركم، حتى إننا نضع في داخلكم عقدة الذنب بحيث تخافون من انتقاد اليهودية علناً».

في هدأة المحادثة الكاشفة بدا جلياً، إن هذا الفهم المتدفق لم يصدر عن مبتدىء. وسئل السيد روزنتال كيف توصل اليهود الى فرض قبولهم بهذه السهولة بين الأجناس الأخرى؟ فكان جوابه طويلاً وشاملاً:

«منذ وقت بعيد، وبدافع الرغبة في شق طريقنا في العالم، بدأ اليهود البحث عن وسائل تمكنهم من تحويل كل انتباه عن المظهر العنصري. وأي شيء أكثر فعالية وفي نفس الوقت فوق الشبهات من اقتباس واستعمال فكرة المجموعة الدينية؟ نحن اليهود لم تكن لنا يوماً أي مؤسسة دينية نشأت خارج نطاق منفعتنا الخاصة، لأننا نفتقر لأي نوع من المثالية. هذا يعني أن الإيمان بالحياة خارج الوجود الدنيوي غريب عنا. فالتلمود في الواقع لا يطرح مبادىء لإعداد الفرد لحياة ثانية، ولكنه يزود بقواعدِ من أجل حياة مترفة في هذا العالم. انه مجموعة من التعليمات للحفاظ على الجنس اليهودي ولتنظيم التعامل بيننا وبين العلوج (العجماوات). ان تعاليمنا لا تعنى بالمسائل الأخلاقية بل بالأحرى «كيف نأخذ».

«فيما يتعلق بالقيمة الأخلاقية للتعاليم الدينية اليهودية، هناك دراسات كاملة تبين نوعية الدين الذي عندنا على ضوء يجعله يبدو غريباً للعقل الأري. إننا المثل الأفضل لنوعية المحصول الذي يشتمله التعليم الديني. حياتنا هي من هذا العالم فقط وعقليتنا غريبة عن حقيقة روح المسيحية بقدر ما كانت صفاتنا (كيهود) نحو مؤسس هذه العقيدة منذ الفي سنة (أي المسيح). إن مؤسس المسيحية لم يخف رأيه في اليهود ولا حقيقة أنه لم يكن واحداً منا. وعندما وجد ذلك ضرورياً طردنا خارج الهيكل لأننا في ذلك الحين، وكالعادة، استخدمنا الدين كوسيلة لإنماء مكاسبنا التجارية».

«ولكننا تمكنا في ذلك الوقت من تسمير يسوع على الصليب بسبب موقفه منا، في حين أن مسيحيي هذه الأيام يدخلون الأحزاب السياسية من أجل الكسب الانتخابي، ويذلون أنفسهم مستجدين أصوات اليهود. حتى أنهم يدخلون في مؤامرات سياسية معنا ضد مصالح أوطانهم».

«يمكننا فقط العيش بين ظهراني الأمم والدول ما دمنا ننجح، باقناعهم بأن اليهود ليسوا شعباً مميزاً عنهم لكنهم ممثلون لإيمان ديني، والذي يمثل بالتالي «مجموعة دينية»، ومع ذلك فإن لهذه المجموعة صفة خاصة مميزة. في الواقع هذه كانت أكبر أكاذيبنا».

«نحن مضطرون لإخفاء صفاتنا الخاصة وطريقة حياتنا كي نتمكن من الإستمرار في البقاء كطفيليات بين الأمم. إن نجاحنا في هذا الخط وصل الى حد أن الكثيرين أصبحوا يعتقدون أن اليهود بينهم فرنسيون أصليون، أو انكليز أو ايطاليون أو المان، ولكنه صادف أنهم ينتسبون الى تسمية دينية تختلف عن تلك السائدة في تلك البلدان. ويحصل هذا خصوصاً في الأوساط المعنية بالحكم، حيث يكون المسؤولون على أدنى سوية من الحس التاريخي فنتمكن من فرض خديعتنا المضللة بسهولة نسبية. لذلك ليس هناك أدنى شك بأننا نحن اليهود من أمة مميزة وأننا لسنا مجرد أتباع لإيمان ما. مع أن نظرة واحدة على الصحافة التي نضبطها تزودنا بدليل كافٍ يفيد العكس، حتى للذين

يتمتعون بالحد الأدنى من الذكاء»

وحين سئل عن الطرق التي استطاع اليهود بواسطتها كسب القوة أجاب:

«نشأت قوتنا من خلال تلاعبنا بالنظام المالي. نحن أوجدنا العبارة المعروفة «المال هو القوة». ومن وحي ما جاء في نظامنا الأساسي كان من الضروري جداً لنا أن نؤسس بنكاً قومياً خاصاً. ان «نظام الإحتياط الفدرالي»، والذي تعود ملكيته لنا، وافق مخططنا بشكل جيد، مع أن الإسم يوحي بأنه مؤسسة حكومية. كان هدفنا منذ البداية مصادرة كل الذهب والفضة واستبدالهما بأوراق نقدية لا قيمة لها، ولا يمكن استرداد قيمتها. وهذا ما فعلناه».

وبسؤاله عن معنى عبارة «أوراق لا تسترد قيمتها» أجاب:

«قبل العام ١٩٦٨ كان يمكن للعلوج السذج أن يأخذوا ورقة نقدية من فئة دولار واحد من «الإحتياط الفدرالي» الى أي مصرف في اميركانيا واستبداله بدولار كان حسب القانون عبارة عن قطعة معدنية تحتوي على $\frac{١}{٢}$ ٤١٢ حبة من الفضة عيار ٩٠ بالمئة. وفي السابق وحتى العام ١٩٣٣ كان الواحد يستطيع استبدال نفس الورقة النقدية بقطعة تحتوي على $\frac{٤}{٥}$ ٢٥ حبة من الذهب عيار ٩٠ بالمئة، ولكن من ١٩٦٨ لم يعد الدولار الورقي الذي يصدره «الإحتياط الفدرالي» قابلاً للإسترداد والإستبدال كالسابق. كل ما نفعله هو إعطاء العلوج مزيداً من الأوراق غير القابلة للإستبدال أو قطعاً نحاسية عديمة القيمة. ولكننا لا نعطيهم أبداً ذهبهم وفضتهم بل مزيداً من الورق فقط». ثم قال بازدراء: «نحن اليهود حققنا نجاحاً عبر وسيلة التحايل الورقية. هذه طريقتنا في أخذ المال وإعطاء الورق بالمقابل».

هل يمكنك أن تعطينا مثلاً عما نحن بصدده؟

«الأمثلة كثيرة، ولكن من القليل الذي يحضرني سريعاً أذكر أسواق

البورصة والأسهم وكل أشكال التأمين ونظام الإحتياط الجزئي الذي يمارسه مجلس «الإحتياط الفدرالي»، دون ذكر المليارات من الذهب والفضة التي ربحناها في عملية التبديل بالنقد الورقي، الذي سمي بغباء مالاً. القوة المالية كانت ضرورية لتنفيذ مخططنا الرئيسي للسيطرة على العالم بواسطة الدعاية».

ولما سئل عن كيفية توصلهم الى هذا أجاب:

«في البداية، وبسيطرتنا على النظام المصرفي أصبح بإمكاننا السيطرة على رأسمال الشركات. وبهذا توصلنا الى الإحتكار الكامل لصناعة السينما ولشبكات الراديو وللوسيط الناشيء حديثاً، التلفزيون. إن صناعة الطباعة والصحف والمجلات الدورية والتقنية أيضاً سقطت في أيدينا نتيجة ذلك. وجاءت بعد ذلك سيطرتنا على نشر جميع المواد المدرسية لتتوج ما قطفنا من ثمار. وعبر أدوات النقل هذه تمكنا من قولبة الرأي العام كي يتوافق مع أغراضنا، فالشعب ليس إلا خنازير تنخر (صوت الخنزير) وتصوت بالأغاني التي نقدمها لها سواء أكانت حقيقة أم أكاذيب».

وعندما سئل عما إذا كان اليهود قد شعروا بأي تهديد من الأكثرية الصامتة، سخر من الفكرة قائلاً:

«ليس هنالك شيء يدعى الأكثرية الضامتة، لأننا نحن الذين نوجه صراخهم وصخبهم. الشيء الوحيد الذي له وجود هو الأكثرية الغبية. وأغبياء سيبقون ما دام أفيون صناعتنا الترفيهية المخدرة سيبقى الوسيلة الوحيدة لفرارهم من خدمتنا القاسية (هرب من الدب ليقع في الجب). وبالسيطرة على الصناعة نصبح نحن أولياء الأمر ويصبح الشعب مجرد عبيد. وعندما تصل ضغوط الكدح اليومي الى حد الإنفجار نكون قد هيأنا لها صمام أمان من الترفيه الآني. إن صناعة التلفزيون والسينما تقدم الإلهاء المؤقت والضروري. إن هذه البرامج مصممة بدقة كي تروق للأحاسيس الشهوانية وليس مطلقاً لمنطق التفكير العاقل. وبسبب هذا يصبح الشعب مبرمجاً للإستجابة لما نلقنه إياه وليس للمنطق. لم يكونوا أبداً صامتين لكنهم سيبقون بدون تفكير»

ومتابعاً فكرته عن ضبط اليهود للعلوج قال:

«لقد خصينا(عملية تجري عادة للذكور من الحيوانات) المجتمع بالخوف والرعب. إن رجولته لا تظهر في عملية التزاوج المادي. لقد أصبحت الجماهير بسبب تخنثها مستكينة وسهلة الإنقياد. إن أفكارهم كباقي الخصيان في الطبيعة، لا تعود منصبة على المستقبل وعلى ازدهارهم بل على العمل الحاضر وعلى وجبة الطعام التالية».

وكان من البديهي أن يتفجر هياج السيد روزنتال عند إثارتنا موضوع الصناعة القومية فقال:

«لقد حققنا نجاحاً في شق المجتمع على ذاته وذلك بتحريض العمال على الإدارة. وربما كان هذا واحداً من أكبر أعمالنا الفذة، انه مثلث، «مع ذلك فلا تبدو منه إلا زاويتان (والمقصود بزوايا المثلث اليهود والعمال وأرباب العمل حيث يبقى دور اليهود مستتراً). في الصناعة الحديثة هناك رأس المال الذي تمثل قوته على قمة المثلث في حين يمثل العمال والإدارة قاعدته. إنهما في مواجهة مستمرة تبقي انتباههم منصرفاً عن السبب الرئيسي لمشكلتهم. الإدارة مجبرة على رفع الأسعار وهكذا تنشأ الحلقة المفرغة. أما نحن فلا نلام على دورنا الذي هو السبب الحقيقي للتضخم. إن حدّة المواجهة بين الإدارة والعمال لا تترك مجالاً لأي منهما لمراقبة نشاطاتنا. إن زيادتنا لقيمة رأس المال هي التي تسبب حلقة التضخم. نحن لا نعمل ولا ندير (لسنا في صف العمال ولا في الإدارة)، ومع ذلك نحصل على الأرباح. إن رأس المال الذي نقدمه للصناعة بواسطة تحريك أموالنا لا يكلفنا شيئا. فبواسطة مصرفنا القومي «الإحتياط الفدرالي» نقدم القروض الدفترية التي نخلقها من لا شيء الى جميع المصارف المحلية ذات العضوية المصرفية، والتي تقوم بدورها بتقديم القروض الدفترية للصناعة. وهكذا فنحن نعمل أكثر من الله(*) لأن كل ثروتنا خلقناها من لا شيء. أراك صدمت! هوّن عليك!

(*) ـ ان هذا القول لا يقرّه عقل، ولا يقبل به أيّ انسان واعٍ ومتّزن. وفوق ذلك يقول اليهود بأنهم «شعب الله المختار» (ص. ز.).

إنها الحقيقة، إننا في الواقع نعمل أكثر من !!!!، وبواسطة رأس المال الوهمي هذا جعلنا الصناعة والإدارة والعمال مدينين لنا الدَّين الذي يزداد ولا يصفى أبداً. وبواسطة هذه الزيادة المستمرة يكون بمقدورنا تحريض الإدارة ضد العمال بحيث لن يتحدوا أبداً لمهاجمتنا والوصول الى صناعة طوباوية لا دين عليها».

«إننا العنصر الضروري بما أننا لا ننفق شيئاً، فالإدارة يمكنها أن تخلق رأسمالها الخاص والإحتفاظ بخيراته - الأرباح - فعملها سينمو وأرباحها تزداد. والعمال أيضاً يحققون نجاحاً إقتصادياً، إن ازدهار الصناعة والعمال والإدارة سيزداد باستمرار بينما تبقى أسعار السلع ثابتة. نحن اليهود نفاخر بحقيقة أن هؤلاء **العلوج الأغبياء لم يلاحظوا أبداً أننا الطفيليات** التي تستأثر بحصة متنامية من الإنتاج بينما تتناقص حصة المنتجين باستمرار».

وفيما الساعات تمر في هذه المقابلة الحادة والودّية عرض السيد روزنتال أفكاره المتعلقة بالدين:

«الدين أيضاً يجب أن يدرس. ومن خلال هذه الضرورة عملنا جاهدين. بسيطرتنا على صناعة الكتاب وعلى أجهزة الإعلام تمكّنا من تنصيب أنفسنا في مراكز السلطة على الدين. إن الكثيرين من رابيينا (الحاخامين) يشغلون منصب الأستاذ فيما يفترض أن يكون معهداً لاهوتياً مسيحياً. إننا لا زلنا مندهشين من الغباء المسيحي في تلقي* تعاليمنا ونشرها على أنها لهم. إن اليهودية ليست تعاليم مجامع اليهود فقط بل تعاليم كل كنيسة مسيحية في اميركانيا أيضاً. إن دعايتنا قد جعلت من الكنيسة أكثر التواقين لمساندتنا. والذي أعطانا أيضاً مكاناً مميزاً في المجتمع تصديقهم **الكذبة القائلة بأننا شعب الله المختار وهم الأجانب** (العجماوات).

---

* أكثر من ٢٦٠ مشروع قانون لإعادة الصلاة الى المدارس قضى عليها السناتور جاكوب جافيتس بصفته رئيس اللجنة وذلك بوضعها في الأدراج الواحد تلو الآخر.

«إن أبناء الكنيسة المخدوعين هؤلاء يدافعون عنا الى حدّ تقويض ثقافتهم الخاصة. وهذه الحقيقة ظاهرة حتى للأبله حين يمحّص في التاريخ ويرى أن جميع الحروب كانت بين الأبيض والأبيض كي نتمكن من الإحتفاظ بسيطرتنا. سيطرنا على انكلترا خلال حرب الثورة، وعلى الشمال خلال الحرب الأهلية، وعلى انكلترا واميركانيا خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية. وبواسطة تأثيرنا على الدين تمكنا من توريط المسيحيين البيض الجهلة في الحروب فيما بينهم والتي كانت تؤدي الى إفقار الطرفين. بينما كنا نحن نجني الحصاد المادي والسياسي. وعندما توشك الحقيقة أن تواجهنا نطلق ببساطة قواتنا، المسيحيين الأغبياء، فيهاجمون الصليبيين حتى لو كانوا من أفراد عائلاتهم».

«وبواسطة الدين حصلنا على السيطرة التامة على المجتمع والحكومة والإقتصاد. ولا يمر إلا القانون الذي تلقن حسناته من قبل الوعاظ. ومثال على ذلك قانون المساواة الذي أوصل الى الإنحطاط، وفي النهاية الى الخليط الجنسي الهجين. إن الأكليريكيين البلهاء يعلمون بنفس واحد أعضاء أبرشياتهم أننا مميزون، شعب مختار، بينما يعلنون بنفس آخر أن كل الأجناس متساوية، وتقلبهم هذا لم يكشف قط. وهكذا نتمتع نحن اليهود بمركز مميز في المجتمع بينما تنحدر جميع الأجناس والشعوب الى درجة المساواة. من أجل هذا السبب أطلقنا خرافة المساواة، إذ بهذا انحط الجميع الى سوية أدنى».

«لقد تعلمنا أن ممارساتنا الإقتصادية الجارية هي خدمة خيرة، إذن مسيحية. إن ببغاوات منابر التبشير يمجدون أفعالنا الحسنة لأننا نقرضهم المال لبناء معابدهم وهم لا يدركون أن كتابهم المقدس يدين الربى. إنهم متشوقون لدفع الفوائد المثقلة لنا. وبهذه الممارسات قادوا المجتمع الى سيطرتنا. سياسياً يمجدون بركات الديمقراطية وهم لا يعلمون أننا بواسطتها نلنا السيطرة على مجتمعاتهم. إن كتابهم يرسم شكل السلطة المطلقة الخيرة

للحكومة توافقاً مع قوانين هذا الكتاب والمؤسسات الإقتصادية. إن دينهم ليس إلا قناة أخرى تمكننا من توجيه قوة دعايتنا. لا شيء يفوق غباء هذه الدمى الدينية المتحركة إلا جبنهم لأنهم يحكمون بسهولة».

قلما يعترف رجل بدخيلة نفسه كما فعل السيد روزنتال. ورؤية الأمور بعد وقوعها توحي بأن هناك قوةَ أعظم تملي على هذا الرجل إعلان ما دوناه هنا. إن ما تبقى من المقابلة يبدو مؤكداً لهذا.

«بما أننا لا نؤمن بحياة ثانية بعد الموت، فإن كل جهودنا تتوجه نحو «الآن» نحن لسنا حمقى مثلكم ولن نعتنق ايديولوجية جذورها التضحية بالنفس. ففي حين تحيونَ وتموتون من أجل صالح المجموع فقط فإننا سنحيا ونموت فقط من أجل حياتنا الفردية. كما يتجمع قطيع الذئاب لمهاجمة الفريسة وتتفرق بعد أن تمتلىء بطونها، هكذا نحن اليهود نتجمع ليس من أجل حماية مجموعنا بل لينفذ كل واحد بجلده».

«هذا الموقف يمثل كامل وجودنا وفلسفتنا. نحن لسنا خلاقين لأن الخلق يفيد الآخرين فقط. نحن الرابحون ولا نهتم إلا بإرضاء «الذات». لفهم فلسفتنا يجب فهم عبارة «الأخذ». نحن لا نعطي أبداً ولكننا نأخذ فقط. إننا لا نعمل أبداً ولكننا نتمتع بثمار جهود الآخرين. نحن لا نخلق بل نصادر. لسنا المنتجين ولكننا طفيليون. نحن قادرون على العيش جسدياً ضمن أي مجتمع لكننا نبقى منفصلين عنه روحياً. العمل يعني الإنتاج والشكل الأسمى لهذا العمل يعني الخلق والإبداع. إن جنسكم تعلم دائماً ليكون راضياً عما ينتج. نحن لا نعمل من أجل منفعة أحد بل من أجل ما يمكن أن نحصل عليه. لقد استخدمنا هذا الموقف الأري لإنجاز نجاحنا الأعظم. أنتم تعملون من أجل المتعة التي تحصل لكم من الإنتاج ولا تهتمون لمقدار المردود المادي. نحن نأخذ انتاجيتكم لقاء أجر تافه ونحولها الى ثروات».

«حتى في الماضي القريب كان الإعتزاز بالعمل يطغى على مطالب

المدخول الأعلى. كنا على أي حال قادرين على استعباد المجتمع لحساب قوتنا الخاصة التي هي المال، وذلك يدفع شعبكم للجد في طلبه. لقد حولنا الشعب الى فلسفتنا، فلسفة الأخذ والإمتلاك حتى لا يعرفوا القناعة أبداً والشعب غير القنوع هو بيادق في لعبتنا لغزو العالم. وهكذا فإنهم يفتشون دائماً عاجزين عن بلوغ الرضى. ولحظة يبدأون التفتيش عن السعادة خارج ذواتهم يصبحون خدامنا طواعية».

«إن شعبكم لن يدرك أبداً أننا نقدم له فقط لعباً لا قيمة لها ولا تحقق له الإكتفاء الذاتي. لقد جهزنا عدداً لا نهاية له من الملهيات الخارجية الى حد أن الحياة لا تستطيع الإلتفات الى ذاتها مجدداً لتجد امتلاءها النهائي. لقد أصبحتم مدمنين على دوائنا الذي جعلنا أسيادكم المطلقين».

«على الكذبة الأولى والأساسية التي ترمي الى جعل الشعب يصدق بأننا لسنا أمة بل ديناً، أشيدت أكاذيب متتالية. ان خوفنا الأكبر هو أن تكتشف خديعتنا، ذلك لأننا سنداس ونستأصل لحظة حصول الرأي العام على هذه الحقيقة والعمل بمقتضاها. لقد أصبح واضحاً أن الوعي بدأ يحصل حتى هنا في اميركانيا. كنا نأمل أن إخراجنا من المانيا المسيحية سيجعل كل موضوع يتعلق بنا حرماً مخيفاً (تابو). ولكن يبدو أن انبعاثاً سيحصل هنا في الأمة الوحيدة التي نسيطر عليها بقوة. إننا في الوقت الحاضر نخطط لهجرة جماعية سريعة (سفر الخروج). نحن نعرف أنه عندما يبزغ نور الفجر فلا شيء يوقفه. وكل جهودنا لن تساهم إلا في تكثيف هذا النور وتسليط الأنظار عليه».

«نحن نخشى أن يكون هذا النور قادماً في حركات عبر هذه الأرض وخاصة أرضكم. لقد أدهشنا مدى نجاحكم في الوصول الى الشعب بعد أن أغلقنا كل أبواب التواصل. هذا الذي نخشاه هو علامة لمذبحة منظمة قادمة ستأخذ مكانها في اميركانيا قريباً. لقد أدرك الجمهور الاميركاني أننا في مركز السيطرة وهذه خطيئة مميتة من قبلنا. إن هذه الأمة لا يمكن أن تكون أرضاً

للحرية ما دامت أرضاً لليهود. هذه هي الرؤيا التي ستكون نذير خرابنا».

«كان الشعب الاميركاني سهل الإنقياد لدعايتنا لأن القلم أقوى من السيف. نحن في الواقع ننجو بجرائمنا وكل ما يفعله العلوج هو التحدث عنها وهذا باطل لأننا كأسياد للإعلام ننشر دائماً روايات متضاربة بشأنها. إذا أعاد الآري دراسة التاريخ وطبق دروس الماضي فإن القلم سيطرح حينذاك بازدراء ويشحذ السيف بنار الإنفعال الحانق. وهكذا نجونا في الماضي من السيف وكان الإنتقام الوحيد منا عبر منشورات دورية لا قيمة لها وبعض الكراريس المحدودة التداول. أقلامها ليست نداً لأقلامنا. ولكن خوفنا الدائم أن يفتحوا أعينهم ويعلمون أنه ما من تغيير قط حصل بواسطة القلم. إن التاريخ قد كتب بالدم وليس بالحبر. ما من رسالة أو مقالة أو كتاب قط وحد شعباً أو أوقفوا طغياناً. نحن نفهم هذا المبدأ ولكننا نوجه الشعب دائماً لكتابة الرسائل للرئيس ولمجلس الشيوخ ولصحافته المحلية. نحن بمأمن في استمرارنا باستغلال وابتزاز وإخافة الاميركاني الأبيض ما دام منشغلاً بوهم تثقيف العامة بواسطة المطبوعات. وسيحيق بنا الويل إذا ما رأى الاميركان عدم جدوى هذه الوسيلة فيطرحون القلم ويمتشقون السيف».

«إن التاريخ يثبت بأن انفعالات الأقلية المستيقظة، مهما كان حجم هذه الأقلية صغيراً، أعطت قوة كافية للإطاحة بالأمبراطوريات الكبرى. إن الحركات التي تقرر المصير ليس تلك التي تعتمد على الأكثرية الساكنة بل على قوة الأقلية الفاعلة. فالإرادة هي القوة وليس العدد لأنها هي التي تحكم الجماهير دائماً».

«أكرر أننا سالمون ما دامت إرادتنا هي الأقوى. أو ما دامت إرادة الشعب مضللة ومشتتة وبدون قيادة. ليس الكلام هو الذي سيطيح بنا بل القوة».

«ماذا يمكنكم أن تفعلوا لحماية كل مواطن من الإحتمالات التي سبق ذكرها؟؟؟؟؟؟».

إن الذين خاضوا هذه المعركة لإنقاذ أمتنا العظيمة منذ سنين عديدة ربما أصيبوا بالملل ولم يتحسسوا تماماً الأمور الرهيبة التي تجري من حولنا. يجب أن أعترف على أي حال أن الحقائق التي أعلنها السيد روزنتال قد صدمت كاتب هذه المنشورة. إن هذه المقابلة أو ربما كان من الأفضل أن نستبدلها بكلمة الإعتراف قد ساعدت على رفع حقيقة، كنا نحن القدامى نعرفها منذ سنوات، الى السطح. لكن الحقيقة الكاملة عن الخيانة اليهودية تصبح أشد وقعاً لدى الحصول عليها دفعة واحدة.

هل انتهى الله مع اليهود؟

من حق السيد روزنتال كيهودي، وصاحب نفوذ سابق، أن يتباهى بكونه عنصراً حيوياً في السيطرة المسلم بها على وسائل الإعلام، وفي حكومتهم الخفية، وبأن لا قوة سياسية دون موافقة اليهود، وبافتقار الاميركان الى الشجاعة،والسخرية من غباتهم. وبقوة اليهود بواسطة المال، وبقوة المال التي زودتهم بخطة رئيسية لغزو العالم عبر الدعاية. دعنا نتذكر ملاحظات السيد روزنتال عن:

- الأكثرية التي لا تفكر.
- خيانة اليهود بتحريض العمال ضد الإدارة.
- المسيح كان مجرد رجل يمشي على الأرض.
- تسليمه بأنهم الطفيليون الذين أحرزوا السيطرة على مجتمعنا وحكومتنا واقتصادنا بواسطة دينهم.
- الخرافة الباطلة بأنهم الشعب المختار.
- إعترافه بالكذبة الكبرى أن اليهود هم دين وليسوا أمة.

ويجب أن لا ننسى ما قاله السيد روزنتال عن خوفهم من افتضاح أمرهم وانكشاف ما هم عليه.

لقد بدأنا بكشف كامل المؤامرة وإماطة اللثام عن دور الشيوعيين والصهيونية العالمية في الاستئثار بالسيطرة على أمتنا. وإن اليهود ووسائل إعلامهم العاهرة قد بدأوا يسلمون كما قال السيد روزنتال بأننا سنحملهم على الخروج. صدقنا عزيزي القاريء إنها ستكون صدمة للعالم اليهودي عندما تصبح هذه المعلومات قيد التداول ويكتشفون أننا وضعنا أيدينا على هذه المعلومات المستقاة مباشرة من مصدرها، من يهودي كان يحظى سابقاً بالإحترام في الدوائر الحكومية العالية. وهذا التقرير هو الذي سيحدث المعجزة. إذا تمكنا بمساعدتكم من توزيع هذا السند في المدن والمقاطعات والولايات والمكاتب الفدرالية في أنحاء البلاد فربما كان لهذا الأمر فعاليته. إنه أشمل مستند كاشف، وهو ليس واحداً من التقارير الأكثر بروزاً من نوعه فحسب، بل إنه الإعتراف الأروع والأخطر في العصر الحديث. تنقصنا الكلمات للتعبير عن الأهمية التي لا تقارن والمهمة العظيمة لطريقة النقل هذه (الوثيقة).

كما لاحظتم فإن المؤامرة اليهودية تستهدف تحويل شعبنا (الاميركان) الى غنم مطيعين ومسيّسين لسيطرة يهودية عالمية في دكتاتورية تبادل القطع المرسومة من قبل الصهاينة والشيوعيين. هذا لا يمكن أن يحدث. إن الجمهور الاميركاني لن يسمح لنفسه بالخضوع لهذا. إن حركة العالم هؤلاء والذين يسيطرون على بيروقراطيتنا في واشنطن قد سمحوا لأكثر من ١٢ مليون شخص بالتسلل الى هذه البلاد من كل أمم العالم بما في ذلك الصين والمكسيك والأمم الواقعة المهمة. إنهم يشغلون وظائف يفوق عددها عدد الأشخاص العاطلين عن العمل عندنا.

هذه المخطوطة يمكنها أن تكون الأداة التي نستطيع بواسطتها توعية الجماهير التي تشعر بوجود خلل ما، ولكنها لا تعلم ماذا عليها أن تفعل. الآن يمكننا أن نريهم. يمكنك أن تتحدث بهذا مع جيرانك، مع أصدقائك، مع أقربائك ومع زملائك وشركائك في العمل بغض النظر عن وجهات نظرهم

وعلى الرغم من صبرهم على اليهود. بمساعدتكم لنا على تعميم هذه الحجة على عشرات الألوف يتحقق لنا نصرٌ ما. مع أن هذه المخطوطة طويلة إلا أن محتوياتها تجذب انتباه كل قارىء. لماذا؟ لأنها تطال كل رجل وكل إمرأة وكل ولد في اميركانيا وتنال منه. نعم وحتى في كل أنحاء العالم. إنها بهذه الأهمية! لا يمكن أن تكون لوثيقة أخرى هذه الأهمية الحيوية. إن طبعها يكلف الكثير ولهذا لن نتمكن من إرسالها إلا للذين يعطون في سبيل هذه القضية.

إن لهذا الأمر علاقة بحياة أو موت الحقيقة. إن الرؤى في هذا المستند مرعبة ولا يصدقها البريء الذي يصعب عليه أن يتصور مثل هذه الطموحات الشريرة يعترف بها أصحابها لقد بدا السيد روزنتال وكأنه أرضى غروره الكبير بمقدرته على إفشاء بعض أسرارهم الداخلية غير المعلنة، والتي كانت تتكشف تباعاً لدى سماعنا كل كلمة تقال (منه ومني) خلال المقابلة الطويلة المسجلة على شريط كاسيت ضمن محفوظاتنا (مقابلة والتر هوايت لهارولد روزنتال).

الأمة اليهودية هي عدوة كل الأمم. لقد أصيبوا بالهستيريا عند إطلاعهم على هذا المستند.

إن أميركانيا لا تزال أمة قوية بالرغم مما فعله اليهود باقتصادنا. لا زلنا في المركز الأعظم للقوى الإقتصادية، بالرغم من تراجعه السريع. ولكننا نواجه موقفاً شبيهاً بموقف «جيليفر» العملاق الذي قيد وأجهز عليه أثناء سباته العميق.

أنقذنا يا الله! وهذه الإستغاثة بالله ليست عبثاً فإن إيماني المسيحي لا زال سليماً. يا الله أنقذ أمتنا مع أننا في الوقت الحاضر أسرى الإحتكار الدعائي من قبل قبضة من الخونة والمتلاعبين المتحاذقين. نستطيع بعونه تعالى رفع النير وكسر القيود لتكون أكثريتنا قادرة عن طريق التمثيل الصحيح،

على إثبات ذاتها بإتباعها الحرية المنصوص عنها في دستور الولايات المتحدة.

هنا خطر يكمن في طبع هذه المخطوطة لأن كاتبها تعرض للضرب الشديد وطرح أرضاً بتاريخ ١٣/ ٣/ ١٩٧٨. لقد جازفت بحياتي سابقاً وسأعيد الكرة بكل سرور لإيصال هذه المعلومات الى بضعة ملايين من الناس. ان المكافأة التي يحصل عليها أولئك الذين يقفون الى جانب الحق، بصرف النظر عما سيكلفهم ذلك، تشبه تلك التي خبرها سيدنا (المسيح) عندما قاوم الشيطان. ولكن بعد أن رحل الشيطان، كما جاء في الأناجيل حضرت الملائكة وقامت على خدمته.

إن نذر نفسي لهذا العمل ـ نذر نفسي للحقيقة ـ منحني مهام الملائكة على الأرض على مر السنين. صلوا من أجلي لكي أمنح القوة والذكاء والأخلاق والرؤيا، ولكي أستمر أقوى من أي وقت مضى في توزيع هذه المخطوطة معتمداً على صلواتكم وعلى أموالكم وعلى دعمكم المعنوي. إننا في المعركة الفاصلة ويجب علينا أن نعمل كل ما في وسعنا لنقل الكلمة وبما فيها الصلاة.

لقد قمنا بتنقيح هذه الصفحة كي تعلموا أن الطلب على هذا المستند كان كبيراً لدرجة أننا اضطررنا لطبعه للمرة الخامسة خلال ٩٠ يوماً. أنا أعلم أنكم ستساعدون في دعمنا لتحمل التكاليف الباهظة المترتبة علينا. أثناء مقابلتي مع السيد روزنتال علمت أنها خطيرة الشأن وكانت لي الثقة الزاخمة في أن محتوياتها ستحث وتوقظ الكثيرين ممن كانوا لا يصدقون سابقاً. إن رد الفعل (أي حادثة ضرب الكاتب) أثبت أني كنت محقاً وأنا أشعر بالإمتنان لهذا. بقدر ما تعطون بقدر ما نطبع من النسخ وبالتالي فإن نسخاً أكثر تجد طريقها الى التداول.

إن أقل طلب هو نسختان من مخطوطة روزنتال مقابل دولار واحد بما فيه رسم البريد والنقل. ١٢ نسخة مقابل خمس دولارات و٢٨ نسخة مقابل

١٠ دولارات و٨٠ نسخة مقابل ٢٥ دولار. وفور استلام طلبكم نرسل لكم النسخ فوراً.

إن وثيقة روزنتال تثبت موضوع «وصايا حكماء صهيون» ويمكن تسميتها «الوصايا الشخصية طبعة ١٩٧٨».

إكراماً لإسم الله ولكل ما هو حق لتكن هبتكم أقصى ما تستطيعون. إن العام ١٩٧٨ هو عام «ال وسترن فرونت» الحادي عشر في الخدمة.

العنوان والتر هوايت ـ وسترن فرونت ـ ص. ب. ٢٧٨٥٤.

هوليود ـ كاليفورنيا ٩٠٠٢٧.

تحذير.

كل من لا يعلم بأن اليهودي المنظم هو المحرض للشيوعية العالمية وأنه في صلب المؤامرة الهادفة الى تهديم الحضارة المسيحية هو أكثر سذاجة وجهلاً من أن يتعاطى بالمسائل التي نواجهها. إن اليهودي المبغض للمسيح والمتآمر ضد التراث المسيحي لا يسره شيء أكثر من الشخص المحافظ الذي يحمي اليهودي ويتحدث عن كل شيء يهدد بلادنا ما عدا اليد اليهودية الخفية المتآمرة، أساس كل شر يهدد الحضارة المسيحية.

إن هذه القوة الشريرة هي الضد للمسيح كما ورد في الرسالة العامة الثانية للقديس يوحنا حيث يقول: **«إنه معاد للمسيح ذلك الذي ينكر الآب والإبن»**. إن هؤلاء الاميركان المحافظين الذين يحمون اليهودية عن معرفة أو بدون معرفة يساعدون في تدمير بلادهم. ونتيجة ذلك يحكم اليهود اميركانيا. **إنهم يتآمرون للسيطرة على العالم. نحن مكبلون فهل نستطيع الإفلات؟** نعم ولكن:

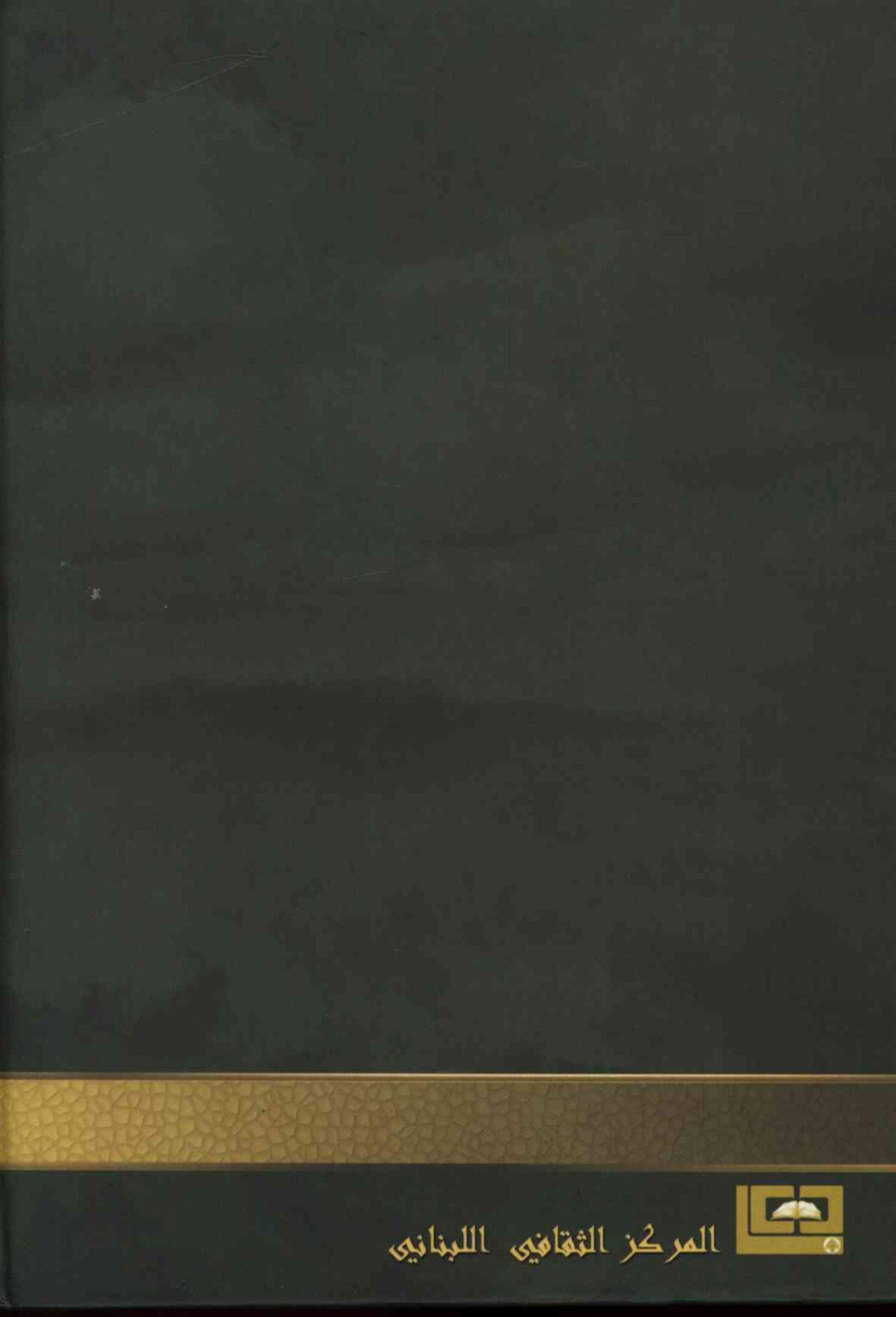
إذا عرف المحافظون الذين يحمون اليهود ويساعدون الصهاينة المعادين للمسيح في التفريق والسيادة، إذا عرفوا الحقيقة وتوجهوا وفق تحذير مخلّصنا (الإصحاح ٨ العدد ٤٤ من إنجيل يوحنا والإصحاح ٢٣ العدد ١٥

من إنجيل متّى الخ) وأن لا يفكروا أبداً أنهم يعرفون أكثر منه (أي المسيح). وإذا اتحدوا مع الاميركان الحقيقيين الذين يعرفون الحقيقة في معركة لإنقاذ بلادنا، عندئذ فقط نستطيع أن نفلت من براثن ألدّ أعداء المسيح.. اليهود المعادين للمسيح لأن هذه واحدة من عدة طرق لإنقاذ بلادنا.

هذا يعني أن كل من ينسى أو يحذف الموضوع اليهودي، إن بسبب الجهل أو الخوف، يعتبر غير مناسب لأن يكون واعظاً أو مدرساً أو موظفاً، وهذا يعني أن كل مخل بالأمن، أو أممي، أو متآمر على الإتحاد الأطلسي، أو صهيوني غريب معاد للمسيح، ويكون ولاؤه لبلد آخر، مع جميع عملائهم **الخونة وازلامهم، يجب أن يطردوا من قبل الاميركان الحقيقيين المتحدين في كل مركز قوة ونفوذ في هذه الأمة، ووضع زمام الأمور في أيدي الاميركان الحقيقيين فقط لأن هذه هي الطريقة التي يمكننا بواسطتها إنقاذ أمتنا.**

● لقد زوّدنا بهذه الوثيقة، مشكورا، الصحفي الصديق كمال مساعد(ز).

الفهرس


المركز الثقافي اللبناني